الجاهلية الآخرة

تحت غطاء الإسلام الرسمي

تجسيد لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم):

بعثت بين جاهليتين، لأخراهما شَر من أولاهما

l

سيّد حسين الحسيني الزرباطي

t y

١٤٠٢ هـ.ش / ٢٠٣٣ م / ١٤٤٤ هـ.ق

منشورات دار التفسير

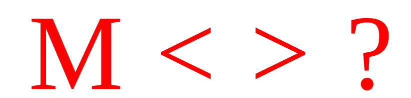
سرشناسه: الحسيني الزرباطي، سيدحسين.
عنوان ونام پديدآور: الجاهلية الآخرة تحت غطاء الإسلام الرسمي. تجسيد لقوله (ﷺ): بعثت بين جاهليتين، لأخراهما شَر من أولاهما. / سيدحسين الحسيني الزرباطي.
تحقيق وإخراج: مؤسسة الغدير
مشخصات نشر: قم، «دار التفسير» ١٤٤٤ ق = ٢٠٢٣ م = ١٤٠٢ ش.
مشخصات ظاهري: ٢٥٠ صفحه.
شابک: ٤ ـ ٧٦٩ ـ ٥٣٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨.
وضعيت فهرست نويسي: فيپا/ ياداشت: زبان عربي.
يادداشت: زبان عربي.
يادداشت كتابنامه: ص ٢٦١ ـ ٢٦٩ همچنين به صورت زيرنويس.
موضوع: جاهليت / جاهليت در قرآن
شناسه افزوده: مؤسسه الغدير.
رده بندي كنگره: GP227/7
رده بندي ديويي: ٢٩٧/٤٧
شمره كتابشناسي ملي: ٩١٨٣٣٦٣
اطلاعات ركورد: كتابشناسي فيپا



5

ـ هوية الكتاب

اسم الكتاب: .... **الجاهلية الآخرة** تحت غطاء الإسلام الرسمي
المؤلف: .... **سيدحسين الحُسيني الزُرباطي**
تحقيق وإخراج: .... **مؤسسة الغدير / نشر، ترجمة؛ تحقيق / سيدعلي الحُسيني**
الناشر: .... **انتشارات دار التفسير / إسماعيليان**
القطع: .... **وزيري قياسي**
طبعة (١): .... (مؤسسة الغدير) ١٣٩٢ هـ.ش / ٢٠١٣ م / ١٤٣٤ هـ.ق
الطبعة (٢): .... t y ١٤٠٢ هـ.ش / ٢٠٢٣ م / ١٤٤٤ هـ.ق
رقم الكتاب الدولي القياسي ISBN: ٩٧٨-٩٦٤-٥٣٥-٧٦٩-٤:
تصنيف مكتبة الكونگرس: GP227/7:
تصنيف DUE ـ دي يو ئي ـ العشري: ٢٩٧/٤٧:
العدد: .... ١٠: نسخة





الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ أشرف خلقه محمّد وآله الطاهرين

قال رسول الله (ﷺ):

"بُعِثْتُ بَين جاهليَتينِ، لأُخراهما شرٌّ مِن أولاهُما"[1]

وقال (ﷺ):

"ألا إن رحا الإسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب ألا أنه سيكون عليكُم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم فإن عصيتموهم قتلوكم وإن أطعتموهم أضلوكم. قالوا يا رسول الله كيف نصنع؟ قال: كما صنع أصحاب عيسىٰ بن مريم نشروا بالمناشير وحملوا علىٰ الخشب، موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله"[2]

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حَسبِهم، وترفعوا فوق نَسبِهم وألقوا الهجينة علىٰ ربهم، وجاحدوا الله ما صنع بهم، مكابرة لقضائه ومغالبة لآلائه. **فانهم قواعد أساس العصبية. ودعائم أركان الفتنة، وسيوف اعتزاء الجاهليّة** فاتقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكُم أضداداً، ولا لفضله عليكُم حساداً. ولا تطيعوا الأدعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم، وخلطتم بصحتكم مرضهم، وأدخلتم في حقكم باطلهم، وهم أساس الفسوق وأحلاس العقوق. اتخذهم إبليس مطايا ضلال. وجنداً بهم يصول علىٰ الناس. وتراجمةً ينطق علىٰ السِنَتهم.[3]

(١) ـ أمالي، الشجري: ٢٧٧/٢

(٢) ـ مجمع الزوائد/ الهيثمي: ج٥ ص٢٢٧

(٣) ـ نهج البلاغة: ج٢ ص١٤٣

الحمد لله كما هو أهله والصلاة والسلام علىٰ خير خلقه محمّدٍ (ﷺ) وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

كنت أسمع الكبار يتحدثون عن "**تيه بني إسرائيل**" وأنا طفل ولم أدرك يومها ماذا تعني هذه الكلمة لكنها طبعت في الذاكرة ولازمتني مع الأيام وما أن كبرت وتعلمت بدأت أتصفح الكتب ومن جملتها بعض كتب التفسير أبحث عن قوله تعالىٰ في بني إسرائيل ﴿ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [١] لأقف علىٰ حقيقة التيه التي بقيت أحجية طيلة السنوات السابقة فقرأت القصة مرة بعد أخرىٰ حينها أدركت أن الأمم قد تعاقب في الدنيا بسبب مواقفها قبل حساب الآخرة، وفرحت لهذه المعلومة التي دفعتني للبحث عن المزيد لا سيما وأنا مسلم أبحث شأن بقية المسلمين عن حقيقة المجتمع الذي أعيش فكره وعقيدته.

لا أخفي عليكُم عَجبي من كشف أخر يتعلق بمصطلح التيه هزني في الأعماق ذلك عند وقوفي علىٰ تيه المسلمين إذ كنت أظن أن التيه خاص ببني إسرائيل وإذا أنا كمسلم في بلد إسلامي أرىٰ نفسي والآلاف المؤلفة بل والملايين من أمثالي في تيه غير محدد المدة ولا معلوم المسار يرانا فيه الناظر سُكارىٰ حَيارىٰ وما نحن بسُكارىٰ كما ظن ولكن الظلام في التيه شديد بسبب تراكم المحن ووابل العذاب، أينما نولي فثم بلاء؛ بلاء في معيشتنا وبلاء في حلنا وبلاء في ترحالنا وبلاء في كلامنا وبلاء في حكوماتنا وأعظمها مصيبة البلاء في ديننا.

وقد اصطفت المذاهبُ اصطفاف العساكرِ في ساحات الوغىٰ فهذا يكفِّر وذاك يفسق والآخر يقتل. تراشق مستمر وكيل للتهم لا يرىٰ لتلاطم بحر صراعها برّ أمان والكل

(١) ـ القرآن الكريم، سورة المائدة: ٢٦.

يتقرب إلىٰ الله بما يفعل ويتمتم بنشيد الصلاح والإصلاح، تزاحمت أحزابها تزاحم السماسرة في سوق المزاد، لكل فئة راية مكتوب عليها "أنا الحق" أينما وليت وجهك صفعت وهكذا كشفت التيه.

شككتُ بادي الأمر وسألتُ نفسي: أفي حلم أنا أم في يقظة؟ أو وساوس الأوهام تضللني بحكاياتها أم هي بصيرة العقل توقظني؟ وسرعان ما اكتشفت بأني أعيش الحقيقة بعينها لكن كيف ولماذا؟؟

بحثت عن السبب لأزداد يقيناً وطرقتُ أبوابَ أهل العلم أسأل باباً باباً، فما وجدت أكثر دقة واطلاعاً في بيانِ أسباب هذا التيه من «علي[١] بن أبي طالب» (عليه السلام) إذ سمعته يقول في خطبة له: **"أيها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق ولم تهنوا عن توهين الباطل**

---

(١) ـ «**علي بن ابي طالب**» بن عبد المطلب بن هاشم، أول الناس إسلاماً بعد خديجة الكُبرىٰ (عليها السلام)؛ ومن "أصحاب الكساء الخمسة" ولد في جوف الكعبة ١٣ رجب ٣٠ من عام الفيل؛ استشهد ليلة ٢١ رمضان سَنة ٤٠ هـ في مسجد الكوفة ودفن في الغريّ سرّاً خوفاً من هتك بني أمية ومرتزقتهم لقبره؛ **والده** أبو طالب عمّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأبرز المدافعين عن الرسالة المحمدية؛ **أمّه** "فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف" شارك في كل غزوات الرسول (صلى الله عليه وآله) عدا غزوة تبوك حيث خَلّفه فيها علىٰ المدينة. من فضائله: المبيت في فراش الرسول ليلة الهجرة ومؤاخاته للنبي (صلى الله عليه وآله)؛ شملته آيات التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ والمباهلة: ﴿فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ والولاية: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾ والمودة: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ **واحاديث**: الكساء: "اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً" والمنزلة: "أنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، أما ترضىٰ يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ أنّه لا نبي بعدي" والضربة: "ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين" والراية: "لأعطين الراية رجلاً يحب اللّه ورسوله ويحبه اللّه ورسوله" والولاية: "من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ" والمؤاخاة: "أنت أخي في الدنيا والآخرة" وسَدِّ الأبواب: "ما أنا سدَدتُ أبوابكم وفتحتُ باب علي، ولكن اللّه فتح باب علي، وسدّ أبوابكم" و"عليٌّ مع الحق والحق مع علي"، والكثير غيرها. بويع بالخلافة سنة ٣٥ هـ ٦٥٦م بالمدينة المنورة، اشتهر بالفصاحة والحكمة، ونسب له الكثير الحكم والأشعار والأقوال المأثورة. وعُدَّ رمزاً للشجاعة والعدل والزُهد وأكثر معاصريه علىٰ الإطلاق علماً وفقهاً وحكمةً وفضلاً.

لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ولم يقو من قوي عليكُم ولكنكم تهتم متاه بني إسرائيل ولعمري ليضعفن لكم التيه من بعدي أضعافاً بما خلفتم الحق وراء ظهوركم وقطعتم الأدنىٰ ووصلتم الأبعد واعلموا أنكم إن اتبعتم الداعي لكم سلك بكم منهاج رسول الله وكفيتم مؤونة الاعتساف ونبذتم الثقل[١] الفادح عن الأعناق"[٢]

باتت هذه الكلمات النيرة بالنسبة لي المفتاح الذي فتح باب التأمل والدقة في مظان أسباب التيه الجديد "**تيه بني الإسلام**" فالإمام الخليفة أشار بكل وضوح إلىٰ باطل زاحف في الوسط الإسلامي، لا يرقب في تحقيق أحلامه السلطوية إلاّ ولا ذمّة كما كشف القناع عن حقيقة المتلبسين بالإسلام وأنهم علىٰ خلاف منهج رسول الله (ﷺ) وأن الاعتساف وما جرّه من ثقل علىٰ الأعناق هما سبب التيه وقد جلبهما هذا الباطل المتغطرس، ومنه اكتشفتُ أن الإسلام قد تعرض لغزو مدبر في ليلة ظلماء، كما علمت أن الكثير من العقلاء سبقوني في كشف هفوة مجهولة في مسير التاريخ وبذلوا الجهد بحثاً عن حقيقة تلك الهفوة الخطيرة التي غيرت مسار المجتمع الإسلامي، لكن أغلب تحقيقاتهم المنشورة ابتعدت عن الهدف لأسباب كثيرة، والقليل الذي أصاب الواقع وأذاع قد بات هدفاً لأنصار المتآمرين مطارداً لمجرد الإشارة إلىٰ المتهمين.

وهكذا جرّأتني حمية وجوب كشف الملابسات علىٰ البحث عن الحقيقة في بطون كتب التراث ولم يردعني عن عزمي خوف التهمة والتشهير وركبت الطريق الصعب مع علمي بما ينتظرني فوقفت علىٰ طامات مدفونات ـ دفنها التاريخ بأمر الطغاة لئلا تصل أسماع العباد خوفاً من سقوط قناع الزيف ـ تكشف عن مراحل تطبيق خطط مؤامرة قديمة استهدفت الإسلام منذ ولادته، رفع شعاراته قادة الانقلاب من بقايا الجاهليّة الأولى، تلك الشعارات التي هتفوا بها علانية في الصدر الأول منها قول زعيم المشركين في الجاهليّة أبي سفيان بمحضر الخليفة عثمان: "**يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة فو الذي يحلف به**

---

(١) ـ «ثِّقَلُ»: الشيءُ النفيس الخطير وفي الحديث؛ إنّي تارك فيكم الثَّقلين، كتابَ اللهِ وعترتي.

(٢) ـ نهج البلاغة: ٧٩/٢ الخطبة ١٦٦.

أبو سفيان[١] ما عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة"[٢]. وقوله: "يا عثمان إن الأمر أمر عالية والملك ملك الجاهليّة فاجعل أوتاد الأرض بني أمية"[٣]. وكذلك قول ابنه معاوية[٤] خليفة المسلمين لما سمع المؤذن يقول: "أشهد أن محمّداً رسول الله" قال: **"لله أبوك يا بن عبد الله لقد كنت عالي الهمة ما رضيت لنفسك إلا أن تقرن أسمك باسم رب العالمين"[٥]. وقول حفيد أبي سفيان الخليفة يزيد الذي أعلن تمسكه بدين جده المشرك بقوله:**

لعِبَتْ هاشِمُ بالملكِ فلا خبرٌ جاءَ ولا وحيٌ نزلْ

وتتبعت خيوط المؤامرة الكبرىٰ فوجدت أن الباطل الزاحف علىٰ الإسلام ليس إلا الجاهليّة

(١) ـ «**أبو سفيان**» **صَخر بن حَرب بن أمية بن عبد شمس**، من أشد المناوئين للنبي ﷺ وأعدائه بعد البعثة. لعب دوراً بارزاً ومحورياً في تأليب المشركين علىٰ النَبيّ ﷺ والمسلمين في «بدر» و«أحد» و«الخندق»؛ قاد «الأحزاب» بنفسه وأسلم مُرغماً بعد فتح مكة سَنة ٨ هـ، رفس قبر سيّد الشهداء حمزة (عليه السلام) أيام عثمان قائلاً: "إن الأمر الذي اجتلدنا عليه في أيدي أبنائنا"؛ وأُخت أبي سفيان كان لها قَدَم السَّبق في مُحاربة الرسول والرسالة حتّىٰ نزلت فيها وزوجها أبو لهب سورة المسد. لما سمع بتصدّي أبي بكر للخلافة أقبل قائلاً: والله إني لأرىٰ عجاجه لا يطفئها إلاّ دم! يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم! ما بال هذا الأمر في أقلّ حيّ من قريش؟ لم يدم تحمسه طويلاً حتىٰ انقلب موالياً! ولما تسنّم عثمان الخلافة دخل عليه وهو مكفوف، ثم خرج من عنده وهو يقول: **تلقّفوها يا بني أميّة تلقّف الكرة فما من جنّة ولا نار**. مات سَنة ٣٠ هـ وقُبر في البقيع.

(٢) ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩/٥٣، والسقيفة وفدك، الجوهري: ٨٧.

(٣) ـ معالم الفتن، سعيد أيوب: ١/٣٥٥.

(٤) ـ **معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس**؛ أمه "هند آكلة الأكباد" بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، من الطلقاء الذين خُلي عنهم يوم الفتح؛ أسلم بعد فتح مكة. نشأ في بيئة معادية للنبي ﷺ وللرسالة المحمدية، أسلم بعد فتح مكة، كسب ثقة عمر فولاه الأردن ولما استخلف عثمان نصبه والياً علىٰ الشام بأسرها، لم يساند عثمان عندما ثار عليه جمهور المسلمين رغم طلب عثمان المساعدة منه. رفض بيعة الإمام علي (عليه السلام) بعد قتل عثمان وخرج عليه بذريعة الأخذ بثأر عثمان وبايعه أهل الشام؛ قاد معركة صفين، وبعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) عقد صلحاً مع الحسن (عليه السلام) وعلىٰ إثرها تنحىٰ الحسن (عليه السلام) عن الخلافة لصالح معاوية وفق شروط تنصل عنها معاوية واستولى علىٰ الخلافة. أجرى الماء فوق قبر حمزة ونبش القبر وضرب قدم حمزة بالمسحاة فثعب دماً! فاستنكر ذلك الصحابة. اختار دمشق عاصمة لحكمه؛ مات سَنة ٦٠ هـ.

(٥) ـ شرح نهج البلاغة: ١٠/١٠١.

المجروحة متمثلة في نخبة من طواغيت قُريش استحكمت في قلوبها حميتها، تمكنت من النفوذ في صفوف المسلمين لتجهز من خلالهم علىٰ الإسلام، فنجحت في سعيها وتمكنت من السيطرة علىٰ مراكز القدرة وفرض دينها الممقوت علىٰ الناس تحت غطاء الإسلام.

وهذا الكتاب الذي بين يديك هو تفصيل لما أجملنا في شأن زحف الجاهليّة علىٰ الإسلام وتأكيد لما أنبأ عنه القران الكريم بقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [1]. وبيان لمراد الرسول (ﷺ) من أقواله الكثيرة المخبرة عما يجري بعده من قبيل قوله (ﷺ):

"بُعثت بين جاهليتين" [2].

"ألا إن رحا الإسلام دائرة" [3].

"لغير الدجال أخوفني علىٰ أمتي" [4].

"ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان" [5].

"سيكون من بعدي أئمة يميتون الصلاة" [6].

"سيكون من بعدي أمراء يكذبون ويظلمون" [7].

"أمراء يكونون بعدي لا يهتدون بهديي" [8].

(١) ـ القرآن الكريم، سورة آل عمران: ١٤٤.
(٢) ـ الأمالي، الشجري: ٢/٢٧٧.
(٣) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ١/ ١٧٠.
(٤) ـ مسند أحمد: ٥/١٤٥.
(٥) ـ المعجم الكبير، الطبراني: ٢٠/٩٠.
(٦) ـ مسند أحمد: ٤/١٢٤.
(٧) ـ التمهيد، ابن عبد البر: ٢/٣٠٤.
(٨) ـ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ١/٩٧.

الصراع بين الإيمان والكفر

أكثر من ألف وأربعمائة سَنة تمرّ علىٰ ظهور الإسلام، ذلك الحدث الذي عدّه المؤرخون بالإجماع نقطة التحول الكبرىٰ في تاريخ العالم عامة والعرب خاصة بطويه صفحة الجاهليّة الظلماء وفتح الباب لعصر العلم والنور، وهو الحق الذي لا مرية فيه، إلا أن الخلاف لم يحسم بعد في نتيجة هذا التحول الهام، حيث اختلفت الآراء في ذلك بين متفائل يُصر علىٰ زوال الظلام الجاهلي وإلىٰ الأبد وبقاء حكومة النور الإسلامي، وبين من خالف هذا الرأي بالضد، وبهذا الاختلاف تركوا باب السؤال مفتوحاً للأجيال: هل ماتت الجاهليّة حقاً بمجيء الإسلام وبات الناس يعيشون إلىٰ يومنا عصر النور؟؟ أم أن الإسلام أبتلي بسرطان مهلك في جسمه منذ ولادته؟؟ فأكل محتواه ولم يذر منه إلاّ الاسم، وأن الجاهليّة عادت بعد سبات قصير أشد وأقوىٰ مما كانت عليه قبل الإسلام؟؟

لا شك أن الإسلام جاء بمشروع إلهي متكامل من أجل إخراج الناس من ظلمات الجهل إلىٰ نور الهداية كما صرح بذلك القرآن، وكان كفيلا بسوق المجتمع البشري نحو السعادة المرجوة بشرط الالتزام والتطبيق، وقد استوعبت ثلة من الأولين أهمية هذا الهدف الذي أعلنه رسول الإسلام (ﷺ)، فالتفّت حول الرسول وشاركت بكل قوة في إنجاح ثورة الإيمان علىٰ الشرك والجهل، كما نجحت في تثبيت أركان هذا الدين في جزيرة العرب بعد استسلام قادة الكفر ومن تبعهم من الأعراب في فتح مكة، وتحقق النصر الموعود وأتم الله نعمته علىٰ عباده بإكمال دينه وارتضائه الإسلام ديناً للناس ناسخاً كلَّ الأديان التي سبقته، وأمر المسلمين بالتمسك بالعروة الوثقىٰ والدفاع عن حريم شريعته بكل ما أوتوا وعدم الزيغ عن منهجه فمن ابتغىٰ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وعلىٰ هذا العهد[1] فارق رسول الله (ﷺ) الجماهير المسلمة والتحق بالرفيق الأعلى.

لم يترك الرسول (ﷺ) الناس حتىٰ حذرهم من عواقب الانحراف بسوء اختيارهم بل وكشف لهم عن بعض الأمور التي تقع منهم وما يترتب عليها من آثار سلبية لا محالة مثل:

---

(١) ـ «العَهْد»: الوصيّةُ؛ والميثاق؛ والعِلم؛ وفي القرآن الكريم ﴿وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا﴾: أَي؛ وصاياه وتكاليفه. والعهد؛ كلُّ ما بين العبادِ من الوصايا والمواثِيقِ والوعود.

ـ **تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** حتىٰ سئل متىٰ ذلك فيقول (ﷺ): "إذا كان الفسق في علمائكم والعلم في رذّالكم والمداهنة في خياركم"[١]

ـ **الفتن التي تلبس الناس والتي:** "يربو فيها الوليد ويهرم فيها الكبير يجري الناس عليها فيتخذونها سُنّة[٢] فإذا غيرت منها شيء قيل إن الناس قد أتوا منكراً ثم يشتد البلاء وتُسبىٰ الذرية وتدقهم الفتن كما تدق النار الحطب وكما تُدق الرحى بثقالها يتفقه الناس لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة"[٣].

ـ **تحذيراته المتكررة من الأئمة المضلين وأمراء الجور** الذين يصلون الصلاة لغير وقتها[٤]

أستلم المسلمون زمام الأمر بعد نبيهم، علىٰ أن يكونوا علىٰ العهد الذي فارقهم عليه، مخلصين لله دينهم لا يحرفون ولا يبدلون ولا يغيرون ولا يؤثرون الدنيا علىٰ الآخرة. وبعد كل تلك النصائح والتحذيرات وبعد ان ترك فيهم ثقلين بإجماع المسلمين وأمرهم بالتمسك بهما وأكد عليهما بقوله (ﷺ) فانظروا كيف تخلفوني فيهما، رغم كل ذلك ما مرت أيام بعد وفاته (ﷺ) حتىٰ اختلفت الكلمة وأفترق الناس أشتاتاً لنقف نحن بعد قرون متمادية حيارىٰ بعد اختلاط الأوراق بين ثلاث وسبعين فرقة كل فرقة تدّعي أنها تمثل الإسلام المحمّدي دون غيرها، فأين الحقيقة يا ترى؟؟

زعم المتفائلون أن الجميع علىٰ دين الله وأن الإسلام مازال بخير، حفظه الصحابة[٥]

---

(١) ـ مستدرك الوسائل: ١٢/٣٣٥ ح١٤٢٢٠.

(٢) ـ «**السُّنَّةُ**»: العملُ المحمودُ في الدين مما ليس فَرْضاً ولا واجباً. **وسُنَّةُ النبيّ** ﷺ: مَا نُقِلَ عَنِ النَبيّ ﷺ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ أَوْ صِفَةٍ أَوْ سِيرَةٍ.

(٣) ـ مصباح البلاغة، الطباطبائي: ٣/٢٢.

(٤) ـ السُنن الكبرى، البيهقي: ٣/١٢٥

(٥) ـ «**الصَحَابَة**» جمعُ الصَحَابِيّ: مصطلح إسلامي يُطلقُ علىٰ كُلّ من لقي النبي محمد ﷺ وأسلم وبقي علىٰ إسلامه حتىٰ مات. يقسم الصحابة المعاصرين للنبي ﷺ إلىٰ فئتين:

«**المهاجرين**»: من آمنوا بدعوته منذ البداية، وهاجروا معه من مكة إلىٰ يثرب.

«**الأنصار**»: من نصروه من أهل المدينة المنورة بعد الهجرة.

ومن هاتين الفئتين «**البدريون**»: أي شهدوا مع النبي ﷺ معركة بدر. و«**الطلقاء**»: وهم من أسلموا بعد فتح مكة. و«**المنافقين**». ووقع خلافٌ كبيرٌ بين أعلام المسلمين في تحديد الضوابط التي من خلالها يصحّ أن يتّصف الفرد بكونه صحابيّاً، كما وقع خلاف بين المذاهب الإسلامية في الحكم بعدالة كلّ الصحابة أو بعضهم.

بعد رسول الله (ﷺ) في الخلافة الراشدة، ثم التابعين[١] وتابعيهم في نظام الخلافة الإسلامية المستمرة من عهد بني أمية وبني عباس[٢] فالخلافة العثمانية فإسلام الملوك والرؤساء، فكل مذهب مستمد من سيرة صحابي والصحابة كالنجوم، وهذا هو الرأي السائد اليوم وفي مقابلهم آراء أخرىٰ بين من حصر الإسلام في حلقة بعض المذاهب دون بعض، وبين من خصه بمذهبه دون سائر المذاهب محتجاً بنجاة فرقة واحدة من مجموع الفرق كما هو مفاد حديث افتراق الأمة المجمع عليه. فأي فريق مِن هؤلاء علىٰ صواب؟

إن الحقيقة مرّة مرارة الزقّوم، لم يعترف بها ـ رغم تلمسهم خيوطها وتذوقهم علقم مرارتها ـ جل من بحث عن الحقيقة علىٰ مرّ الزمن، وأستقرّ ظن الأكثرية علىٰ أن الإسلام هو هذا الحاكم في أجواء المسلمين وفي ربوع بلادهم الوسيع مع اعترافهم بتقصير المسلمين حكّاماً ومحكومين في الالتزام التام بجميع أحكامه، وأطبقوا إلاّ قليلاً منهم علىٰ أن الموجود هو الإسلام بعينه لم يغير شيء من أصوله ولم يبدل حكم من أحكامه، ونسوا أو تناسوا أن الإسلام عُرىٰ كلما نقضت منها عروة هدّ منه جانب وإذا انفصمت جميعها ذهبت الحقيقة، كما وتغاضوا عما أكّده التاريخ والواقع من نقض الناقضين لعراه عروةً عروة حتىٰ لم يبقوا منه إلاّ سرباله الذي تقمصوه. وقد أشار إلىٰ ذلك النبي (ﷺ) بقوله: **"لتنقضن عرىٰ الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها وأولهن الحكم وأخرهن الصلاة"** [٣].

إن الاختلاف بين مذاهب المسلمين كما هو واضح للمتتبع وبخلاف رأي المتفائلين ليس في فروع الدين أو حكم من أحكام الشريعة وما أكثر اختلافاتهم فيها وإنما الاختلاف الحقيقي الملموس بين الفرق هو في أصل العقيدة، أعني الإسلام وجوهرها، فهم مختلفون

(١) ـ «**التابعين**»، جمع **تابع**: شخص لاقىٰ أحد صحابة النبي ﷺ مميزاً كان أم لا، وسمع منه أو لا، واشترُطِ فيه شروط، منها: طول الملازمة للصحابي، وصحة السماع منه. وقُسّم التابعون إلىٰ طبقات واختلفوا في ضابطتها وفي تحديد أفضليتهم.

(٢) ـ «**عَبّاسيٌّ**»: نسبة إلىٰ «عباس بن عبد المطلب» عم النَبيّ محمد ﷺ ويُطلق علىٰ ثالث خلافةٍ في تاريخ الإسلام وثاني السلالات الحاكمة، اتخذوا من الكوفة، بغداد، الرقة، سامراء والقاهرة عاصمة لهم؛ حكموا لثلاثة عصور قرابة ٧٦٧ سَنة ما بين عام ١٣٣ هـ ٧٥٠م إلىٰ ٩٢٣ هـ ١٥١٧م، اول خلفائهم أبو العباس السفاح وآخرهم المتوكل الثالث ثم انقرضوا.

(٣) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ٧/٢٨٠، قال رجاله رجال الصحيح

في ربهم وفي نبيهم وقرآنهم قبل اختلافهم في مسألة البسملة هل هي آية من القرآن أو لا، وقبل اختلافهم في أن الرسول (ﷺ) مات من غير وصية أو أنه أوصى، وقبل اختلافهم في القنوت وقول الآمين بعد الحمد والجمع في التراويح والتقية وطلاق الثلاث وحلّية المتعة وشرعية زيارة القبور والتوسل إلىٰ الله بالأولياء وعصمة الصحابة وغيرها.

نعم، الحقيقة المرّة التي يمر عليها الباحثون مرّ الكرام هي اختلاف طوائف المسلمين في التوحيد والنبوة الركنين الأساسين في الحكم علىٰ أحد بالإسلام أو الكفر والميزان بين الحق والباطل، وقد تعدىٰ الخلاف بينهم فيهما حدود المذهبية المسموح بها إلىٰ صميم انقطاع العصمة وتقابل الأديان، فليس الربّ عندهم جميعاً هو الربّ الجامع لصفات الجمال والجلال المنزّه عن النقص من المادية والشريك في الأزل والتركيب والظلم والمكان والجهة وما إلىٰ ذلك، بل هناك من يعتقد في خالقه بخلاف ما ذكرنا تماماً كالقول بالتجسيم والتشبيه ووسمه بالظلم والقول بتعدد القدماء وأنه يحل في العباد أو يتحد معهم. ومنهم من يعتقد بأنه ـ تعالىٰ عما يصفون ـ مجزئ مقسّم علىٰ مخلوقاته فكل مخلوق عندهم فيه جزء من حقيقة ذاته بل عين حقيقة ذاته، فهل من جامع بينها غير الجامع بين المجوسية واليهودية والنصرانية والوثنية؟!

كما أن الاختلاف واقع بينهم في السُنّة أيضاً، فهم بين من يدّعي أن ما هم عليه من سُنّة الصحابة هو سُنّة النبي (ﷺ) وبين منكر للكثير منها كونها من سُنّة النبي علىٰ تناقضها، فهل السُنّة التي عليها المسلمون هي سُنّة نبيهم (ﷺ) حقاً أم أنها سُنن الخلفاء والصحابة بمختلف مشاربهم؛ سمّوها سُنّة وجعلوها بديلاً عن سُنّة النبي (ﷺ)؟

وما صحة ما يدعيه البعض من أن السُنّةِ النبوية الحقيقية قد ضاعت يوم إعلان شعار "**حسبنا كتاب الله**" ومن ثم يوم منعوا الصحابة من التحدث ولو بحديث واحد مما سمعوه من نبيهم، ويوم أحرقوا ما كتبوه من الحديث ومنعوا المسلمين من كتابته كما سنبحث ذلك لاحقاً؟ وإذا كانت السُنّة ممنوعة ـ كما ادعاه هذا البعض ـ كتابة ورواية في تمام القرن الأول وبشكل رسمي بأمر من الخلفاء، فمن أين أتت كل هذه السُنن المتضادة المسطورة في زبر الحديث بعد كل تلك العقود؟

ـ هل هي أقوال بعض الصحابة صححوها بقولهم اختلاف أمتي رحمة؟؟

ـ وكيف سميت بسنة النبي وهم رفضوا النبي (ﷺ) وسنته يوم وفاته وبعد وفاته؟

ـ وما معنىٰ تجرؤ بعض السابقين واللاحقين من المسلمين علىٰ النبي (ﷺ) بتصغيرهم إياه بتخطئته واجتهادهم في مقابل نصه كقول بعضهم في حُنين "**يزعم أنه نبي**" بزعمه أن النبي أعطىٰ الدنية في دينه، وأواخرهم كمحمّد بن عبد الوهاب ومن تبعه بقوله إنه (ﷺ) "**طارش**"، وقول الآخر "**عصاي خير من محمّد**" فهل هذه منزلة النبي (ﷺ) في الإسلام حقاً؟!

إن مسالة الاختلاف في واقعها ـ المتزاور عنه ـ هي كما رأيتها بعد التحقيق امتداد للصراع القديم بين الكفر الجاهلي وبين توحيد الإسلام، بين الجهل والعقل، فبعد الهزيمة النكراء التي لحقت بالجاهليّة في حياة الرسول (ﷺ)، انتهزت قوىٰ الظلام الفرصة الذهبية بعد وفاة النبي (ﷺ)، وتمكنت من جمع فلولها وشن الغارة علىٰ الإسلام في عقر داره، متسترة بعباءة الدين في قتالها. لقد بدأت هجومها المبيّت يوم وفاة الرسول (ﷺ) متدرعةً قميص النسك لتخفي قبح هيأتها، والمسلمون في غفلة عن ذلك بحسن الظن، فصفقوا لضجيج التراتيل الإنجيلية الروحانية وهرولوا خلف العمائم الكبيرة ظنّاً منهم أنها غيرة الإسلام التي ثارت في نفوس الغيارىٰ لسدّ الفراغ.

وما انجلت غبرة الهرولة بين السقيفة والمسجد إلا عن الواقع الجاثم علىٰ الصدور، المخيّر للناس بين الموت والخنوع، فاستسلم المستَضعفون وأُعلن رسمياً فرض الواقع أو الإسلام البديل ومن هنا بدأ صراع بين فئتين متضادتين تلبسان زي الإسلام الموحد منضويتين تحت رايته يظن من لا يدري أن صراعهما صراع أخوين في الدين.

بدأ الصراع بين حكومة قُريش القوية بخيلها وخيلائها[١] وبين معارضة ضعيفة[٢]

---

(١) ـ متمثلة بخلفاء سقيفة بني ساعدة التي تَجَمُّعٌ فيها الأنصار لإنتخاب زعيم قُبيل إعلان وفاة النَبيّ ﷺ؛ متجاهلين النَبيّ ﷺ يودع الدنيا؛ إستُهلّ باختيار سعد بن عبادة أميراً؛ التحق بهم المهاجرون **أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح**، وبعد تنازعٍ وشجارٍ واشتباكٍ إلىٰ الليل افضىٰ إلىٰ فرض أبي بكر ومبايعتهِ خليفةً؛ مخالفين بذلك أمر الرسول ﷺ الصريح ولم يشهدوا وفاته ولا تجهيزه ولم يعرفوا بدفنه ألاّ حين سماعهم صوت المساحي في السحر. لم يحضر السقيفة بنو هاشم وأهل بيت الرسول ﷺ وعلىٰ رأسهم عَليّ (عليه السلام) لانشغالهم بتجهيز الرسول ﷺ ودفنه.

(٢) ـ متمثلة بأسرة الهادي البشير محمّد المصطفىٰ ﷺ تحديداً؛ قُصدوا بآيات التطهير والمودة والمباهلة والإطعام والقربىٰ وسورة الكوثر؛ هم: الإمامُ علي (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) والحسن (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) ويليهم باعتقاد الشيعة تسعة من

همشتها غفلة الأكثرية عن حقيقة ما يدور وقد تعهدت المعارضة حمل أعباء حفظ الحقيقة بأي ثمن واستمرت تلك المعركة بين الحكومة والمعارضة ومازالت بين كرّ وفرّ، والتاريخ يعرض في كل فصل مشاهد من هذا الصراع الذي انقسم المسلمون علىٰ أثره إلىٰ ألوية وأفواج وسرايا تحت عناوين مذهبية قد تبلغ الثلاث والسبعين معسكراً ترفد خيل المتقاتلين؛ تنهش بعضها بعضاً، والحق من بينها مع طائفة واحدة باتفاق آرائهم ولهذا بدا السجال بين الطوائف في نظر المغفلين وكأنه صراعات إسلامية ـ إسلامية بسبب الانخداع بالشعارات ومظاهر الزيف المغررة.

وعبثاً حاول الكثيرون علىٰ مرّ التاريخ إصلاح ذات بين الطوائف المسلمة حسب زعمهم لان الحرب بينها دخلت من حيث لا يشعر الجميع ضمن الحرب الأزلية بين العقل والجهل وإن كانت في ظاهرها بين عمائم محسوبة علىٰ الإسلام، فالمسألة لكل طرف من أطرافها مصيرية؛ بعد أن سلّم الإنسان قيادة الصراع فيها للهوىٰ والعواطف، فهي قضية حياة أو موت بالنسبة لجميع الأطراف حسبما اقتضته حمية الهوى.

إن كل فئة تدعي أنها تحمل أمانة الله التي حملها الإنسان والكل يجد نفسه مسؤولاً عن حماية أمانته مع توهمهم بجهلهم المركب أن ما هم عليه هو عين اليقين ومن المحال أن يتراجع أحدهم عن موقفه وهو علىٰ ما هو عليه من الجهل المطبق، والمشكلة الأعظم التي تبقي الصراع في زخمه المستمر هي في عوام الناس ـ **الذين كانوا وما زالوا وقود هذه المعركة اللامتناهية** ـ إذ حال الجهل بينهم وبين التمييز بين الحقيقة والزيف ولهذا حافظ تواجدهم المستمر في المعسكرات علىٰ ميزان القوىٰ بعد أن أختلط عليهم حابل الحق بنابل الباطل فباتت الغالبية العظمىٰ منهم جنوداً في جبهة الباطل القوي وهم لا يشعرون، وكيف يشعر من قتل عقله بسيف العاطفة والهوى؟!

واستغل الطامعون الصراع الدائر بين الحق المضطهد والباطل المنتصر فعرضوا بضاعة هجينة أسموها [**الوسطية**] يستقطبون بها طلاب العافية من المعسكرين ليزيدوا بذلك طائفة أخرىٰ إلىٰ الثلاث والسبعين ويوسعوا بها رقعة المعركة، وقد تهافت علىٰ

أولاد الحسين (عليهم السلام) وأن لأهل البيت (عليهم السلام) منزلة ومقام رفيع شريف وأنّهم معصومون ومفضّلون علىٰ جميع الصحابة والتابعين وأنّ الله تعالىٰ أوجب علىٰ المسلمين مودتهم وطاعتهم وأنّهم القادة والأولياء الشرعيون للأمّة وعلىٰ المسلمين الرجوع إليهم في كافة القضايا الدينية والانتفاع من علومهم كمرجع شرعي.

البضاعة الجديدة بعض العقول الهشة ممن يعدون أنفسهم من مثقفي المسلمين فسارعوا من كل فج عميق رجالاً وركباناً نحو ارض الميعاد لنشر مناسك دينهم الجديد تحت شعار "**حسبُنا كتاب الله**" خلال سعيهم بين صفا واشنطن ومروة باريس وقوفاً علىٰ عرفات لندن.

إن هذا الشعار الذي يسمعه المسلمون عبر الفضائيات الإسلاميّة ومن السِنَة شخصيات من مختلف الطوائف هو عينه الشعار الذي حمله دعاة الجاهلية الأولىٰ منذ صدر الإسلام لتقويض دين الله. وهذه المرة استغلته الماسونيّة لرسم خارطة جديدة للمسلمين تمثلت في الوسطية الإسلامية. لهذا لا ينبغي الاستغراب من مطالبة مديري برامج النقاش المذهبي بآياتٍ صريحةٍ من القرآن في كل شاردة وواردة ورفض السنة ولو كانت في أعلىٰ درجات الصحة إلّا ما خدم أهدافهم.

ولا أدري كيف اكتشف هؤلاء المثقفون سبيلاً وسطاً بين الحق والباطل خارج نفق العلمانية المفضوحة بعد إطباق العقلاء علىٰ وجود التضاد بين الحق والباطل واستحالة وجود نقطة اجتماع بينهما فأين يقف الوسطي المتدين عند مفترق الثابت الديني ومتطلب العصر المخالف لثوابت دينه، فهل يحلل الحرام باجتهاده الوسطي أو يكذّب بالدين. لعمري فقد سقط هؤلاء في وحل العلمانية والنفاق وهم لا يشعرون.

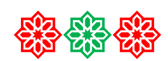
إن الوسطية الحقة هي الصراط المستقيم الذي قرره رب العالمين وعرّف سالكيه بقوله تعالىٰ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[١] والخارج منه هو الباطل سواء كان ممن يدعي ديناً مبتدعاً أو لا دينياً ضالاً، فهذان هما طرفا الباطل الخارجين عن الجادة، ومنهما الأهوائي الذي يفسر دين الله بهواه فيؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، الذي يقول في زمن العولمة علينا بالتغاضي عن كثير من أحكام الله لترضىٰ عنا أوربا وأمريكا، والله أحق أن يرضوه.

إن الذين هربوا من ثقل المسؤولية طلباً للعافية وتحت شعار "نداء العقل بالوسطية" نسوا أنهم بوقوفهم علىٰ طريق العلمانية قد وضعوا أنفسهم في موقع أكثر خطراً مما كانوا عليه؛ حين وقوفهم مع إحدىٰ جبهتي الصراع، لأن طريقهم الجديد مستهدف من جبهتين، استهداف مركز من جبهة المعارضة، واستهداف عشوائي من قبل

(١) ـ القرآن الكريم، سورة الأحقاف: ١٣.

الشطر المقنَّع من أنصار الدين الرسمي، خوفاً من اتهامهم بالتواطؤ وانكشاف الزيف ولا مناص للمسلم العلماني حينئذ من دخول الحرب مع الجبهتين، وهو ما خطط له أعداء الإسلام بعد يأسهم من حلفائهم المزيفين الذين منوهم بالقضاء علىٰ الحق بأمل استيلاء الباطل علىٰ الأرض ومن عليها بعد إزاحة المزاحم، والمعركة قديمة جديدة بدأت بصراع قابيل وهابيل وهي مستمرة إلىٰ نهاية الدنيا وهي نتيجة طبيعية لتقابل العقل والجهل ولا أمل في انتهاء هذا الصراع إلا بتعقل الجاهلين وما أبعده من أمل!!

ولإثبات حقيقة وجود الخلاف في التوحيد والنبوة بين طوائف المسلمين ـ بعد سيطرة عسكر الجاهليّة علىٰ الساحة الإسلامية سيطرة تامة وبالتحديد منذ البدء رسميا بكتابة السُنّة ـ لابد من توثيق ذلك، وسنذكر في الفصل الآتي جملة من تلك الموارد الخلافية التي تثبت وجود ما ذكرناه من الشرخ الكبير بين المسلمين.



الاختلاف في الله

ـ التوحيد في القرآن الكريم:

قبل الخوض في بيان عقائد الطوائف في الله (ﷻ)، لابد من الإشارة إلىٰ حدود عقيدة التوحيد التي بينها الله في كتابه المنزل عوناً للعقل في طريقه للإيمان بالغيب لئلا يتعدىٰ حدوده فيما هو خارج عن قدرة معرفته، كالبحث في الذات الإلهية وأسمائه وصفاته، إذ غاية ما يمكن للعقل دركه في هذا المجال هو إثبات وجود المؤثر بتقصي الآثار. أما دقائق مسألة التوحيد فلا يمكن الإحاطة بها إلا عن طريق الوحي فنقول:

ـ أثبت الله (ﷻ) أحديته بقوله ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [1]، فقد عبر بـ [أحد] دون [واحد] لان الواحد يدخل في الحساب ويضم إليه آخر وقابل للقسمة بخلاف الأحد الذي لا يتجزأ ولا ينقسم في ذاته ولتوضيح الأحدية القرآنية نذكر ما قاله علي بن أبي طالب (عليه السلام) في ذلك يوم الجمل: فقد جاء في الخبر [2]؛ "أن أعرابياً قام يوم الجمل إلىٰ أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: أتقول إن الله واحد؟؟ فحمل الناس عليه وقالوا يا أعرابي أما ترىٰ ما فيه أمير المؤمنين من تقسيم القلب؟؟ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): دعوه فان الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم، ثم قال: يا أعرابي: إن القول إن الله واحد علىٰ أربعة أقسام فوجهان منهما لا يجوزان علىٰ الله (عزّ وجلّ) ووجهان يثبتان فيه. فأمّا اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز لأن مالا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد أما ترىٰ أنه كفر من قال ثالث ثلاثة؟؟ وقول القائل واحد يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز عليه لأنه تشبيه وجل ربنا عن ذلك وتعالىٰ عنه. وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له في الأشياء شبيه فكذلك ربنا، وقول القائل إنه ربنا (عزّ وجلّ) أَحَديُ المعنىٰ يعني أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا (عزّ وجلّ)".

ـ كما أثبت قدرته بقوله تعالىٰ ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [3]

ـ وأثبت اختياره بقوله تعالىٰ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [4] وقوله ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن

---

(١) ـ القرآن الكريم، سورة الإخلاص: ٢.
(٢) ـ توحيد الصدوق: ٨٣.
(٣) ـ القرآن الكريم، سورة الزمر: ٦٢.
(٤) ـ القرآن الكريم، سورة القصص: ٦٨.

شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَٰلِكَ ﴾ [١]

ـ وأثبت علمه بقوله تعالىٰ ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٢]

ـ وأثبت حياته بقوله تعالىٰ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾[٣]

ـ وأثبت غناه بقوله ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [٤]

ـ وأزليته بقوله تعالىٰ ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [٥]

ـ وأبديته بقوله تعالىٰ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [٦]

ـ ويثبت إرادته وكراهته بقوله تعالىٰ ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [٧] وقوله تعالىٰ ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ ﴾ [٨].

ـ وأثبت عدم دركه بالبصر بقوله ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ [٩] وقوله لموسىٰ (عليه السلام) ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ [١٠]

ـ وأثبت تنزيهه عن الشبه بقوله تعالىٰ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [١١]

ـ وتنزيهه عن الشريك في القدم والأزلية والخلق بقوله ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [١٢] وليس في جهة بقوله ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [١٣]

وآيات تنزيهه عما وصفه الجاهلون كثيرة ومجمل ما وصف الله (سبحانه وتعالى) به ذاته المقدسة في كتابه الكريم يؤيده العقل المجرد بجملة واحدة هي أنه (سبحانه وتعالى) جامع لجميع صفات الكمال ومنزه عن كل نقص. وهو التوحيد الذي جاء به الإسلام ويجب أن يكون عليه أهل الإيمان.

بعد هذا البيان لنظرية القرآن نعرض نظريات طوائف المسلمين في التوحيد ونترك للمنصف تطبيقها علىٰ ما جاء به الوحي ليتبين أيّ منها تطابق رأي الوحي وأي منها مخالفة للعقل والنقل.

---

(١) ـ القرآن الكريم، سورة الفرقان: ١٠.
(٢) ـ القرآن الكريم، البقرة: ٢٨٢ والنساء: ١٧٦ النور: ٣٥ و٦٤ الحجرات: ١٦ التغابن: ١١.
(٣) ـ القرآن الكريم، سورة البقرة: ٢٥٥.
(٤) ـ القرآن الكريم، سورة آل عمران: ٩٧.
(٥) ـ القرآن الكريم، الواقعة: ٦٠ والمعارج: ٤١.
(٦) ـ القرآن الكريم، سورة الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧.
(٧) ـ القرآن الكريم، سورة البقرة: ١١٥
(٨) ـ القرآن الكريم، سورة التوبة: ٤٦.
(٩) ـ القرآن الكريم، الأنعام: ١٠٣، الأعراف: ١٤٣.
(١٠) ـ القرآن الكريم، سورة الأعراف: ١٤٣.
(١١) ـ القرآن الكريم، سورة الشورى: ١١.
(١٢) ـ القرآن الكريم، سورة الأعراف: ١٩٠.
(١٣) ـ القرآن الكريم، سورة البقرة: ١١٥.

ـ التوحيد عند طوائف المسلمين:

أختلف المسلمون في الله ذاتا وصفة، فمنهم من قال: إن الله تعالىٰ أحدي الذات بسيط غير قابل للتعدد ولا التركيب ولا الجسمية وليس له شبيه، خارج عن دائرة الزمان والمكان والجهة. وفي مقابلهم ظهر فريق آخر من المسلمين له رأي أخر في الذات فيقول بالتركيب والتشبيه والجهة والمكان والزمان. كما اختلفوا أيضاً في الصفات فمنهم من قال بالفرق بين صفات الذات وصفات الفعل، فجعل صفة الذات عين الذات بينما أعتبر صفة الفعل خارجة عن الذات محدثة، في حين أعتبر آخرون جميع الصفات الذاتية والفعلية من صفات الذات واعتبروها أزلية جميعها.

ونضرب مثلاً لذلك: كلام الله، فلقد ذكر الله (ﷻ) في كتابه الكريم أنه متكلم في قوله تعالىٰ: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾[1]، فبعد ثبوت صفة التكلم له (ﷻ) اختلفت الطوائف في ذلك تبعا لاختلافهم في أصل صفات الله، فالذي فرق في الصفات بين الذاتي والفعلي، قال إن الكلام من صفات الفعل لأن الكلام فعل، فكلام الله حادث فحكم بحدوث القران. بينما قال الذاهبون إلىٰ ذاتية كل الصفات أن كلامه (ﷻ) عين ذاته، لهذا عدّوا القران قديماً باعتبار أن الكلام صفة قديمة أزلية بأزلية الذات، وأفرط بعضهم في الاعتقاد فادعىٰ أن الورق الذي كتب عليه القران وجلده أيضاً قديمان، وبسبب هذا الاختلاف أريقت من الدماء الكثير الكثير بين الفريقين في حقبة من الزمن وكفّر بعضهم بعضا علىٰ ذلك.

إن المتفحص في كتب المسلمين بل وفي وسطهم الاعتقادي، يرىٰ رأيين في الله تعالىٰ متضادين، تمسك بكل رأي طائفة وجعلته جزءً من معتقدها الذي لا ينبغي تخطيه إلىٰ ما سواه وكل طائفة متمسكة برأيها وقناعتها وهو أوضح دليل علىٰ اختلاف المسلمين في ربهم وعدم اتفاقهم علىٰ حقيقة التوحيد التي هي رأس الإيمان ولتوضيح هذه الحقيقة المرّة التي نوهنا عنها لابد من تقديم نماذج من باب المثال للاستدلال علىٰ ذلك مثبتين عمق الاختلاف وبعد الهوة بين المذاهب، فمن تلك المسائل:

الاختلاف في الله والاختلاف في النبوة.

---

(١) ـ القرآن الكريم، سورة النساء: ١٦٤.

الاختلاف في ذاتِ الله وصفاتِهِ

١ ـ رؤية الله: [ربٌّ يُرىٰ وربٌّ لا يُرى]:

لقد تقدم رأي القران في رؤية الخالق، ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ و﴿ لَنْ تراني ﴾ وهو رأي بعض الطوائف، ومع ذلك نرىٰ طائفة كبيرة من المسلمين اعتقدوا بإمكان رؤيته في الدنيا، وحتمية رؤيته في الآخرة اعتماداً علىٰ ما جاء في صحاحهم[١] من روايات في ذلك وقبل ذكر تلك الأخبار نذكر صحاحاً مخالفة لها، لتعلم التناقض الحاكم علىٰ صحاح المذهب الواحد في هذه المسألة فمنها:

ـ في صحيح[٢] البخاري[٣]: عن مسروق، قال: قلت لعائشة: "يا أمتاه هل رأىٰ محمّد ربه؟؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت أين أنت عن ثلاث من حدثك هُن فقد كذب من حدثك أن محمّداً (ﷺ) رأىٰ ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار ..."[٤]

ـ وفي صحيح مسلم: "عن عائشة[٥]: من زعم أن محمّداً (ﷺ) رأىٰ ربه فقد أعظم علىٰ

---

(١) ـ «الصحاح الستة»: مصطلح يطلق على ستة كتب للحديث عند أهل السنة والجماعة؛ ومنزلتها عندهم بعد «القرآن الكريم». اثنان تحمل اسم الصّحيح، والأخرى تسمى سّنن، وهي: «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» و«سنن أبي داوود» و«سنن ابن ماجة» و«سنن الترمذي» و«سنن النسائي».

(٢) ـ الصحيح من أحاديث الرسول ﷺ؛ حديث مرفوع متصل بنقل عَدْلٍ ضابط في التحري والأداءِ، سالماً من شذوذ وعلة.

(٣) ـ مُحمّد بن إسماعيل البُخاري (١٩٤ـ٢٥٦) هجرية أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ الصحاح ووضع شروطاً للحَكم بصحة الحديث أو ضعفه وصحة الإسناد أو إعلاله. وتبعه مسلم بن الحجاج فألَّفَ صَحيح مسلم.

(٤) ـ صحيح البخاري: ٦/ ٥٠ و٨/ ١٦٦.

(٥) ـ «عائشة بنت أبي بكر» عبد الكعبة بن أبي قَحافة عُثمان بن عامر بن عمرو: أمها أم رومان بنت عامر؛ ثالث أزواج النبي ﷺ بعد خديجة بنت خويلد (عليها السلام) وسودة بنت زمعة رضي الله عنها؛ ولدت قبل البعثة بأكثر من عقد من الزمن. تفردت بشخصية مُعتلة متذبذبة وعدوانية. أثارت مواقفها وتصرفاتها ضغينةً وجدلاً في حياة النَبيّ ﷺ وحرباً ودماءً بعد وفاته. في حياته ﷺ تَجَلّىٰ في سيرتَها كحليلة قرابة ٩ أعوام متواتراً؛ سُوء الخُلق مع البشير ﷺ وغيرةٍ ومكائدَ عليه وعلىٰ سائر ضرائرها وبغضها علي بن أبي طالب (عليه السلام). وبعد رحيله ﷺ وافقت عُثمان بن عفان باكورة خلافته، وسرعان ما تنكرت له وحرضت الناس عليه بقولها: "اقْتُلُوا نَعْثَلاً فَقَدْ كَفَرَ" فلما قُتل واستُخلف علي (عليه السلام) اغتنمتها فرصة لإقصائه بذريعة الأخذ بثأر عثمان، موقدةً بتحريض ومواكبة بعض الصحابة الموتورين حرب الجمل. ناهزت الـ ٧٥ واغتيلت سَنة ٥٩ هـ، صَلّىٰ عليها أبو هريرة ليلاً ودفنت بالبقيع.

اللّه الفرية"[١].

- بينما يثبت ابن تيمية[٢]تبعاً لبعض سلفه الرؤية، يقول: "وكذلك إثبات الرؤية يثبت بالعقل لكن منهم من أثبتوا بان كل موجود تصح رؤيته، ومنهم من أثبتها بأن كل قائم بنفسه يمكن رؤيته، وهذه الطريق أصح من تلك، وقد يمكن إثبات الرؤية بغير هذين الطريقين، بتقسيم دائر بين النفي والإثبات كما يقال إن الرؤية لا تتوقف إلا علىٰ أمور وجودية، فإن ما لا يتوقف إلا علىٰ أمور وجودية يكون الموجود الواجب القديم أحق من الممكن المحدث"[٣].

- وقال أيضاً: "وكذلك قوله لا تدركه الأبصار، إنما نفىٰ الإدراك والذي هو الإحاطة كما قال أكثر العلماء ولم ينف مجرد الرؤية لأن المعدوم لا يرىٰ ". فمجرد الرؤية غير منفية عند أبن تيمية بل واجبة لأن مالا يُرىٰ فهو معدوم. ولا أدري هل لاحظ أبن تيمية قوله تعالىٰ لموسىٰ لن تراني وهو جواب لسؤال موسىٰ (عليه السلام) ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[٤] ولن في قوله ﴿ لن تراني ﴾ للتابيد كما عليه العلماء فهل أنه تعالىٰ نفىٰ الرؤية مؤبداً عن موسىٰ خاصةً وهو كليم الله وأولىٰ من غيره بالرؤية إن كانت الرؤية ممكنة.

وعلىٰ هذا انقسم المسلمون في مسألة الرؤية بين رب لا يُرىٰ لا في الدنيا ولا في الآخرة لتنزهه عن الجسمية والجهة والمكان ورب يمكن رؤيته في الدنيا مع حتمية رؤيته في الآخرة مثبتين بذلك الجسمية والجهة والمكان.

قال النووي: "إعلم أن مذهب أهل السُنّة[٥] بأجمعهم أن رؤية الله تعالىٰ ممكنة غير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا أيضاً علىٰ وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون الله تعالىٰ دون الكافرين"[٦]، فأي الربين هو الرب الحقيقي للمسلمين؟؟

(١) ـ صحيح مسلم: ١/١١٠.

(٢) ـ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ النُّمَيْرِيُّ الحرّاني الدمشقي، من الحنابلة؛ لقّبه اتباعه بشيخ الإسلام، لم يُعرف شيء عن مرجِعه القَبَلي ولم يُنسب إلىٰ قبيلة من العرب، ولم يُذكر شيء في تراجم آبائه. توفي ٧٢٨ هـ في حبسه في قلعة دمشق ودفن في المقبرة الصوفية.

(٣) ـ الرسالة التدمرية: ٩٥.

(٤) ـ القرآن الكريم، سورة الأعراف: ١٤٣.

(٥) ـ «أهل السُنَّة»: يشكلون غالبية المسلمين؛ وهم فرق إسلامية لا تعتقد بوجود نص علىٰ تعيين الإمامة والخليفة للرسول صلى الله عليه وآله، والأمر موكول للمسلمين لاختيار إمامهم، ويقولون بخلافة أبي بكر وعمر ويقابلهم الشِّيعة.

(٦) ـ شرح مسلم: ٣/١٥.

٢ ـ رب يشبه الإنسان يجلس علىٰ كرسي ورب ليس كمثله شيء

دين التوحيد القرآني كما تقدم ينزه الربّ عن الجسمية والتشبيه والتركيب قال تعالىٰ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، بينما نرىٰ جمعاً قد التزموا قولاً واعتقاداً بالتشبيه والتجسيم، وجمعاً غفيراً منهم ورغم نفيهم للجسمية بالقول إلا أنهم آمنوا بالجسمية اعتقاداً حسب رواياتهم. قال الفخر الرازي: "لأهل العلم في هذا الباب قولان: فالجمهور الأعظم منهم اتفقوا علىٰ تنزيه الله (ﷻ) عن الجسمية والحصول في الحيز، وقال الباقون: أنه متحيز وحاصل في الحيز وهؤلاء هم المجسمة. ثم القائلون بأنه جسم اختلفوا في أشياء، فالأول: أنهم في الصورة علىٰ قولين منهم من قال علىٰ صورة إنسان ومنهم من لا يقول به أما الأول فالمنقول من مشبهة المسلمين أنه تعالىٰ علىٰ صورة إنسان شاب، والمنقول عن مشبهة اليهود علىٰ أنه علىٰ صورة إنسان شيخ"[1]، انتهىٰ كلام الفخر الرازي.

وترىٰ جيداً حسب قول الرازي التقارب الكبير بين معتقد اليهود في الله ومعتقد بعض المسلمين، فرب اليهود شيخ كبير ورب هذه الفئة من المسلمين شاب أمرد كما يأتي خبره. وفي منقولاتِهم أيضاً الكثير مما يثبت اعتقادهم بالتجسيم فقد ذكر المتقي الهندي[2] وابن جرير الطبري[3] وابن كثير[4] والديلمي[5] والشوكاني[6] والسيوطي[7] والعظيم آبادي[8] والهيثمي[9]؛ عن عمر: "إن امرأة أتت النبي (ﷺ) فقالت: أدع الله أن يدخلني الجنة فعظّم الرب تعالىٰ وقال إن كرسيه [عرشه] فوق سبع سماوات وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد إذا ركب من ثقله وفي بعضها "وإنه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع".

ـ رووا عن ابن عباس: "أن محمّداً (ﷺ) رأىٰ ربّه في صورة شاب أمرد من دونه ستر من لؤلؤ قدميه [أو قال رجليه] في خصره".

ـ ورووا أيضاً عن النبي (ﷺ): "لما أسري بي رأيت الرحمن في صورة شاب أمرد له نور يتلألأ وقد نهيت عن وصفه لكم فسألت ربي أن يكرمني رؤيته وإذا هو كأنه عروس حين كشف عن حجابه مستوٍ علىٰ عرشه" ذكر هذه الروايات وأمثالها العجلوني وعبد الله

(١) ـ المطالب العالية: مجلد٢ ج/٢/٢٥.
(٢) ـ كنز العمال: ٣٧٣/١٠ ح٢٩٨٦٣.
(٣) ـ جامع البيان: ١٦/٣.
(٤) ـ تفسير ابن كثير: ٣١٧/١ والبداية والنهاية ١٢/١.
(٥) ـ فردوس الأخبار: ٨٦/٣.
(٦) ـ فتح القدير: ١/ ٢٧٣.
(٧) ـ الدر المنثور: ٣٢٨/١.
(٨) ـ عون المعبود: ٢٤/١٣.
(٩) ـ مجمع الزوائد: ٨٣/١.

بن عدي والذهبي والحلبي والخطيب البغدادي وغيرهم[(١)].

ـ وفي هامش كتاب السيف الصقيل للسبكي عن كتاب "كذب المفتري" لابن عساكر: "أن المعبود ذو قدم وأضراس ولهوات وأنامل وأنه ينزل بذاته ويتردد علىٰ حماره في صورة شاب أمرد بشعر قطط وعليه تاج يلمع وفي رجليه نعلان من ذهب"[(٢)]

ـ وروىٰ عمرو بن عاصم: "إن الله لما قضىٰ خلقه استلقىٰ ثم وضع إحدىٰ رجليه علىٰ الأخرىٰ ثم قال لا ينبغي لأحد من خلقي أن يفعل هذا" [(٣)] وروىٰ البيهقي ذلك في الأسماء والصفات.

ـ وقال ابن باز في جواب سؤال عن رواية أبي هريرة: "خلق الله أدم علىٰ صورته ستون ذرعاً فهل هذا الحديث صحيح؟ قال بعد تصحيح الرواية: "لا غرابة في متنه فإن له معنيان: الأول: إن الله لم يخلق أدم صغيراً قصيراً كالأطفال من ذريته ثم نما وطال حتىٰ بلغ ستين ذراعاً بل جعله يوم خلقه علىٰ صورة نفسه النهائية طوله ستون ذراعاً والثاني: إن الضمير في قوله علىٰ صورته يعود علىٰ الله بدليل ما جاء في رواية صحيحة أخرىٰ [علىٰ صورة الرحمان] وهو ظاهر السياق ولا يلزم علىٰ ذلك التشبيه"[(٤)].

ولا أدري كيف لا يلزم التشبيه وروايتهم وضعت النقاط علىٰ الحروف كما في تفسير ابن باز أن ادم علىٰ صورة الرحمن أي يشبهه في الصورة. ويؤكده وزنه الثقيل الذي أط العرش من ثقله كما في الصحيحة السابقة وحق أن يكون ثقيلاً إذا كان طوله سبعين ذراعاً وهذا ما قلناه من اختلافهم في ربهم بين قائل برب طويل عريض ثقيل وقائل بالتنزيه فأيهما رب التوحيد الصحيح، رب القائلين بالتنزيه أم رب القائلين بالتجسيم؟

٣ ـ رب له ساق ويصعد وينزل ويمشي ورب منزه عن ذلك:

قال أهل التنزيه: إن الصفات التي جاءت في ظواهر الآيات كالوجه واليد وغيرها لابد من حملها علىٰ المجاز، لان حملها علىٰ ظاهرها ينافي التنزيه، وعليه «الشيعة»[(٥)]

---

(١) ـ كشف الخفاء/العجلوني: ١/٤٣٦ والكامل لابن عدي: ٢/٢٦١ وميزان الاعتدال: ١/٥٩٤ والسيرة الحلبية: ٢/١٤٠ وتاريخ بغداد: ١١/ ٢١٤

(٢) ـ السيف الصقيل /السبكي: ص١٠٩

(٣) ـ كتاب السنة: ٢٤٩ الحديث ٥٧٦.

(٤) ـ فتاوى ابن باز: ٤/٣٦٨ رقم ٢٣٣١.

(٥) ـ «**الشيعَةُ**»: هم مَنْ اِنتَهَجوا حُبَّ آلِ البَيْتِ (عليهم السلام) ومَوَدَتَهُم وسَلكوا سَبيلَهُم، وساروا بنَهجِهم، وخالَفوا أصحابَ السقيفةِ ومَقْتَوهُمْ، وفَضَّلَوا عَليّاً (عليه السلام) واعتَقدَوا بولايته وإمامَته وَخِلافَته نَصَّاً ووصيَةً، وأنَّه وأهْلَ البَيْتِ (عليهم السلام)

والمعتزلة وكثير من أهل السُنّة قال النووي: "قال القاضي عياض: لا خلاف بين المسلمين قاطبة فَقيهِهم ومحدثهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالىٰ في السماء ليست علىٰ ظاهرها بل مُتأوَلة عند جميعهم"[١]. وفي مقابلهم ذهب جمع كبير من المسلمين لاسيما في العصور المتأخرة إلىٰ تحريم التأويل وانقسموا إلىٰ طائفتين:

ـ **الطائفة الأولى**: تفوض أمر تلك الصفات إلىٰ الله مع الاعتقاد بها كما جاءت، ذكر السيوطي في الدر المنثور: "دخل رجل علىٰ مالك بن أنس، فقال يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف إستواؤه؟؟ فاطرق مالك وأخذته الرحضاء، ثم رفع رأسه فقال: الرحمن علىٰ العرش إستوىٰ كما وصف نفسه، ولا يقال له كيف، وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوءٍ صاحب بدعةٍ أخرجوه قال: فأخرج الرجل"[٢]. واخرج البيهقي عن أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: "كلما وصف الله نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه" فهذه الطائفة تؤمن بالتجسيم ولكن دون كيف.

ـ **الطائفة الثانية**: قالت بتحريم التأويل وأيضا تحريم تفويض معناها إلىٰ الله تعالىٰ فذهبت إلىٰ القول بوجوب حمل الصفات الواردة في القرآن علىٰ ظاهر اللغة أي علىٰ المعنىٰ الظاهري الحسي المادي فإن الرب عند هؤلاء جميعاً يكشف لهم عن ساقه يوم القيامة وبهذه العلامة يعرفه المؤمنون حينئذ، فعن البخاري: سمعت النبي (ﷺ) يقول: "يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة"[٣].

وذكر عمرو بن أبي عاصم عن أبي هريرة: إذا جمع الله تعالىٰ العباد لصعيد واحد، نادىٰ مناد ليلحق كل أمة ما كانوا يعبدون، ويبقىٰ المسلمون علىٰ حالهم فيأتيهم فيقول ما بال الناس ذهبوا وأنتم هاهنا فيقولون ننتظر إلهنا!! فيقول: فتعرفونه؟؟ فيقولون: إذا تعرّف لنا عرفناه، قال: فيكشف لهم عن ساق فيقعون سجداً"[٤].

ونقل الزيلعي وابن أبي شيبة والسيوطي وابن أبي حاتم الرازي عن أبي هريرة في

أحَقُّ بالإتِباعِ؛ وأن الإمامة في ولده (عليهم السلام) من أبناء فاطمة الزهراء (عليها السلام) وأول مَنْ وَضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو الهادي البشير ﷺ.

(١) ـ شرح مسلم: ٢٤/٥.

(٢) ـ الدر المنثور: ٩١/٣.

(٣) ـ صحيح البخاري: ٧٢/٦.

(٤) ـ كتاب السنة لعمرو بن أبي عاصم: ٣٢٧.

حديث طويل: "ثم يتمثل الله للخلق حتىٰ يمر المسلمون فيقال لهم من تعبدون فيقولون نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، فيقال: هل تعرفون ربكم؟ فيقولون: سبحان الله إذا تعرّف لنا عرفناه، قال عند ذلك يكشف عن ساق.."[١].

ولم يوضح هؤلاء معنىٰ كشف الساق والعلامة التي بها يعرفون ساقه فهل هو الحرق الذي أصابه حين وضع رجله في نار جهنم لإسكاتها أم شيء أخر؟؟ قال ابن بطوطة: وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين ابن تيمية كبير الشام يتكلم في الفنون إلا أن في عقله شيئاً، وكنت إذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس علىٰ منبر[٢] الجامع ويذكرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: إن الله ينزل إلىٰ السماء الدنيا كنزولي هذا ـ ونزل ربعة من ربع المنبر ـ فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به، فقامت العامة إلىٰ هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتىٰ سقطت عمامته[٣].وهكذا هو الباطل دائماً، يستقطب العوام ليقمع بضجيجهم وتهورهم أهل الحق. وفي الصحيحين: إن النار لا تمتلئ حتىٰ يضع الله (عزّ وجلّ) رجله [قدمه] فيها فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوىٰ بعضها إلىٰ بعض"[٤]. ومسالة التجسيم هذه ليست خرافة أو تهمة بل هي حقيقة غير خفية علىٰ المسلمين وهو معتقدُ جمٍ غفير منهم، فأي الفريقين هو علىٰ التوحيد الصحيح؟؟

٤ ـ رب كان في الأزل معه الهواء ورب كان ولم يكن معه شيء:

ركبت المجسمة الصعب بقولها المكان والجهة والجسم لربها، وخانتها معرفتها بطغيان الجهل فاضطرت إلىٰ زخرف القول في بيان معتقداتها، فقد تصوروه وكأنه شيء كالأشياء له مكان محدد لذلك جوزوا عليه الأين والكيف ومتى، فلو سئلوا أين ربكم تقبلوا السؤال وبحثوا في خزانة الجهل عن جواب الأين والمتى، والأغرب نسبتهم ما أخذوه عن كعب الأحبار وابن سلام وتميم الداري إلىٰ النبي (صلى الله عليه وآله) وإليكم النص المذكور في كتبهم المعتمدة عن ذلك، فقد ذكر الترمذي وأحمد بن حنبل وعمرو بن عاصم وابن حبان وابن

(١) ـ تخريج الأحاديث: ٤/٧٨ والمصنف لابن أبي شيبة: ٨ /٦٧٦ والدر المنثور: ٦/٢٥٧ وتفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٣٦٧.

(٢) ـ «مِنْبَر»: مرقاة متنقلة ذات درجات؛ مكان مرتفع يقفه الإمام لإلقاء الخطبة.

(٣) ـ رحلة ابن بطوطة: ص ٩٠.

(٤) ـ صحيح البخاري: ٦/ ٤٧ ـ ٤٨ وصحيح مسلم: ٨/٥١ ـ ١٥٢ ومسند أحمد ٢/٣١٤.

جرير الطبري والسمعاني وابن العربي وغيرهم عن ابن زرين العقلي انه: "قال: يا رسول الله أين كان ربنا (ﷻ) قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه علىٰ الماء"[١].

إن النص المذكور يظهر بوضوح محدودية الرب لتعيينه الفوقية والتحتية له فهو أشبه شيء بجسم طائر معلق في فضاء ليس فيه إلا الهواء فهو علىٰ هذا الوصف جسم لا محالة، والنص أيضاً مخالف للوحدانية الأزلية "كان ولم يكن معه شيء" والحديث المتقدم يثبت أن الهواء كان معه فلم يكن أحديا في الأزل وهو ما ينافي معتقد الشطر الآخر من المسلمين المنزهين.

٥ ـ قديم واحد لا شريك له في القدم وقدماء متعددون:

ذهب بعض المسلمين إلىٰ أن الله تعالىٰ واحد لا شريك له، كان في الأزل ولا شيء معه وأن صفاته الذاتية هي عين ذاته لا إثنينية بين الصفات والذات بينما ذهب بعضهم الآخر إلىٰ تعدد القديم باعتبار أن الصفات خارجة عن الذات وهي قديمة بقدم الذات حتىٰ ذهب بعضهم إلىٰ القول بان القرآن بورقة وجلده قديم، وقد تقدم ما رووه من أن الرب كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء. وهذا يعني ان الهواء قديم بقدم الذات وأن الصفات كلها قديمة فالأزلي متعدد عندهم بخلاف أهل التنزيه. ويشبه قول هؤلاء ما ذهب إليه الفلاسفة المسلمون أيضاً من أنه تعالىٰ هو العلة التامة للمعلولات، وبما أن المعلول لا يتخلف عن علته التامة حسب قواعدهم فوجب أن يكون المعلول الأول مقارنا لوجود العلة التامة، وبما أنهم قالوا بأزلية الباري تعالىٰ [أو علة العلل] فلا محيص لهم من القول بقدم معلوله لعدم الانفكاك بين المعلول وعلته التامة، وبالتالي يستلزم القول برأيهم القول بتعدد القديم. فهل الرب الحقيقي هو القديم الأحد أم هو المتعدد؟

٦ ـ رب يهلك كل جوارحه إلا الوجه ورب غير هالك منه شي:

قال تعالىٰ: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[٢]، ورأي أهل التنزيه فيها واضح فالوجه عندهم الله أو الذات الإلهية أي لا يبقىٰ شيء سوىٰ الله، أما الذين فوضوا التأويل والذين

---

(١) ـ سُنن الترمذي: ٣٥١/٤، مسند احمد: ١٢/٤، كتاب السنة٢٧٢، صحيح ابن حبان: ٩/١٤، جامع البيان: ٧/١٢ تفسير السمعاني٤١٥/٢، الفتوحات المكيه٢١٥/١.

(٢) ـ القرآن الكريم، سورة العنكبوت: ٨٨.

حرّموا التأويل، فلهم في تفسير الآية رأي آخر هو عقيدتهم: نقل الإيجي عن بيان بن سمعان التميمي قوله: "الله علىٰ صورة إنسان ويهلك كله إلا وجهه"[١]، وقال الغرناطي الكلبي: "هو من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير تكييف"[٢]، ومعناه أنه يؤمن بهلاك ربه إلا وجهه لكن من غير كيف. ونقل أبو حيان الأندلسي عن القاضي أبي بكر الطيب قوله: "هذه الصفات زائدة عن الذات ثابتة لله تعالىٰ من غير تشبيه ولا تجديد، وعن الشعبي، نؤمن بها ونقرّ كما نصت ولا نعين تفسيرها"[٣]، فهذه الجبهة ومن يتبعها يقرّون بان ربّهم يهلك ولا يبقىٰ منه إلا وجهه وهذا الربّ لا يعرفه أهل التنزيه.

٧ ـ رب عادل لا يفعل إلا الجميل ورب ظالم قد يفعل القبيح:

في توحيد القرآن، يصف الله تعالىٰ نفسه بقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ ﴾ و ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً ﴾ وفي مقابله هناك من يقول غير ذلك قال النووي: "ومذهب أهل السُنّة أيضاً أن الله تعالىٰ لا يجب عليه شيء تعالىٰ الله بل العالم ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيها ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلاً منه"[٤]، فكيف نوفق بين قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾[٥]، وبين ما ذهب إليه النووي والله تعالىٰ هو القائل ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ فهل يليق بالحكيم أن يفعل ما ينهىٰ عنه ويترك ما يأمر به؟ يأمر بالإحسان والعدل ثم لا يحسن هو ولا يعدل؟ أوليس هو القائل الصادق: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ﴾[٦] فهل من العدل أن يعذب مطيعيه يوم القيامة ويكرم أعداءه بالجنة، فمن هو رب الطائفة الناجية الظالم أم العادل؟

ما قدمناه في هذا الباب نماذج قليلة من صور الاختلاف في الله بين طوائف المسلمين وهي تبين عمق الهوّة بينها في أهم ركن من أركان الإيمان وهو التوحيد، ولو أضفنا إليها مقولة جمع كبير آخر منهم ممن سلكوا مسلك الفلاسفة أو مسالك المتصوفة وكثرة اختلافهم في ذات الله وصفاته لثبت بالقطع حقيقة ما قلناه من أن الاختلاف بين الناس هو إختلاف في أصول الدين وفي ذات الله وصفاته، وهو ما كانت عليه الجاهليّة وأهل

---

(١) ـ المواقف: ٦٧٩/٣.
(٢) ـ التسهيل لعلوم التنزيل: ٥٨/١.
(٣) ـ تفسير المحيط: ٣ /٥٣٥.
(٤) ـ شرح مسلم /النووي ١٦٠/١٧.
(٥) ـ القرآن الكريم، سورة النحل: ٩٠.
(٦) ـ القرآن الكريم، سورة الأنبياء: ٤٧.

الأديان. فكان أكثر الناس في الجاهليّة يؤمنون بوجود إله للكون إلا أنهم اختلفوا فيه، فمنهم من جعله ثاني اثنين ومنهم من جعله ثالث ثلاثة ومنهم من عبده وهو حال في صنم، ولو لاحظنا بعض مذاهب التصوف لرأينا أنها لا تختلف عن عبادة اليهود والنصارى، فإذا قالت طائفة من اليهود: "العزير ابن الله" فعبدوه من دون الله، واذا قالت النصارى: "المسيح ابن الله" فعبدوا الابن من دون الله، فإن المتصوفة بقسميها الاتحادية والحلولية يعتقدون أن الله يحلّ في القطب أو يتّحد به فهو المظهر لله فعبدوا القطب من دون الله، فالدين عندهم هو الطاعة المطلقة للقطب، فبحلول الله فيه أو اتحاده به يصير هو الله بذاته وعينه فلا إله خارج عن دائرة القطب بخلاف اليهود والنصارى.

وإذا كان عبدة الأصنام والصابئون[١] يعتقدون بان الله تعالىٰ أجلّ من أن يتصل به غير روحاني كالبشر، ولأجل ذلك بحثوا عن وسيط يقربهم من الله زلفىٰ فعبدوا أصناماً لهم أو الكواكب والسيارات والأفلاك التي عدوها رموز الوصل، فإن الفلاسفة ومن سار سيرهم قالوا اكبر من ذلك بعد اعتقادهم بأن: "واجب الوجود بسيط الحقيقة غاية البساطة وكل بسيط الحقيقة كذلك فهو كل الأشياء فواجب الوجود كل الأشياء لا يخرج عنه شيء من الأشياء"[٢]وهذا ما قاله الفيلسوف الإسلامي الملا صدرا الشيرازي[٣] صاحب الأسفار، ومن قبله قال محي الدين العربي "سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها"[٤]، وقوله: "وما خلق تراه العين إلاّ عينه حق: أي ليس خلق في الوجود تشاهده العين إلا وعينه وذاته عين الحق الظاهر في تلك الصورة، والحق هو المشهود والخلق موهوم"[٥].

وقوله في الفص الهاروني: "كان موسىٰ أعلم بالأمر من هارون، لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه بأن الله قضىٰ أن لا يعبد إلاّ إياه فكان من عتب موسىٰ أخاه هارون

(١) ـ أحد أقدم الأديان والشرائع التوحيدية، يؤمن أتباعها بأن صاحب رسالتهم هو نبي الله يحيى بن زكريا (عليه السلام)، ينتشرون في بلاد الرافدين وفلسطين، والأهواز. تدعو الصابئية للإيمان بالله ووحدانيته المطلقة، من جملة أسمائه الحسنى عندهم (الحي العظيم، الحي الأزلي، المزكي، المهيمن، الرحيم، الغفور).

(٢) ـ الأسفار /الملا صدرا الشيرازي: ٣٦٨/٢.

(٣) ـ صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي. المتوفى ١٠٥٠ هـ. صوفي فيلسوف. مؤسس مدرسة الحكمة الفلسفية المتعالية. ثالث أهم مدرسة فلسفية في العالم الإسلامي. عُرِفَ بـ[صدر الحكمة وصدر المتألهين]. شرح نظامه الفلسفي في كتابه الأهم [الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة] وأساس مدرسته الفكرية هو [أصالة الوجود].

(٤) ـ الفتوحات المكية ٤٥٩/٢ط دار صادر.

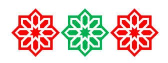
(٥) ـ شرح فصوص الحكم القيصري: ٧١٥.

لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه فإن العارف من يرىٰ الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء»[١]، يعني أن موسىٰ إنما غضب علىٰ أخيه لا لكونه عجز عن ردعهم علىٰ فعلهم بل لأجل إنكاره عليهم عبادة العجل وعدم اتساع قلبه، فهارون لم يكن يعلم أن القوم بعبادتهم العجل إنما عبدوا الله وموسىٰ علم ذلك.

هذا هو قول عارف متفلسف إسلامي يصحح بكل صراحة عباده العجل ويتهم موسىٰ الكليم بموافقته لعبادة العجل وأنه كان أعلم من هارون حيث علم صحة عبادة القوم واحتج علىٰ أخيه هارون لعدم استيعابه ذلك ونهيه أصحاب العجل، فانظروا هذا الملحد المتقمص في ثوب الإسلام كيف يحرف كلام الله بقوله الزور، وكأنه لم يقرأ الآية كاملة والآيات التي تلتها، وكأنه لم يقرأ توبيخ موسىٰ (عليه السلام) للسامري علىٰ فعله، فإذا كان موسىٰ (عليه السلام) موافقاً لعباده العجل فلماذا يوبخ السامري ويدعوا عليه ويقول له: ﴿ وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً * إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾[٢]

أم يقولون إن هذه الآية افتعلها المسلمون وليس من القران؟ فهل من شك بعد هذا في القول بأن الكفر قد اختبأ في قميص الإسلام ليضرب الإسلام في الصميم. فأين توحيد القران من كل هذه الأقوال؟

مما تقدم يظهر بجلاء أن من يسمون بالمسلمين ليسوا علىٰ دين واحد بل لكل فئةٍ دين خاص وعقيدة خاصةٌ في التوحيد آمنت بها وهي مغايرة لعقيدة الآخرين وتكفّر كل فئة من سواها، وكل منهم متمسك بعروته ولا نصيب للحكمة والموعظة الحسنة في إصلاح هذا الشرخ لمكان الحمية التي اختلطت في القلوب كما كانت الجاهليّة الأولى. بل الحق أنها الجاهليّة الآخرة ارتضتها فئات من المسلمين ولأجل ذلك تقمصوا ثوب الإسلام خوف الفضيحة، يدعون إلىٰ دين الجاهليّة في ثوب الإسلام وهم بقية الأحزاب ومقلدة الأسلاف، كل فئة تؤدي دورها في تدمير الإسلام وتشويهه من أجل إحياء دين الأجداد وما الدين إلا لعق علىٰ ألسنتهم يتجملون به ويتسترون علىٰ قبيح ما في بواطنهم من نتن الجاهليّة.



(١) ـ فصوص الحكم: ص ١٠٩٦.

(٢) ـ القرآن الكريم، سورة طه: ٩٧.

الاختلاف في النبوة

كما اختلفت طوائف المسلمين في التوحيد؛ اختلفت كذلك في تفصيلات الاعتقاد بنبوة النبي (صلى الله عليه وآله) وفيما يلي خلاصة عن هذا الاختلاف:

١ ـ شك بعضهم في نبوة النبي (صلى الله عليه وآله):

شك بعض المسلمين في عصر الرسالة بنبوة النبي (صلى الله عليه وآله) ولم يقتصر ذلك علىٰ البعض المذكور وإنما تعداه إلىٰ فئات أخرىٰ كانت تظهر الإسلام سواء في حياة النبي أو بعد وفاته، وبات الشك ثابتاً في أعماق قلوبهم وإن تحاشوا التصريح به، مما دعاهم إلىٰ اقتراح سُنن جعلوها بديلة أمضوها باسم سُنّة النبي (صلى الله عليه وآله) ليحسب علىٰ الإسلام زوراً وهو محور بحثنا في هذا الكتاب ويدل عليه استغناؤهم الصريح عن سُنّة النبي (صلى الله عليه وآله) قولاً وفعلاً، وهذا أحد مواضع الخلاف بين المسلمين. ويقابلهم مذهب لا يعترف بسنّة أولئك جملة وتفصيلاً، ومن أمثلة شك بعض الصحابة الذين يقتدىٰ بهديهم باعتبار حديث "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" ما ذكره ابن حبان وغيره: "أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نزل في بعض المنازل فضلت ناقته فخرج أصحابه في طلبها فقال بعض المنافقين أليس محمّد يزعم أنه نبي ويخبركم بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما أعلم إلا ما علمني الله وقد علّمني أنها في الوادي بين شعب كذا وشعب كذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلِقوا فأتوا بها. فذهبوا فأتوا بها" [١]

والشك وإن نُسب في الرواية إلىٰ مجهول من المنافقين إلاّ أن أمثاله في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) وبعده كثيرون لا يحصرون في عدد بل كانت وما زالت علىٰ هذا الرأي وهم طوائف محسوبون علىٰ الإسلام، لكن الأتباع حكموا بإسلامهم وقداستهم بإعتبار أن الصحبة تذهب رجس النفاق وصار عدد كبير منهم أئمة لشطر من المسلمين. نقل الواقدي عن ابن عباس، قال: "قال لي عمر في خلافته وذكر القضية [صلح الحديبية]: ارتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمت إلاّ يومئذٍ" [٢] ومواقف أخرىٰ نذكرها في محلها لا تدع مجالاً للريب في أن بعض المسلمين كانوا يشكون بنبوة نبيهم رغم ادعائهم الإسلام.

---

(١) ـ كتاب الثقاة: ٢/٩٣.

(٢) ـ مغازي الواقدي: ٢/٦٠٧ ط بيروت.

وأما أبو سفيان[١] رأس الشرك الذي يعده مقلدوه رأس إيمان فله في ذلك مقالات تنم عن عدم إيمان بالله والرسول معاً، فقد ذكر ابن أبي الحديد أنه: "مرّ بقبر حمزة وضربه برجله وقال: يا أبا عمارة: إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف صار في يد غلماننا يتلعبون به" [٢] وذكر أبو الفرج في أغانيه وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق: "أنه دخل علىٰ عثمان بعدما عُمي فقال هل من أحد؟ فقالوا لا. فقال اللهم اجعل الأمر أمر الجاهليّة والملك ملك غاصبيه واجعل أوتاد الأرض بني أمية. وفي آخر: يا عثمان إن الأمر أمر عالية والملك ملك جاهلية فاجعل أوتاد الأرض بني أمية" [٣]

وأما معاوية خليفة المسلمين فقد قال لمغيرة بن شعبة عندما طلب منه المغيرة أن يترك إيذاء بني هاشم لأنها أبقىٰ لذكره، قال: هيهات هيهات أي ذكر أرجو بقاءه، ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فما عدا أن هلك حتىٰ هلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر. ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين فما عدا أن هلك ذكره إلا أن يقول قائل: عمر. وابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات "أشهد أن محمّد رسول الله" فأي عَمل يبقىٰ وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك، لا والله إلا دفناً دفناً" [٤].

وسمع معاوية المؤذن يقول: "أشهد أن محمّداً رسول الله، قال: لله أبوك يا بن عبد الله لقد كنت عاليَ الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن تقرن اسمك باسم رب العالمين" [٥] ولا ينكر أن معاوية بات صاحب سُنّة يقتدي بسنته شطر كبير من المسلمين.

---

(١) ـ أبو سفيان صَخر بن حَرب بن أمية بن عبد شمس، من أشد المناوئين للنبي ﷺ بعد البعثة لعب دوراً بارزاً في تأليب المشركين علىٰ النَبيّ ﷺ والمسلمين في بدر وأحد والخندق؛ قاد الأحزاب وأسلم مُرغماً بعد فتح مكة سَنة ٨هـ، وكان لأُخت أبي سفيان قَدَم السَّبق في مُحاربة الرسول والرسالة حتّىٰ نزلت فيها وفي زوجها أبو لهب سورة المسد. لما سمع بتصدّي أبي بكر للخلافة أقبل قائلاً: والله إني لأرى عجاجه لا يطفئها إلاّ دم! يا آل عبد مناف فيم أبوبكر من أموركم! ما بال هذا الأمر في أقلّ حيّ من قريش؟ لم يدم تحمسه طويلاً حتىٰ انقلب موالياً! ولما تسنّم عثمان الخلافة دخل عليه وهو مكفوف، ثم خرج من عنده وهو يقول: **تلقّفوها يا بني أميّة تلقّف الكرة فما من جنّة ولا نار**. مات سَنة ٣٠ هـ وقُبر في البقيع.

(٢) ـ شرح نهج البلاغة: ١٣٦/١٦.

(٣) ـ الأغاني: ٣٢٣/٦، وتهذيب تاريخ دمشق: ٤٠٩/٦.

(٤) ـ شرح نهج البلاغة: ١٣٠/٥.

(٥) ـ شرح نهج البلاغة: ١٠١/١٠.

وأما يزيد[١] بن معاوية؛ الذي هو أمير للمؤمنين وخليفة للمسلمين عند قومٍ إلىٰ يومنا هذا فدينه أشهر من أن يذكر، صاحب مقولة "**لا خبر جاء ولا وحي نزل**"، قاتِل أهل بيت النبي (عليهم السلام) والصحابة الكرام وحارق بيت الله الحرام. وهكذا أمراؤهم أمثال الحجاج بن يوسف[٢] الذي فضل عبد الملك بن مروان علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقد ذكر ابن عبد ربه: أن الحجاج كتب إلىٰ عبد الملك بن مروان: إن خليفة الرجل في أهله أكرم عليه من رسوله إليهم، وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلىٰ منزلة من المرسلين [٣] وهو القائل لما رأىٰ الحجيج يطوفون بقبر الرسول (صلى الله عليه وآله): تباً لهم إنما يطوفون بأعواد ورمّة بالية هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك، ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله [٤].

---

(١) ـ «**يزيد بن معاوية بن أبي سفيان**»؛ ولد في ماطرون دوما في سورية سنة ٢٦ هـ وقبر في دمشق٦٤ هـ، **أمه** مَيْسُونَ بِنْتُ بَحْدَلٍ الْكَلْبِيَّةُ. أول خليفة بالوراثة خلافاً لما اتفق عليه في معاهدة الصلح مع الحسن (عليه السلام) وثاني خلفاء الأمويين حكم ثلاث سنوات وثمانية أشهر [٦٠ ـ ٦٤ هـ]، وفيها ارتكب جرائم عظيمة منها: أمر بقتل الحسين (عليه السلام) سنة ٦١ هـ في **واقعة عاشوراء** وسبي أهل بيت النبي ﷺ إلىٰ الشام، وفي **واقعة الحَرَّة** أباح المدينة المنورة عام ٦٣هـ لجيشه ٣ أيام قُتِل فيها مئات الصحابة وحفّاظ القرآن الكريم ونهبوا الأموال وسبوا الذرية، ووقعوا علىٰ نساء وبنات الصحابة والتابعين وحملت في تلك الأيام ألف امرأة زوج! وثمانمائة حرة وولدن! وكان يقال للمولودين **أولادُ الحرة**! وافتض فيها ألف عذراء وبلغ القتلىٰ من وجوه الناس ١٧٠٠ من الأنصار و١٣٠٠ من قريش! قُتل من الموالي وحدهم ٣٥٠٠ رجل! ومن النساء والصبيان والعبيد عشرة آلاف!! **والهجوم علىٰ مكة المكرمة** عام ٦٤ هـ لقمع المعارضين و**هدم واحرق الكعبة بالمنجنيق**. اشتهر بحبة للطرب والخمر والغناء والصيد واتخاذ الغلمان والكلاب.

(٢) ـ **حَجاج بن يوسف الثقفي**؛ أشهر والٍ لبني أمية علىٰ العراق والحجاز ومن ألد أعداء أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، ولد في الطائف وكان يعمل حفاراً للآبار وراع للمواشي ودباغاً لجلودها؛ قبيح الوجه، صغير الجسد فصيحاً، بليغاً، خطيباً، جباراً، ظالماً، كافراً، فاسقاً، كذاباً، خبيثاً، حقوداً، حسوداً، عنيداً وسياسياً محنّكاً وقائداً مدبراً، مثالبه لا تحصىٰ اعتنىٰ بالإعمار والإصلاح، واهتم بالشعراء والأدباء؛ كان خير وسيلة للتقرب إليه انتقاص الإمام علي (عليه السلام)؛ حاصر البيت الحرام ٦ أشهر و١٧ ليلة حينما استجار به ابن الزبير ورمىٰ الكعبة بالمنجنيق... وكان رجاله يرمونها ويرتجزون:

خطارة مثلُ الفنيق المُزبد
نرمي بها أعواد هذا المسجدِ

شارك في معارك كثيرة وقمع ثورات عديدة؛ بنىٰ واسط ومات فيها سَنة ٩٥هـ. قال فيه عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها، وجئنا بالحجاج لغلبناهم.

(٣) ـ العقد الفريد: ٣٥٤/٢.

(٤) ـ الكامل /المبرد: ٢٢٢/١، شرح نهج البلاغة: ٢٤٢/١٥، وإمتاع الأسماع: ٢٥٩/١٢.

هذه نبذة مختصرة عن رأي الخلفاء والأمراء في رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهناك الكثير من أمثالها والذي يثبت عدم اعتقادهم بالله وشكهم في نبوة النبي (صلى الله عليه وآله) ومع ذلك لهم أتباع يستنون بسننهم، بينما الشطر الآخر يرىٰ أن من كان هذا هو اعتقاده بالنبي فهو علىٰ خط بعيد عن خط الإسلام والمسلمين الذين يعتقدون بحكم قوله تعالىٰ ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ وأن الله تعالىٰ هو من جعل نبيه بهذا المقام المحمود، ومن قال غير ذلك فهو بعيد عن الدين. فأي الفريقين علىٰ صواب؟

٢ ـ اختلافهم في عصمة النبي (صلى الله عليه وآله):

يؤمن بعض المسلمين بعصمة النبي (صلى الله عليه وآله) قبل النبوة وبعدها، عن الخطأ والنسيان والسهو والغفلة مطلقاً، لأن الرسول مرسل ليطاع بإذن الله، والأمر مطلقا بإطاعة الرسول، معناه أنه معصوم ولولاه لما صح الأمر بطاعته مطلقاً وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ ﴾ حيث أمر بمطلق المتابعة وهذا هو معنىٰ العصمة المطلقة وإلّا وجب استثناء الموارد التي يدّعي بعض المسلمين عدم عصمته فيها ومما يدل علىٰ عصمته مطلقا، قوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [(١)]. إن الأمر مطلقاً بالتأسي به دليل علىٰ عصمته، لأنه لو كان معصوماً في جهة خاصة دون جهة لما كان الأمر بمطلق التأسي به وجه، وبناء علىٰ حكم العقل ومفاد هذه الآيات آمنوا بعصمته (صلى الله عليه وآله) وأن قوله وفعله وتقريره حق مطابق لرضا الله تعالىٰ ولا طريق لاحتمال تطرق السهو أو النسيان أو الخطأ إليه بوجه.

وفي مقابلهم برز من حدد العصمة في حدود تبليغ الشرع بعد النبوة فقط فالنبي ليس بمعصوم عندهم في أفعاله وتصرفاته وأقواله غير التبليغية خلال نبوته وأما قبل نبوته فليس بمعصوم عندهم في شيء حتىٰ الكفر. ولا يخفىٰ ما يترتب علىٰ الرأيين من آثار في خصوص سننه القولية والفعلية والتقريرية، وكذلك في تقييم شخصية النبي بما يناسب تطبيقه مع ما وصفه الله تعالىٰ به من الخلق العظيم وما يعتقده المسلمون من أنه أشرف الأنبياء والمرسلين. فهل النبي معصوم مطلقاً أو غير معصوم؟

---

(١) ـ القرآن الكريم، سورة الأحزاب: ٢١.

٣ ـ اختلافهم في كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

كما اختلفوا أيضاً في كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فمنهم من يقول بأن كلامه كله حق وصدق، مستندين إلىٰ دليل العصمة من ناحية وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [١] من ناحية أخرى. وكذلك قوله تعالىٰ:﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[٢]. فالأخذ بمطلق ما يقول والانتهاء عن كل ما ينهىٰ عنه في جميع حالاته دليل علىٰ عصمته.

بينما لم يقبل الآخرون منه إلاّ القرآن كما هو الثابت عملياً من سيرة الصحابة فقد رفضوا قوله في مواطن متعددة وخالفوا أوامره في أخرىٰ بل كان رأيهم في النبي أنه كسائر الناس يقول في الرضا والغضب، كما في رواية أبي داود: عن عبد الله بن عمرو قال: "كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أريد حفظه فنهتني قُريش وقالوا أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بشر يتكلم في الغضب والرضا؟! فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأومأ بإصبعه إلىٰ فيه فقال: اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق!"[٣]، ورواه أحمد أيضاً [٤]، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمطلق: إنه لا يخرج من فيه إلا الحق؛ دليل إضافي علىٰ ما ذهب إليه القائلون بالعصمة.

وذكروا في أصح كتبهم بعد كتاب الله أنه: "لما اشتد بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ائتوني بكتاب أو بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده فقال عمر إن رسول الله قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله...الخ" [٥]. وفي بعضها انه يهجر.

وكذلك موقفهم فيما صدر منه في غدير خم تلك الواقعة المشهورة عند وصيته بالكتاب والعترة "إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وانهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". ولقد تعامل الصحابة مع هذه الواقعة العظيمة معاملة المهملات فتناسوها وكأنها لم تقع؛ ولم يراعوا وصية النبي بأهل بيته كما لا يخفىٰ معاملتهم مع علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) علىٰ أحد من المسلمين. وهو دليلٌ واضح علىٰ لا اباليتهم بمقام النبوة ومقاله وانشغالهم بهمّ أكبر من الإسلام والدين.

---

(١) ـ القرآن الكريم، سورة النجم: ٣.
(٢) ـ القرآن الكريم، سورة الحشر: ٧.
(٣) ـ سُنن أبي داود: ١٧٦/٢.
(٤) ـ مسند أحمد: ١٩٢/٢.
(٥) ـ البخاري: ١٦١/٨ وصحيح مسلم: ٧٦/٥.

فهل الخط الإسلامي الصحيح هو؛ خط القائلين بأن كلام النبي كله وحي لا يجوز ردّه أو خط الذين لا يرون ذلك ويعتقدون أن النبي بشر يخطأ ويصيب، ولهذا أجازوا تصحيح الكثير من الأحكام بآرائهم حتىٰ باتت تلك الآراء جزءً من أحكام الإسلام، كمتعتي الحج والنساء وبينونة الطلاق بالثلاث وغيرها مما يأتي من موارد الخلاف.

٤ ـ اختلافهم في قضاء رسول الله (ﷺ):

قال تعالىٰ ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً ﴾ [١]. فآمن شطر من المسلمين بهذه الآية التي عينت صلاحيات الرسول (ﷺ) واستسلمت لكل أوامره ولا تحيد عن عقيدتها قيد أنملة، فهي مازالت متمسكة بما أراد، رغم مخالفتها للجمهور الذي وجهتهم السلطة صوب توجهاتها وآرائها. إلاّ أن الشطر الآخر منهم ادّعوا قولاً بالالتزام، وخالفوا عملاً في مواطن، بل عارضوا الرسول (ﷺ) فيما اتخذ من مواقف وخالفوا سننه من بعده علناً وسياتي تفصيل المخالفات الرسمية لسننه (ﷺ) في فصل لاحق. لقد؛

ـ عارضوا توقيعه صلح الحديبية بشدة حتىٰ قال لهم النبي (ﷺ): "إنما أعمل بما يأمرني به الله ربي" [٢]

ـ وعارضوه عندما زوج فاطمة[٣] من علي (عليهما السلام)، فقال (ﷺ): "إن الله أمرني أن أزوج

---

(١) ـ القرآن الكريم؛ سورة الأحزاب: ٣٦.

(٢) ـ تاريخ الطبري: ٦٢٤/٢ وتاريخ عمر بن الخطاب: ٥٨.

(٣) ـ «**فاطمة الزهراء**» بضعة المصطفىٰ ﷺ؛ **أمُها** [**خديجة بنت خُوَيْلِد** بن أسد بن عبد العُزّىٰ بن قُصَي. من سادات قريش وأشرافها، دعوها في الجاهلية بالطاهرة ولقبها المصطفىٰ ﷺ بـ[**خديجة الكُبرىٰ**]، أم المؤمنين وأول زوجة للنبي ﷺ وأولُ الخلق إسلاماً بإجماع الأمة؛ جدّة الذرية المباركة وسيرتها أسوة ونبراس لنساء العالمين؛ توفّت قبل الهجرة بثلاث سنين؛ سَمّىٰ الرسول ﷺ سَنة وفاتها بعام الحزن]. **زوجها** علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ أم الحسنين (عليهما السلام) وأحد "أصحاب الكساء الخمسة" والمعصومين الأربعة عشر؛ كانت وبعلها وبنيها من خرج بهم النبي مُحمد ﷺ لمباهلة نصارىٰ نجران. رفضت بيعة أبو بكر لما رأت فيها نقضاً لبيعة الغدير؛ صودر إرثها ـ **فدك** ـ الذي خصّها النَبيّ ﷺ به، أصيبت أثناء اقتحام منزلها من قبل أنصار أبي بكر بأمر منه وبإشراف عُمر بن الخطاب لأخذ البيعة منها عنوة فألزمها الفراش آخر أيامها إلىٰ أن أودىٰ بها شهيدة في ٣ جمادي الأولىٰ سَنة ١١ هـ. توفت ساخطة علىٰ أبو بكر؛ أوصت ان يوارىٰ جثمانها الثرىٰ ليلاً وخُفية ولا يطّلع علىٰ ضريحها أحد؛ خصّتها سورة **الكوثر** وشملتها

فاطمة من علي" [١].

ـ وعارضوه عندما سدّ الأبواب إلاّ باب علي (عليه السلام) [٢].

ـ وعارضوه عندما اخرج أهل المسجد وترك علياً (عليه السلام) [٣].

ـ وعارضوه يوم غدير خم عندما نصب علياً (عليه السلام) خليفة له بقوله **"من كنت مولاه فعلي مولاه"** [٤].

ـ وخالفوه يوم أرسل جيش أسامة حتىٰ أنه (صلى الله عليه وآله) لعن المتخلف عنه ولم يعبئوا بذلك.

ـ وخالفوه يوم وفاته حين أراد أن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده **وقالوا إنه يهجر**،[٥] وفي مواطن أخرىٰ كثيرة.

فهل يلتقي آراء الموالين للتسليم والمعارضين؟ كيف وقد اتُّهم المخالفون لأوامر الرسول، بعدم الإيمان بسنته (صلى الله عليه وآله) في حياته باستغنائهم عنه (صلى الله عليه وآله) علناً يوم وفاته بقولهم "حسبنا كتاب الله" [٦]، وبعد وفاته بترك سننه وابتداعهم سنناً بديلة فرضت علىٰ المسلمين تحت عنوان سُنن النبي (صلى الله عليه وآله) بعد تنزيلهم الصحابة منزلة النبي وعدّ مخترعاتهم سنناً نبوية. ففي أي الواديين يقع الإسلام المحمّدي.

٥ ـ اختلافهم في احترام مقام النبي (صلى الله عليه وآله) وحرمة التنقيص والأذية:

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾[٧]. لا شك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد فارق الدنيا وهو راض عن شطر من أصحابه المؤمنين وغير راض عن شطر آخر من المتلبسين بالإسلام نفاقاً ولا يدفع شين

آيات: التطهير والإطعام والمودة والمباهلة وذي القربىٰ وخير البرية؛ وردت في حقّها وفضيلتها أحاديث كثيرة منها: حديث البضعة والمنزلة؛ وأن غضبها غَضَب الباري ورضاها رضاه (عز وجل).

(١) ـ الكبير، الطبراني: ١٠/١٥٦ ح ١٠٣٠٥.

(٢) ـ مسند أحمد: ٤/٣٦٩.

(٣) ـ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ٣/١١٧.

(٤) ـ شواهد التنزيل/ الحسكاني: ٢/٣٩.

(٥) ـ منع عمر من أن يكتب النبي (صلى الله عليه وآله) عند مماته كتاباً وقال: [**إن الرجل ليهجر**] أو: [إن النبي غلبه الوجع] بألفاظ مختلفة في: [١]ـ صحيح البخاري ج١/٣٢ كتاب العلم/ وج٤/ ٧ كتاب المرضى/ وج٤/٢٧١ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ وج٢/١٧٨ كتاب الجهاد والسير/وج٤/٦٢ باب الجزية والموادعة. [٢]ـ صحيح مسلم ج٣/١٢٥٩ وج٣/١٢٥٧ [٣]ـ مسند أحمد ج١/٢٤ و٢٢٢ وج٣/٣٤٦. وغيرها كثير...

(٦) ـ صحيح البخاري: ٥/١٣٨ ومسلم: ٥/٧٦.

(٧) ـ القرآن الكريم، سورة الأحزاب: ٥٧.

المنافقين من الصحابة المغضوب عليهم اختراع أحاديث منسوبة إلىٰ النبي مثل قولهم "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم". فهذا الحديث كذّبه علماء الفرق أجمع، فاسمع ما يقوله المباركفوري وهو من علماء الجماعة:

"قال الحافظ في التلخيص حديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم رواه عبد بن حميد في مسنده[١] من طريق حمزة النصيبي عن نافع عن ابن عمر وحمزة ضعيف جداً ورواه الدارقطني في غرائب مالك من طريق حميد بن زيد عن مالك عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جابر وحميد لا يعرف ولا أصل له في حديث مالك ولا من فوقه وذكره البزار من رواية عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن عمر وعبد الرحيم كذّاب ومن حديث أنس أيضاً وإسناده واهي ورواه القضاعي في مسند الشهاب؛ له من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وفي إسناده جعفر بن عبدالواحد الهاشمي وهو كذاب، ورواه أبو ذر الهروي في كتاب السُنّة من حديث مندل عن جويبر عن الضحاك بن مزاحم منقطعا وهو في غاية الضعف قال أبو بكر البزار هذا الكلام لم يصح عن النبي (ﷺ) وقال ابن حزم هذا خبر مكذوب موضوع باطل" [٢].

وقال الشنقيطي: وأما استدلالهم علىٰ تقليدهم[٣] بحديث "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" فهو ظاهر السقوط أيضاً إعلم أولاً أن الحديث لا يصح عن النبي (ﷺ) فهو حديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به فجميع طرقه ليس فيها شيء قائم[٤] وقال ابن حزم وأما الحديث المذكور فباطل مكذوب من توليد أهل الفسق[٥].

ومما لا شك فيه أن من الصحابة من آذىٰ النبي (ﷺ) بلسانه، ومنهم من تآمر علىٰ قتله في العقبة عند رجوعه من تبوك، ومنهم من آذاه في أهل بيته فقد ذكر الرواة قوله "فاطمة بضعه مني فمن آذاها فقد آذاني..." [٦] وقد علم الخاص والعام ما جرىٰ عليها بعد وفاة أبيها وأنها ماتت وهي غاضبة علىٰ جمع من الصحابة.

---

(١) ـ «المُسنَد»: من مصطلحات علم الحديث؛ وهو الخبر أو الحديث الذي اتصل إسناده من راويه إلىٰ قائله، قد يكون متصلاً أو منقطعاً.

(٢) ـ تحفة الأحوذي: ١٠ /١٥٥ـ١٥٦.

(٣) ـ «التَقليد»: هو العمل مطابقاً لفتوى الفقيه الجامع لشرائط الفتوى.

(٤) ـ أضواء البيان: ٧/٣٣٠ـ٣٣١.

(٥) ـ الأحكام: ٥/٦٤٢.

(٦) ـ المستدرك، النيسابوري: ٣/١٥٩ والسُنن الكبرى، البيهقي: ١٠/٥٠٢ وفتح الباري /ابن حجر: ٩/٢٨٧ وكنز العمال: ١٢/١١١.

وقال (ﷺ) في علي (عليه السلام): وهو أخذ بشعره: "من آذىٰ شعرة منك فقد آذاني ومن آذاني فقد آذىٰ الله ومن آذىٰ الله فعليه لعنة الله" [١]. وقد امتدت يد التحريف[٢] إلىٰ هذه الرواية كما هو المشهود في بعض الكتب المشهورة إذ بدلت كلمة [منك] إلىٰ كلمة [مني] ليوهموا القارئ بالمراد، وأن النبي (ﷺ) قد قصد نفسه، وهم جميعاً ينقلون الرواية عن علي (عليه السلام) وقد تناسوا أن النبي (ﷺ) في غنىٰ عن قول من آذىٰ مني شعرة بعد صراحة الآية المتقدمة وأنه (ﷺ) أراد تعميم أذيته لتشمل المقربين إليه وهم أهل بيته الذين أوجب الله مودتهم فمن أي ملّه نحسب من هجم عليه داره وأحرق بابه وقاده إلىٰ المسجد للبيعة كرها؟ فهل الحق مع من ناوأ علياً وفيمن قاتله في «**معركة الجمل**»[٣] و«**حرب صفين**»[٤] و«**وقعة النهروان**»[٥] أم مع من والآ علياً؟

---

(١) ـ المناقب /ابن مردويه: ٨٠ والمناقب /الخوارزمي: ٣٢٨ وشواهد التنزيل/ الحسكاني: ٢/١٤٢ـ١٤٣ ونظم درر السمطين /الزرندي الحنفي: ١٠٥.

(٢) ـ «**التحريف**»؛ لغةً: الإمالة والعدول عن الموضع. واصطلاحاً؛ له أقسام: *ترتيبي: أي نقل آية من مكان لآخر. *معنىً: أي حمل اللفظ علىٰ معانٍ لا ترتبط بظاهره. *لفظي؛ بالزيادة والنقصان وهو علىٰ ثلاثة أوجه: *حروف أو حركات *كلمات *آيات أو سور.

(٣) ـ «**معركة الجمل**» أول معركة خاضها الإمام علي (عليه السلام) في خلافته، بعد نكث أصحاب الجمل بيعتهم له وساروا نحوه بجيش جرار من مكة إلىٰ البصرة وعرفوا بـ «**الناكثين**»، بقيادة «طلحة بن عبيد الله» و«الزبير بن العوام» و«عائشة بنت أبي بكر» وقعت جمادىٰ سنة ٣٦ هـ في منطقة الخُرَيبَة من نواحي البصرة، وسُميت نسبةً للجمل «عسكر» الذي ركبته عائشة في خروجها أفضت إلىٰ هزيمة نكراء ومقتل «طلحة والزبير» قتل فيها حسب المصادر بين ٦ آلاف و٢٥ ألف. وشهداء جيش الإمام (عليه السلام) بين ٤٠٠ و٥ آلاف

(٤) ـ «**حرب صِفِّين**»؛ معارك دارت رحاها بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية وعُرفوا بـ «**القاسطين**»، في صفر سنة ٣٧ للهجرة في منطقة صفين قرب الرقة في سورية، وصفت بأنها من أعنف وأشرس معارك التاريخ الإسلامي، بلغ ضحاياها سبعين ألفاً، ٤٥ ألفً قتيل من الشاميين و٢٥ ألفً شهيد من جيش الإمام علي (عليه السلام) منهم «عمار بن ياسر» و«خزيمة ذو الشهادتين» و٢٥ من البدريين وانتهت بالتحكيم في رمضان سنة ٣٨ للهجرة.

(٥) ـ «**وقعة النهروان**»؛ معركة وقعت بين الإمام علي (عليه السلام) والخوارج وعُرفوا بـ «**المارقين**»، ممن تمردوا علىٰ خلافته وعاثوا في الأرض فساداً بعد التحكيم حدثت سنة ٣٨ هـ بعد نصح الإمام علي (عليه السلام) لهم قبل المعركة، تفرق الكثير منهم وقتل من بقي إلا عشرة نفر منهم ابن ملجم المرادي ولم يستشهد من أصحاب علي (عليه السلام) الا عشرة نفر

وفي الجنة أم في النار من استن بسنّة من قتل الحسن[١] والحسين وذريتهما. وهل أصحابه كالنجوم واقعاً ليكون الأتباع كلهم أخوة علىٰ دين واحد أم أن بين الفرقاء بعد المشرقين، أئمة يهدون إلىٰ الجنة وأئمة يهدون إلىٰ النار؟

هذه إشارة موجزة ذكرناها للتنبيه علىٰ حقيقة إختلاف المسلمين في أهم ركائز الدين كالتوحيد والنبوة، بل هناك اختلاف بينهم في اليوم الآخر أيضاً وهي اختلافات قاتلة تبعدهم عن بعضهم بُعدَ أصحاب الأديان عن بعضها، غفل عنها الناس بسبب تهاونهم في أمر آخرتهم. وأنا علىٰ ثقة بأن المسألة لو كانت متعلقة بدنياهم ومنافعهم لحسبوا ألف حساب لمواقفهم ولهرولوا بين الأحزاب والحكام والأسواق والأماكن بحثاً عما هو الأنفع لهم ولمّا جمدوا علىٰ سوق كاسدة لا ربح فيها، ولفسخوا معاهداتهم وشراكاتهم مع من ثبت خسارة صفقاته. وقد صدق فيهم قول الشاعر:

أبُني إنّ من الرجال بهيمة ... في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله ... وإذا أصيب بدينه لم يشعر

إن هذا الاختلاف الكبير وهذا التهاون المشهود يدلّان علىٰ أن هناك فئات لا يهمها دينها بقدر ما يهمها أهدافها المكنونة في صدورها، كما أن إصرارها في استخدام سيف الإسلام بالباطل ينم عن ضمير مستتر في هذه الأمه لا يجرؤ العارفون علىٰ تعريفه خوفاً من بطشها بعد أن استولت علىٰ مراكز القدرة في أرض الإسلام، وهذا الخط هو الذي يهمنا في هذا البحث.

(١) ـ «**الحسن بن علي بن أبي طالب**» (عليه السلام)؛ **أمه**: فاطمة الزهراء (عليها السلام)؛ سبط النَبيّ الأمين صلى الله عليه وآله الأكبر وثاني أئمة أهل البيت(عليهم السلام) وأحد "أصحاب الكساء الخمسة" ولد في ١٥ رمضان سَنة ٣ هـ؛ تولىٰ الإمامة والخلافة بعد الإمام علي (عليه السلام)؛ شملته آيات: التطهير والإطعام والمودة والمباهلة وذي القربىٰ وخير البرية؛ وما ورد في حقّه عن النَبيّ صلى الله عليه وآله "ابناي هذان ـ الحسن والحسين ـ إمامان قاما أو قعدا"، "انهما سيدا شباب أهل الجنة"؛ حاربه معاوية علىٰ الخلافة وانتهت الحرب سَنة ٤١ هـ بالصلح علىٰ شروط سرعان ما نكثها معاوية ودس إليه السُم بواسطة زوجة الإمام الحسن (عليه السلام) جعدة بنت الأشعث فاستشهد علىٰ اثرها في ٧ أو ٢٨ صفر سَنة ٥٠ هـ مسموماً ودفن في البقيع بجوار جدته فاطمة بنت أسد (عليها السلام) بعد ما منعتهم عائشة بنت أبي بكر بتحريضٍ من مروان بن الحكم وبني أمية من أن يدفنوه بجوار جده رسول الله صلى الله عليه وآله بقولها "**لا تُدخِلوا عليَّ من لا أُحِب**" ورموا نعشه بالنبال والسهام وكاد أن تقع حربٌ بين بني هاشم وبني أمية.

لقد ثبت بما لاشك فيه أن قوىٰ متقمصة تبنت فكرة إحياء الجاهليّة الأولىٰ بكل تفاصيلها بعد أفول نجمها بمجيء الإسلام فعقدت العزم علىٰ إحياء تراثها المندثر، وتمكنت بإعمال النفاق من اختراق الإسلام ونجحت بتدليسها في تغرير المسلمين ومن ثم الركوب علىٰ أكتافهم لتحيي جاهليتها في صورة الإسلام، ولتوضيح ملابسات هذه المؤامرة لابد من التذكير بالحضارة الجاهليّة ومجمل ما حوتها من تقاليد وأحكام ليتَسنىٰ الوقوف علىٰ فلسفة التغييرات التي طرأت علىٰ قوانين الإسلام بعد عهد الرسالة والتي جرت علىٰ يد أبطال هذه الفكرة، وفيما يلي نبذة عن الحياة الجاهليّة التي تهمنا في متابعة خيوط التغيير.



نبذة
عن الجاهليّة الأولى

ـ معنىٰ الجاهليّة:

قيل في سبب تسمية عصره بالجاهلي الكثير، ومردّ الأقوال كلها إلىٰ شيء واحد وهو خضوع المجتمع فيه ـ إلاّ اللمم ـ لحكم الجهل الناجم عن تسلط القوىٰ الشهوية علىٰ العقول واستحكام قبضة القوة الغضبية في النفوس حيث انقسم الناس بسبب اختلال الموازين إلىٰ ذئاب تَنهش وشياه تُنهش، وتجسد في عالم ذلك العصر مصطلح شريعة الغاب بأجلىٰ صورها، وما ينقل أحيانا من آثار لبقايا العقل في صورة أمثال وحكم ومواقف خاصة ما هي إلاّ من النادر الذي استثنيناه وهم أقل القليل المتبقي من أتباع الإبراهيمية الحنيفة.

وإذا كان لابد من توثيق ما قلناه في الإسم والرسم الجاهلي، فلا أجد أوثق مما ورد من ذلك في لسان الكتاب والسُنّة، فهما الأصدق في التعبير، والأقرب إلىٰ الحدث، فمما جاء في هذا الباب من الكتاب إشارات منها:

١ ـ جور أحكامهم وبعدها عن الحق في قوله تعالىٰ: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [١].

٢ ـ ترتب الأثر علىٰ الظنون والأوهام بقوله تعالىٰ: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾[٢].

٣ ـ استيلاء الحمية علىٰ قلوبهم في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾[٣].

٤ ـ شيوع ظاهرة التبرج بقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾[٤].

أما ما جاء في السُنّة الشريفة فمنها:

قول الرسول (صلى الله عليه وآله): إنما سميت الجاهليّة لضعف أعمالها، وجهالة أهلها... إن أهل الجاهليّة عبدوا غير الله ولهم أجل ينتهون إلىٰ مدته ويصيرون إلىٰ نهايته مؤخر عنهم العقاب إلىٰ يوم الحساب، أمهلهم الله بقدرته وجلاله وعزّته فغلب الأعز الأذل وأكل الكبير فيها الأقل...»[٥]. وعن عليٍ (عليه السلام) قال: «أيها الناس، إن الله تعالى أرسل إليكم الرسول (صلى الله عليه وآله)

(١) ـ القرآن الكريم، سورة المائدة: ٥٠.
(٢) ـ القرآن الكريم، سورة آل عمران: ١٥٤.
(٣) ـ القرآن الكريم، سورة الفتح: ٢٦.
(٤) ـ القرآن الكريم، سورة الأحزاب: ٣٣.
(٥) ـ تاريخ المدينة لابن شبة النميري: ٢/٥٥٨.

وأنزل إليه الكتاب بالحق وأنتم أميون عن الكتاب ومن أنزله، وعن الرسول ومن أرسله علىٰ حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم، وانبساط من الجهل واعتراض من الفتنة وانتقاض من المبرم، وعمىٍ عن الحق، واعتساف من الجور، وامتحاق من الدين، وتلظ من الحروب، علىٰ حين اصفرار من رياض جنات الدنيا، ويبس من أغصانها، وانتثار من ورقها، ويأس من ثمرها، واغورار من مائها، قد درست أعلام الهدى، فظهرت أعلام الردى. فالدنيا متهجمة في وجوه أهلها مكفهرة، مدبرة غير مقبلة، ثمرتها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف، مزقتهم كل ممزق، وقد أعمت عيون أهلها، وأظلمت عليها أيامها، قد قطعوا أرحامهم، وسفكوا دماءهم، ودفنوا في التراب الموؤدّة بينهم من أولادهم، يجتاز دونهم طيب العيش ورفاهية خفوض الدنيا. لا يرجون من الله ثواباً، ولا يخافون والله منه عقابا. حيهم أعمىٰ نجس وميتهم في النار مبلس"[١].

وقوله (عليه السلام): "والناس ضلال في حيرة وحاطبون في فتنة قد استهوتهم الأهواء واستزلتهم الكبرياء واستخفتهم الجاهليّة الجهلاء حيارىٰ في زلزال من الأمر وبلاء من الجهل"[٢].

وعن جعفر بن أبي طالب ـ فيما وصف به قومه للنجاشي ملك الحبشة ـ: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ونسئ الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا علىٰ ذلك حتىٰ بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلىٰ الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا [نعبد] نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام... فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه علىٰ ما جاء به، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردّونا إلىٰ عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث"[٣].

(١) ـ الكافي /الكليني: ٦١/١.
(٢) ـ نهج البلاغة خ: ٩٥.
(٣) ـ مسند أحمد: ٢٠٢/١ وج ٢٩١/٥ والسيرة النبوية لابن هشام: ٢٢٣/١ وصحيح ابن خزيمة: ١٣/٤ والدرر لابن عبد البر: ١٣٦.

وأما المؤرخون فقد أدلوا أيضاً دلوهم قال ابن خلدون: "إن الملّة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة وذلك بمقتضىٰ أحوال السذاجة والبداوة، فالقوم يومئذ عرب لا يعرفون أمر التعليم والتأليف والتدوين ولا دُفعوا إليه ولا دعتهم إليه الحاجة... فالأمية يومئذ صفة عامة"[(١)].

وقال البلاذري في الفتوح: "إن الإسلام دخل وفي قُريش سبعة عشر رجلاً وفي الأوس والخزرج في المدينة اثنا عشر رجلاً يعرفون القراءة والكتابة" [(٢)]. والسبب في اختصاص عصرهم بهذه التسمية يظهر من دراسة موقع العرب بين الأمم الأخرىٰ والظروف التي أحاطت بهم؛ حيث يتبين بوضوح خلوّ هذا الشعب من مبدأ حضاري يميزهم، وما يقال من تركهم لميراث كلامي كالخطب والأشعار أو عَملي كالكرم والشجاعة، فهو أبتر من القول لا تجمّل قباحة المنظر ولا سوء ما كانوا عليه من مبدأ هجين، بعيد كل البعد عن مسمّىٰ الحضارة ولا يعالجه ذكر كرامات فردية ظهرت من أفراد من هذا الشعب لم يكونوا أساساً علىٰ دين شعبهم. بل من المجموعة التي تدين بدين إبراهيم الحنيف، وكان عددهم قليلاً.

كانت العرب تجاور الحبشة والروم النصرانية والفرس المجوس آنذاك، وفي أرضهم طوائف من اليهود، وقريب منها الهند ومصر وكانتا علىٰ الوثنية فكانت أغلب العرب علىٰ الوثنية يعيشون حياة القبيلة، وبعضهم الآخر أعتنق ديناً فكانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية في خيبر وبني كنانة وبني الحرث وكانت المجوسية في بني تميم وكانت الزندقة في قُريش[(٣)].

هذا هو الذي أوجد منهم مجتمعاً همجياً بدوياً متخلقاً بأخلاق اليهود والنصارىٰ والمجوس، غارقا في الجهل، يعيشون علىٰ الغزوات وشن الغارات، واختطاف كل ما في أيدي الآخرين، فَخْر رجالهم الحمية وسفك الدم والغرور وحظ النساء الحرمان من مزايا الإنسانية يتزوج بهن الرجال من غير حد كما عند اليهود والوثنيين فلا أمن ولا سلم، والأمر إلىٰ من غلب كما سنبين بعض هذه الصفات في الحديث عن معتقداتهم وأخلاقهم وقد تقدم ذكر ما كانوا عليه من كلام جعفر بن أبي طالب.

(١) ـ مقدمة ابن خلدون: ٥٤٣.
(٢) ـ فتوح البلدان: ٥٨٠/٣.
(٣) ـ مثالب العرب /الكلبي: ١٥٦.

ـ ظاهرة الجاهليّة الأولى:

وصف القران الكريم المجتمع العربي قبل الإسلام بالجاهليّة الأولىٰ في قوله تعالىٰ مخاطبا نساء النبي (ﷺ): ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [١].

وفي هذا الخطاب إشارة صريحة إلىٰ ظاهرة اجتماعية ميزت حضارة الشعب العربي دون سواه من الشعوب، والتاريخ يعضده إذ لا نجد في تراث الأمم الأخرىٰ ولا سمعنا باختصاص أي منها بجاهلية تخصها فليس هناك عصر جاهلي روماني أو عصر جاهلي تركي أو عصر جاهلي فارسي وإن كانت الأمم الأخرىٰ لا تخلوا من جاهلين. فالظاهرة خاصة بتراث العرب، وقد وقع البحث بسبب كلمة [الأولى] الواردة في القرآن الكريم في أن هذه الظاهرة هل كانت وقتية عابرة، كانت وانتهت أم أن إشارة القرآن تدل علىٰ عودتها للعرب من جديد فعبر عن القديمة بالأولىٰ وحذر الناس من عودتها بالتسبب في أحيائها ثانية لتكون الآخرة؟؟

اختلفت الآراء في ذلك، فبعض القدماء ذهب إلىٰ الأول، فقد نقل عن الشعبي قوله: "الجاهليّة الأولى" لا يقتضي أن يكون بعدها جاهلية في الإسلام لأن الأول اسم للسابق تأخر عنه غيره أو لم يتأخر، وقال الرازي: إن هذه ليست أولىٰ تقتضي أخرىٰ بل معناه تبرج الجاهليّة القديمة" [٢]. والأكثر علىٰ اقتضائها ذلك، إذ لا مانع من حياتها من جديد في وقت لاحق لتكون هي الآخرة لاسيما مع التسليم بعدم استئصال الجذور فهي كالسرطان الذي يلتهم جزءا من البدن يعالجه الطب بالاستئصال، ثم يعود ليقضي علىٰ جزء آخر، ويؤيدهم قول ابن عباس: "ما سمعت بأولىٰ إلاّ ولها آخرة" [٣]. وعليه ظاهر قوله تعالىٰ: ﴿ الجاهليّة الأولىٰ ﴾ الذي فيه الأشعار والإنباء بحدوث الأخرى؛ وهو ما حَذَر منه مع عدم وجود ما يمنع من وقوع الأخرى، وذهب إلىٰ ذلك المفسرون منهم؛ السمعاني حيث يقول: "وأما الجاهليّة الأخرىٰ فقوم يفعلون مثل فعلهم وذلك في آخر الزمان" [٤]. كما تؤيده الأخبار الواردة من أهل البيت (عليهم السلام) كقول الصادق (عليه السلام) في قوله الجاهليّة الأولى: "أي ستكون جاهلية أخرى" [٥] وروي عن بن عباس ذلك أيضاً [٦].

---

(١) ـ القرآن الكريم، سورة الأحزاب: ٣٣.
(٢) ـ تفسير الرازي: ٢٠٩/٢٥.
(٣) ـ كنز العمال: ٤٨٠/٢ والدر المنثور: ١٩٧/٥ وفتح القدير /الشوكاني: ٢٨١/٤.
(٤) ـ تفسير السمعاني: ٢٨٠/٤.
(٥) ـ تفسير القمي: ١٩٣/٢.
(٦) ـ أحكام القرآن لابن العربي: ٥٧١/٣.

وأما بخصوص تعيين العصر، فقد اختلفت الأقوال فيه أيضاً بين قائل بأن القديم ما كان بين آدم ونوح؛ وقائل إنه ما كان بين موسىٰ وعيسى (عليهما السلام)، وقائل بين عيسىٰ ومحمّد (صلى الله عليه وآله) والأشهر في تعيينها هو جاهلية الكفر قبل الإسلام، وقد أشار إلىٰ هذا الرأي كثير من المفسرين كابن حيان الأندلسي [١] والنسفي [٢] والبيضاوي [٣] والزمخشري: حيث يقول: "ويجوز أن تكون الجاهليّة الأولىٰ جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهليّة الأخرىٰ جاهلية الفسق والفجور في الإسلام" [٤]. ونقل الآلوسي عن ابن عطية قوله: "الذي يظهر عندي أن الجاهليّة الأولىٰ إشارة إلىٰ الجاهليّة التي تخصهن فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفر وقلة الغيرة ونحو ذلك" [٥].

ويؤيده المشهور حيث يسمون عصرَ ما قبلَ الإسلام بالجاهلي فنسمعهم يقولون: شعراء العصر الجاهلي والأدب في العصر الجاهلي وتاريخ العرب في العصر الجاهلي وهكذا، يريدون العصر المتصل بالإسلام لا زمن نوح وإبراهيم [٨].

وظاهر القرآن أيضاً يؤيد تسمية عهد العرب المتصل بظهور الإسلام بالجاهليّة في الكثير من الآيات التي بينت مشاهد مما كانوا عليه في عهدهم القريب، من حكومة الجهل وسفه الرأي والتعصب الأعمىٰ قال تعالىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾. فابتغاء حكم الجاهليّة يعني ما كانوا عليه قبل الإسلام، واتقاد جذوة الحمية فيهم بظهور الإسلام، لهذا جدّوا واجتهدوا في إنكار الرسالة المحمّدية وفعلوا ما فعلوا للحيلولة دون انتشار الدين الجديد، وهذه إشارة واضحة تدل علىٰ أن ظهور الإسلام كان متصلا بالعهد الجاهلي. وآيات أخرىٰ تدل علىٰ باطل معتقداتهم من خلال بيان أقوالهم في احتجاجاتهم مع النبي (صلى الله عليه وآله) الكاشفة عن كونهم علىٰ تلك الأخلاق قبل مجيء الإسلام.

(١) ـ تفسير البحر المحيط: ٢٢٤/٧.
(٢) ـ تفسير النسفي: ٣٠٥/٣.
(٣) ـ تفسير البيضاوي: ٣٧٣/٤.
(٤) ـ تفسير الكشاف: ٢٦٠/٣.
(٥) ـ تفسير الآلوسي: ٨/٢٢.

ـ دين الجاهليّة:

وردت في القرآن الكريم آياتٌ كثيرةٌ توضح معالم معتقدات الناس في العصر الجاهلي، فهي تقسمهم بين أصحاب معتقدات باطلة وغيرهم، وعند تتبعنا للآيات وجدنا طوائفهم كالاتي:

١: منهم من لم يؤمن بمبدأ أو معاد: وكانوا يرون أن الحياة محدودة في هذه الدنيا تتحكم فيها الطبيعة ولا حياة بعد الموت، شأن الماديين في زماننا: قال تعالىٰ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ (١)

٢: منهم من آمن بمبدا ولكنه عبد غير الله: قال تعالىٰ ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً ﴾(٢) وكانوا يقولون في توجيههم عبادة الأصنام ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾(٣) الدالة علىٰ أنهم كانوا يؤمنون بوجود إله خالق لكنهم اعتقدوا أن لا طريق للإنسان للاتصال بالخالق إلا عن طريق عبادة مخلوقات تراها هي الأقرب إلىٰ الله.

٣: منهم من جعل الولد لله فعبد الولد دون الوالد: قال تعالىٰ ﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً ﴾(٤) و﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (٥)، وعن رسول الله (ﷺ): قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي فزعم إني لا أقدر أن أعيده كما كان، أما شتمه إياي فقوله: "لي ولد" فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً" (٦). وعن مجاهد: وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً: قال كفار قُريش: الملائكة بنات الله وأمهاتهم بنات سروات الجن" (٧).

٤: منهم من جعل الجن والملائكة شركاء لله: قال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ... ﴾ (٨) وقال تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ

(١) ـ القرآن الكريم، سورة الجاثية: ٢٤
(٢) ـ القرآن الكريم، سورة الفرقان: ٣.
(٣) ـ القرآن الكريم، سورة الزمر: ٣.
(٤) ـ القرآن الكريم، سورة الكهف: ٤ـ٥.
(٥) ـ القرآن الكريم، سورة النحل: ٥٧.
(٦) ـ صحيح البخاري: ١٤٩/٥ /تفسير القرآن
(٧) ـ صحيح البخاري: ٩٦/٤ كتاب بدء الخلق
(٨) ـ القرآن الكريم، سورة الأنعام: ١٠٠

إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ [١].

٥: منهم من جعل النسب بين الله والجن: قال تعالىٰ ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [٢]

٦: إنكار المعاد: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ [٣].

٧: تحريم بعض الانعام: ﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ * وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[٤] ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٥]. وعن الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله تعالىٰ: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ... ﴾: إن أهل الجاهليّة كانوا إذا ولدت الناقة ولدين في بطن واحد قالوا: وصلت، فلا يستحلون ذبحها ولا أكلها، وإذا ولدت عشرا جعلوها سائبة، ولا يستحلون ظهرها ولا أكلها، والحام: فحل الإبل؛ لم يكونوا يستحلونه، فأنزل الله (عزّ وجلّ) أنه لم يحرم شيئاً من ذلك" [٦].

٨: تقسيم الحرث والأنعام بين الله والأصنام: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٧] ولاعتقادهم بوجود شركاء لله؛ فقد كانوا يبنون البيوت للشركاء من الأصنام وغيرها ويوفرون المعاش لسدنتها ويخصصون سهما من أرزاقهم وممتلكاتهم من الزرع والماشية للأصنام وسهما لله، فيجعلون سهم الله للنفقات العامة؛ كإطعام الضيف وابن السبيل، أما سهم الأصنام

---

(١) ـ القرآن الكريم، سورة سبأ: ٤٠ـ٤١
(٢) ـ القرآن الكريم، سورة الصافات: ١٥٨
(٣) ـ القرآن الكريم، سورة الجاثية: ٣٢.
(٤) ـ القرآن الكريم، سورة الأنعام: ١٣٨ـ١٣٩.
(٥) ـ القرآن الكريم، سورة المائدة: ١٠٣.
(٦) ـ معاني الأخبار /الصدوق: ١٤٨.
(٧) ـ القرآن الكريم، سورة الأنعام /١٣٦.

فتكون تحت تصرف السدنة. وكان السدنة كلما أصابت الزرع آفة أو أعطىٰ محصولاً أقل أو اختلط سهمهم بسهم الله، يتذرعون بخدعة مفادها "إن الله غني"، فيستوفون سهمهم كاملاً غير منقوص، ويعوضون نقص أسهمهم من سهم الله ولا يعوضون بأي حال من الأحوال سهم الله من سهم الأصنام.

٩: الطواف عرايا: عن الإمام الصادق (عليه السلام): كانت العرب في الجاهليّة علىٰ فرقتين: الحل والحمس فكانت الحمس قُريشاً وكانت الحل سائر العرب، فلم يكن أحد من الحل إلا وله حرمي من الحمس، ومن لم يكن له حرمي من الحمس لم يترك أن يطوف بالبيت إلا عريانا. وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) حرمياً لعياض بن حمار المجاشعي، وكان عياض رجلا عظيم الخطر، وكان قاضياً لأهل عكاظ في الجاهليّة. فكان عياض إذا دخل مكة ألقىٰ عنه ثياب الذنوب والرجاسة وأخذ ثياب رسول الله (صلى الله عليه وآله) لطهرها فلبسها وطاف بالبيت، ثم يردها عليه إذا فرغ من طوافه. فلما أن ظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتاه عياض بهدية فأبىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يقبلها وقال: يا عياض، لو أسلمت لقبلت هديتك، إن الله (عز وجل) أبىٰ لي زبد المشركين. ثم إن عياضاً بعد ذلك أسلم وحسن إسلامه فأهدىٰ إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) هدية فقبلها منه [١]. وفي البخاري: كان الناس يطوفون في الجاهليّة عراة إلا الحمس قُريش وما ولدت، وكانت الحمس يحتسبون علىٰ الناس يعطي الرجل الرجل الثياب يطوف فيها وتعطي المرأةَ المرءةَ الثياب تطوف فيها فمن لم تعطه الحمس طاف بالبيت عريانا[٢]. ونقل الشوكاني: قول ابن إسحاق في سبب طواف الجاهليّة كذلك: "أن قُريشا ابتدعت قبل الفيل أو بعده أن لا يطوف بالبيت أحد ممن يقدم عليهم من غيرهم أول ما يطوف إلا في ثياب أحدهم فإن لم يجد طاف عريانا، فإن خالف فطاف بثيابه ألقاها إذا فرغ ثم لم ينتفع بها" [٣].

كان الجهل الذي خيم علىٰ العرب قبل الإسلام قد مهد لرؤسائهم استغلال تلك الظروف، فانتهزوا بساطه الناس وسخّروا عواطفهم وسنوا أحكاما وعادات اجتماعية تعود عليهم بالمنفعة، وأحدثوا الكثير من البدع.

(١) ـ الكافي /الكليني: ١٤٢/٥
(٢) ـ صحيح البخاري: ١٧٥/٢ الوقوف بعرفة
(٣) ـ نيل الأوطار: ١١٩/٥

ـ الأخلاق في الجاهليّة:

الجاهليّة كانت اسماً لمسمىً، حيث طغىٰ في جوٍّ مجتمعها كل الأمراض الأخلاقية الناجمة عن الجهل كالحمية والتكبر والغرور والتفاخر بالأحساب والأنساب والجشع والظلم والفجور والكذب والغش وقسوة القلب وارتكاب الجريمة، كانوا أتباع هوىٰ وعبيد شهوات وكما جاء في الحديث لا في الدين يتفقهون، ولا عن الله يعقلون، وأخطر صفاتهم التي حذر منها القرآن الكريم والحديث الشريف هي الحمية التي تمكنت من قلوبهم، قال تعالىٰ: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ [١]. وهذا ما حذر منه ونهىٰ عنه رسول الله (ﷺ) **بقوله:** من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهليّة [٢]. **وقوله** (ﷺ): من قاتل تحت رايةٍ عميةٍ يغضب لعصبةٍ أو يدعو إلىٰ عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية [٣] وعن علي (عليه السلام): أطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية وأحقاد الجاهليّة، فإنما تلك الحمية تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته ونزغاته ونفثاته [٤] **وقوله** (عليه السلام): إياكم والتحاسد والأحقاد، فإنهما من فعل الجاهليّة ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون [٥]. وسيأتي المزيد في خصوص هذا العنوان في الفصل اللاحق. فالذي لا شك فيه أن الأخلاق الذميمة كانت هي الطاغية علىٰ النفوس ومن أنواع الرذائل الأخلاقية التي عرف بها العصر الجاهلي والتي أثبتوه بأعمالهم التي لا منكر لها بعد تصريح القرآن هي:

١ ـ **كراهتهم للبنات ووأدهن:** كان من أبغض الأشياء إلىٰ أغلب الرجال في الجاهليّة هو أن يبشر أحدهم بأنثى، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٦]. وقد كان الكثير منهم يدفنون بناتهم وهن أحياء، أكد ذلك القرآن الكريم أيضاً، بقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾[٧]. وعن الإمام الصادق (عليه السلام) جاء رجل إلىٰ

---

(١) ـ القرآن الكريم، سورة الفتح /٢٦.
(٢) ـ الكافي /الكليني: ٣٠٨/٢.
(٣) ـ صحيح مسلم: ٢١/٦
(٤) ـ نهج البلاغة: ١٤١/٢ الخطبة القاصعة
(٥) ـ بحار الأنوار: ٤٠٨/٧٤
(٦) ـ القرآن الكريم، سورة النحل /٥٨ـ٥٩
(٧) ـ القرآن الكريم، سورة التكوير /٨ـ٩.

النبي (ﷺ) فقال إني قد ولدت بنتا وربيتها حتىٰ إذا بلغت فألبستها وحليتها، ثم جئت بها إلىٰ قليب فدفعتها في جوفه، وكان آخر ما سمعت منها وهي تقول. يا أبتاه، فما كفارة ذلك؟ ...[١].

٢ ـ **قتل الأولاد خشية الإملاق**: وقد نهاهم الله عن ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً ﴾ [٢].

٣ ـ **الفحشاء**: وكانت شائعة بينهم ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٣]. وعن الإمام الكاظم (عليه السلام)، في قول الله (عزّ وجلّ): ﴿ قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وما بَطَنَ والْإِثْمَ والْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [٤] قال: "فأما قوله [ما ظهر منها] يعني الزنا المعلن ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهليّة، وأما قوله (عزّ وجلّ) [وما بطن] يعني ما نكح من الآباء، لأن الناس كانوا قبل أن يبعث النبي (ﷺ) إذا كان للرجل زوجة ومات عنها تزوجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمه، فحرم الله (عزّ وجلّ) ذلك" [٥].

٤ ـ **إكراه الفتيات علىٰ البغاء**: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[٦]. وعن الإمام الباقر (عليه السلام): كانت العرب وقُريش يشترون الإماء، ويجعلون عليهن الضريبة الثقيلة، ويقولون: اذهبن وازنين واكتسبن، فنهاهم الله (عزّ وجلّ) عن ذلك [٧].

٥ ـ **رواج الخمر والميسر والأنصاب والأزلام**: وكان شرب الخمر رائجاً في المجتمع الجاهلي بشكل واسع ولا يخفىٰ ما في ذلك من ضرر علىٰ الفرد والمجتمع؛ فالخمر مصدر لكثير من الآثام وحاجز بين المرء وعقله، كما أن القمار كان له سوقاً رائجاً، فنهىٰ الله تعالىٰ عنها بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٨] قال الإمام الباقر

(١) ـ الكافي /الكليني: ٢/١٦٢
(٢) ـ القرآن الكريم، سورة الأنعام /١٥١.
(٣) ـ القرآن الكريم، سورة الأعراف /٢٨.
(٤) ـ القرآن الكريم، سورة الأعراف /٣٣.
(٥) ـ بحار الأنوار: ٤٨/٤٩
(٦) ـ القرآن الكريم، سورة النور /٣٣
(٧) ـ تفسير القمي٢/١٠٢.
(٨) ـ القرآن الكريم، سورة المائدة /٩٠.

(عليه السلام): لما أنزل الله (عز وجل) علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ...﴾ قيل: يا رسول الله، ما الميسر فقال: كل ما تقومر به حتىٰ الكعاب والجوز. قيل: فما الأنصاب: قال: ما ذبحوه لآلهتهم. قيل: فما الأزلام: قال: قداحهم التي يستقسمون بها[١].

٦ ـ **لطخ المولود بالدم:** كانوا إذا ولد لأحدهم مولود لطخوا راسه ووجهه بالدم فنهىٰ الإسلام عن ذلك، فعن أسماء بنت عميس في بيان ولادة الإمام الحسن (عليه السلام): لما كان يوم سابعه عق النبي (صلى الله عليه وآله) عنه بكبشين أملحين، وأعطىٰ القابلة فخذا ودينارا، ثم حلق رأسه وتصدق بوزن الشعر ورقاً، وطلىٰ رأسه بالخلوق ثم قال: يا أسماء، الدم فعل الجاهليّة[٢]. وعن عاصم الكوزي قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يذكر عن أبيه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عق عن الحسن (عليه السلام) بكبش وعن الحسين (عليه السلام) بكبش، وأعطىٰ القابلة شيئاً، وحلق رؤوسهما يوم سابعهما، ووزن شعرهما فتصدق بوزنه فضة. قال [عاصم الكوزي] فقلت له: يؤخذ دم فيلطخ به راس الصبي؟ فقال: ذاك شرك، فقلت: سبحان الله! شرك؟ فقال: لو لم يكن ذلك شركا فانه كان يعمل في الجاهليّة ونهي عنه في الإسلام[٣].

٧ ـ **الطيرة** [التشاؤم بالشيء]: فعن عائشة قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: كان أهل الجاهليّة يقولون: إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار، ثم قرأت: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[٤]، قال الحاكم هذا الحديث صحيح الإسناد.

٨ ـ **الاستعاذة بالجن:** ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾[٥]. وعن زرارة: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾. قال: الرجل ينطلق إلىٰ الكاهن الذي كان يوحي إليه الشيطان فيقول: قل لشيطانك: إن فلاناً قد عاذ بك[٦].

٩ ـ **الذبح للجن:** قال الإمام علي (عليه السلام): إن رسول الله نهىٰ عن ذبائح الجن قيل: يا

---

(١) ـ الكافي /الكليني: ١٢٣/٥.
(٢) ـ وسائل الشيعة /٤٠٨/٢١.
(٣) ـ الكافي /الكليني: ٣٣/٦
(٤) ـ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ٤٧٩/٢
(٥) ـ القرآن الكريم، سورة الجن /٦.
(٦) ـ بحار الأنوار: ٩٨/٦٠

رسول الله، وما ذبائح الجن؟ قال (ﷺ): يتخوف القوم من سكان الدار فيذبحون لهم الذبيحة[١].

١٠ ـ **التولِ**[٢]: إن رسول الله (ﷺ) نهىٰ عن التمائم والتول، فالتمائم ما يعلق من الكتب والخرز وغير ذلك، والتول ما تتحبب به النساء إلىٰ أزواجهن كالكهانة وأشباهها، ونهىٰ عن السحر[٣].

١١ ـ **النوح بالباطل**: قال رسول الله (ﷺ): "النياحة من عمل الجاهليّة" وحملت علىٰ النياحة الباطلة[٤] وعنه (ﷺ) من أمر الجاهليّة النياحة، وتبرؤ امرئ من ابنه، وفخره علىٰ الناس[٥].

١٢ ـ **الحلف بغير الله**: كان الناس في الجاهليّة يحلفون بالأصنام والأشخاص في حلفهم فعن زرارة عن الإمام الباقر (عليه السلام) سألته عن قوله: ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً ﴾؛ قال: إن أهل الجاهليّة كان من قولهم: كلا وأبيك، بلىٰ وأبيك... فأمروا أن يقولوا: لا والله، وبلىٰ والله[٦] وعن الإمام الصادق (عليه السلام): لا أرىٰ أن يحلف الرجل إلا بالله، فأما قول الرجل "لا بل شانئك" فإنه من قول أهل الجاهليّة، ولو حلف الرجل بهذا وأشباهه لترك الحلف بالله. لهذا ورد في الشرع أن اليمين لا ينعقد إلا بالله.

١٣ ـ **نكاح المقت**: هو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه إذا طلقها أو مات عنها، ويقال لهذا الرجل الضيزان وكان الولد منها يسمىٰ مقتي[٧]. قال الآلوسي. وكان من هذا النكاح الأشعث بن قيس ومعيط جد الوليد بن عقبة[٨]. وقد حرم الإسلام هذا النكاح بقوله تعالىٰ ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾.

١٤ ـ **نكاح البغايا النوع الأول**: أن يطأ البغي جماعةٌ متفرقون واحداً بعد واحد فإذا

(١) ـ جامع أحاديث الشيعة: ٢٣ /١٤٧ ح٥٤٧
(٢) ـ عملٌ ما يُحبب المرأة إلىٰ زوجها
(٣) ـ شرح الأخبار: ٩٩/٣
(٤) ـ وسائل الشيعة: ٢٧٢/٣.
(٥) ـ مسند راهوية: ٣٧١/١ ومسند الشاميين /الطبراني: ٣٠٥/٣
(٦) ـ وسائل الشيعة: ١٤٢/١٦
(٧) ـ تفسير القرطبي: ١٠٤/٥، والإصابة لابن حجر: ١٧٥/٦
(٨) ـ تفسير الآلوسي: ٢٤٨/٤

حملت وولدت، الحق الولد بمن غلب عليه شبهه منهم[١].

١٥ ـ **نكاح البغايا النوع الثاني**: ويسموه نكاح الجمع: وهو أن تجتمع جماعة دون العشرة؛ ويدخلون علىٰ امرأة من البغايا ذوات الرايات كلهم يطؤوها فإذا حملت ووضعت ومرت عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل أن يمتنع حتىٰ يجتمعوا عندها فتقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت منهم فيلحق به ولدها ولا يستطيع أن يمتنع منه الرجل إن لم يغلب شبهه عليه. قال الحلبي: "ويحتمل أن تكون أم عمرو بن العاص (رضي الله عنه) من القسم الثاني من نكاح البغايا فانه يقال أنها وطأها أربعة وهم العاص وأبو لهب وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب وادعىٰ كلهم عمراً فألحقته بالعاص. وقيل لها لم اخترت العاص؟ قالت لأنه كان ينفق علىٰ بناتي"[٢].

١٦ ـ **نكاح الإستبضاع**: وذلك أن المرأة كانت في الجاهليّة إذا طهرت من حيضها يقول لها زوجها أرسلي إلىٰ فلان استبضعي منه ـ وهو طلب المرأة نكاح الرجل لتنال منه الولد فقط ـ ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتىٰ يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب[٣].

هذه خلاصة عن الجاهليّة الأولىٰ ذكرناها تمهيدا لما نريد إثباته من أنها هي نفسها التي عادت من جديد لتكون الآخرة، لكن ظهورها الجديد لم يكن بعنوانها المعروف بل عادت متقمصة لباس الإسلام بعد أن دخلت جراثيمها في جسد الإسلام عن طريق التماس المباشر، ولهذا صعب اكتشافها بدء سرايتها، وما زال الكثير لا يعتقد بظهور سرطان الجاهليّة مخدوعين بظاهر الشعارات والمظاهر الإسلامية، وغدة السرطان التي تسببت في عودتها تكمن في خلية الحمية التي هي أشد خلايا الجاهليّة فعالية فيما لو زرعت في محيط مفعم بالأهواء والشهوات والجهل وهذا هو الذي وقع بالفعل، لهذا نجد من اللازم عرض هذه الغدة للبحث والتحليل ودراسة مدىٰ نجاعة الوقاية التي وفرها الإسلام للحد من تأثيرها وسرايتها ومقدار استفادة الناس من تلك الوصفة الطبية.

---

(١) ـ المثالب/الكلبي: ٧٢ وسيرة الحلبي ٦٩/١.

(٢) ـ السيرة الحلبية: ٦٩/١ـ٧٠.

(٣) ـ السيرة الحلبية: ٦٩/١. وصحيح البخاري: ١٣٢/٦

حميّة الجاهليّة الأولى

العصبية من أشهر وأخطر سمات الجاهليّة التي عرف بها المجتمع العربي إلىٰ يومنا هذا. وقد بذل الإسلام كل جهد لقلعه من نفوس القوم إلا أن أكثرهم أبىٰ إلا التمسك بها، وربما عدّوها من المفاخر وكأنها معجونة مع طينتهم ولم يسلم منها إلا من عصمه الله بدينه وما أقلهم، ويمكن تلمس آثارها عيانا في سيرة حكامهم وعلمائهم والساسة والمثقفين وعامة الناس، وهي التي غيرت موازين الإنسانية التي رسمها الدين ليرفع بها الإنسان إلىٰ الكمال، وأوصلت بالإسلام الذي نزل في ساحتهم إلىٰ هذه الصورة المشوهة التي يأس المسلمون من إصلاحها.

ـ معنىٰ العصبية والتعصب:

قال ابن منظور: التعصب من العصبية والعصبية أن يدعو الرجل إلىٰ نصرة عصبته والتألب معهم علىٰ من يناويهم ظالمين كانوا أو مظلومين. وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا فإذا تجمعوا علىٰ فريق آخر قيل تعصبوا وفي الحديث: العصبي من يعين قومه علىٰ الظلم والعصبي هو الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم. وفي الحديث "ليس منا من دعا إلىٰ عصبية أو قاتل عصبية" العصبية والتعصب المحاماة والمدافعة[1].

وعن الزهري قال: سئل علي بن الحسين (عليه السلام) عن العصبية، فقال: العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرىٰ الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه علىٰ الظلم[2]. والتعصب بغير الحق من أخس الصفات في أي شأن كان. وهي من أخلاق الجاهليّة كما صرح به القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾[3]. أي جعلوا في قلوبهم الأنفة فعبر عن القوة الغضبية إذا ثارت بالحمية أي حميت قلوبهم بالغضب مما أدىٰ إلىٰ امتناعهم عن الإذعان للحق وتلك كانت عادة آبائهم وأجدادهم في الجاهليّة. قال العيني[4]: أول من قال: أنصر أخاك ظالما

---

(١) ـ لسان العرب: ج١ ص٦٠٦

(٢) ـ وسائل الشيعة؛ الحر العاملي ٣٧٢/١٥

(٣) ـ القرآن الكريم، سورة الفتح آية /٢٧

(٤) ـ عمدة القاري: ٢٩٠/١٢

أو مظلوماً هو جندب ابن العنبر بن عمرو بن تميم، بقوله لسعد بن زيد مناة لما أسر:

يا أيها المرء الكريم المكسوم   أنصر أخاك ظالماً أو مظلوم

وأنشد التاريخي للأسلع بن عبد الله:

إذا أنا لم أنصر أخي وهو ظالم   علىٰ القوم لم أنصر أخي حين يظلم

وقال الشاعر في حمية الجاهليّة:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت   غويت وإن ترشد غزية أرشد

فأرادوا بذلك ما اعتادوه من حمية الجاهليّة، فالعصبية من لوازم الكبر. وكانت العرب قبائل، فلربما خرج رجل من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة أخرىٰ فيقع له أدنىٰ مكروه من أحدهم فينسب إليه وإلىٰ قبيلته ما لا يليق؛ فينادي هذا نداء عالياً: أي آل فلان؛ فيثور عليه فساق القبيلة ويضربونه، فيمضىٰ إلىٰ قبيلته ويستصرخ بها يقصد به الفتنة وإثارة الشر، فتُسل بينهم السيوف وتثور الفتنة ويقتل جم غفير ولا يكون لها أصل في الحقيقة ولا سبب يعرف.

ـ العصبية القومية والقبلية الشديدة:

لا ريب أن كل إنسان يرتبط بأرض أو قبيلة أو قوم أو مبدأ يتولد في نفسه رابطة عاطفية قوية وحباً خاصاً لتلك الأرض أو ذلك القوم أو تلك القبيلة، وهي علاقة طبيعية ليست بمذمومة، بل هي عامل إيجابي يمكن أن يسهم في بناء المجتمع، وشأن هذا الحب والعلاقة شأن كل علاقة للإنسان بالأشياء التي لها به نحو ارتباط، لابد أن يكون ضمن حد معقول، فلو تجاوز الحدود إفراطاً وتفريطاً فسينقلب إلىٰ عامل هدم بدل البناء، والمراد من التعصب أو العصبية القومية أو القبلية المذمومة، هو الإفراط في التعصب لها.

إن الدفاع المفرط والحب الأعمىٰ اللامحدود، كان مصدرا لكثير من الماسي علىٰ طول التاريخ، إذ قد يبلغ هذا الإفراط حدا بحيث يرىٰ أسوأ أفراد قبيلته في نظره جميلاً، وأحسن أفراد القبيلة الأخرىٰ في نظره سيئا. وهكذا بالنسبة إلىٰ التعامل مع الآداب والعرف القبلي. فإن التعصب القومي يلقي ستارا من الجهل والأنانية علىٰ أفكار الإنسان وعقله، ويلغي التقييم الصحيح!

وهذه حالة كانت لها صور متفاوتة بين الأمم، والعرب من بين الأمم عرفت بأشد أنواعها تطرفاً. وقد أشار القرآن الكريم إلىٰ حميتهم في الجاهليّة كما بيّنا سابقا الدال

بظاهره علىٰ تغلب حالة الأنفة والتكبر علىٰ قلوب عرب الجاهليّة والآية تشير إلىٰ موقف من تلك المواقف ظهر منهم عندما قدم النبي (ﷺ) عام الحديبية في ذي القعدة معتمراً، ومعه الهدي، فقال كفار مكة: "قتل آباءنا وإخواننا، ثم أتانا يدخل علينا في منازلنا ونساءنا، وتقول العرب: إنه دخل علىٰ رغم آنافنا، واللات والعزىٰ لا يدخلها أبدا علينا" [١].

فتلك الحمية التي في قلوبهم؛ وهي نفسها التي منعتهم من كتابة "بسم الله الرحمن الرحيم" عند تنظيم معاهدة صلح الحديبية؛ وهي نفسها التي منعت من دخول الإيمان في قلوبهم بعد الإسلام. إذ كان حبهم المفرط لقومهم والتمسك اللامحدود بمقولتهم الزائفة أنهم أفضل الناس؛ حال دون قبولهم دين المساواة والعدل وهي السبب أيضاً في تزريق أحاديث تفضيل العرب علىٰ غيرها من الأمم في التراث الإسلامي.

وكذا قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِياً لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ... ﴾[٢] أي لو أنزل الله القرآن بغير لغة العرب لما آمنت العرب بالقرآن، في حين رأينا أن الأمم من غير العرب آمنت به مع أنه نزل بغير ألسنتها. وهو دليل واضح علىٰ تفوق تعصبهم فوق كل تعصب. كان العون في الجاهليّة لابد أن يخصص للقبيلة وذوي القرابات ظالمين كانوا أو مظلومين، وكان لابد من الوقوف إلىٰ جانب ابن القبيلة سواء كان الحق له أو عليه وهذه الصفة لم تقتلع في الوسط العربي إلىٰ يومنا هذا ويكفي لإثبات ذلك ملاحظه ما يجرىٰ في العشائر والقبائل العربية من أحداث فما زال ابن العشيرة عونا لابن عشيرته في الحق والباطل وصدق شاعرهم في تصوير هذه الصفة بقوله:

لا يَسألونَ أخاهم حين يَندبهم ... في النائبات علىٰ ما قال بُرهانا

ومازالت العشائر تتحمل عن المناصَر كل جناية وجريمة يرتكبها وتحميه من كل من أراد به سوءاً. لأجل ذلك وردت روايات كثيرة تحذر من التعصب وتنهىٰ عنه، وتصرح بأنه خلق مذموم، فقد جاء في رواية عن الرسول (ﷺ) يقول فيها: "من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية، بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهليّة". ونقرأ حديثا آخر عن الإمام الصادق (عليه السلام) يقول فيه: "من تعصب أو تُعُصِبَ له فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه". ويستفاد من الروايات الإسلامية أيضاً، أن إبليس أول من تعصب.

---

(١) ـ تفسير البحر المحيط؛ الأندلسي: ٩٨/٨

(٢) ـ القرآن الكريم، سورة فصلت: ٤٤

يقول الإمام علي (عليه السلام) في خطبته القاصعة[١] في مجال التعصب كلاماً بليغاً، جاء فيه: "أما إبليس فتعصب علىٰ آدم لأصله، وطعن عليه في خلقته، فقال: أنا ناري وأنت طيني" ثم يضيف الإمام قائلاً: "فإن كان لابد من العصبية، فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور".

ويتضح من هذا بجلاء أن التعصب والدفاع المستميت عن بعض الحقائق والإيجابيات ليس غير مذموماً فحسب، بل بإمكانه أن يسد فراغا روحيا قد ينشأ من ترك بعض العادات الجاهليّة المقيتة. لذلك نقرأ عن الإمام زين العابدين علي بن الحسن (عليه السلام) حين سئل عن التعصب قوله: "العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرىٰ الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين قومه علىٰ الظلم".

والتعبير الآخر عن العصبية الوارد في بعض الروايات أو الآيات هو الحمية (حمية الجاهليّة]. والأحاديث في هذا المجال كثيرة، وفيما يلي بعض الروايات الواردة في خطر التعصب وذمه، يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام): "إن الله يعذب ستة بست: العرب بالعصبية والدهاقنة بالكبر والأمراء بالجور والفقهاء[٢] بالحسد والتجار بالخيانة وأهل الرساتيق بالجهل"[٣]، وروىٰ ابن الأثير والمتقي: "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ستة يعذبون يوم القيامة الأمراء، بالجور والعرب بالعصبية والعلماء بالحسد والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة وأهل الرساتيق بالجهل"[٤].

وقال الإمام علي (عليه السلام): محذراً من طاعة دعاة القومية: "ألا وقد أمعنتم في البغي، وأفسدتم في الأرض مصارحة لله بالمناصبة، ومبارزة للمؤمنين بالمحاربة، الله الله في كبر الحمية وفخر الجاهليّة! فإنه ملاقِح الشنآن ومنافخ الشيطان التي خدع بها الأمم الماضية والقرون الخالية. حتىٰ أعنقوا في حنادس جهالته ومهاوي ضلالته، ذللاً عن سياقه، سلساً في قياده. أمراً تشابهت القلوب فيه، وتتابعت القرون عليه، وكبراً تضايقت الصدور به **ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حَسبِهم، وترفعوا فوق**

---

(١) ـ **القَصْعُ**: ضمُّ الشيء على الشيء

(٢) ـ «**الفقه**»؛ لغة: العلم بالشيء وفهمه ومعرفته جيداً. واصطلاحاً؛ العِلْمُ بالأَحْكامِ الشَّرْعِيَّةِ الفَرْعِيَّةِ العَمَلِيَّةِ المُسْتَنبَطَةِ مِن أَدِلَّتِها التَّفْصِيلِيَّة.

(٣) ـ الكافي /الكليني: ١٦٢/٨ـ١٦٣

(٤) ـ أسد الغابة /ابن الأثير: ٤٢٦/٤، كنز العمال /المتقي الهندي: ٨٧/١٦ ح٤٤٠٣١

نَسبِهم، وألقوا الهجينة علىٰ ربهم، وجاحدوا الله علىٰ ما صنع بهم، مكابرة لقضائه، ومغالبة لآلائه! فإنهم قواعد أساس العصبية، ودعائم أركان الفتنة، وسيوف اعتزاء الجاهليّة فاتقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكُم أضداداً، ولا لفضله عندكم حساداً ولا تطيعوا الأدعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم، وخلطتم بصحتكم مرضهم، وأدخلتم في حقكم باطلهم، وهم أساس الفسوق وأحلاس العقوق. اتخذهم إبليس مطايا ضلال. وجندا بهم يصول علىٰ الناس. وتراجمة ينطق علىٰ ألسنتهم»[(١)].

إن الله تعالىٰ الذي خلق الخلق علم مواطن ضعف الناس ومكامن الخطر المحدق بهم ومنهم العرب المبتلين بالجهل والتعصب الأعمى، فمنّ عليهم بالإسلام ونبي متخصص لعلاج الأمراض الروحية، معه أنجع وصفة لعلاج تلك الأمراض المهلكة، وبذل النبي (ﷺ) وسعه في نجاة قومه أولاً، فتلىٰ عليهم آيات الكتاب وبين لهم مخاطر المرض وحقنهم بجرعات روحانية قلبت القلوب والأرواح وتمثل جم غفير منهم للشفاء وانتعشت الآمال في نجاة باقي الأمة من أمراض الجاهليّة مع الزمن إلاّ أن الأمل بدأ بالتراجع بعد امتناع ثلة من الذين استحكم المرض في قلوبهم من قبول العلاج ومحاولتهم قتل الطبيب المداوي.

وقد استمروا علىٰ عنادهم حتىٰ قبض الله تعالىٰ نبيه (ﷺ)، فخلا الجو للمرضىٰ المزمنين فنزلوا الساحة بثوب الدين وتعاهدوا علىٰ تدمير الدواء الرباني وتلويث المجتمع الذي تعافىٰ توّاً من الوباء القاتل من جديد، فكادوا كيدهم وسعوا سعيهم حتىٰ تمكنوا من تحريك دفة سفينة المسلمين صوب دوامة بحر الجاهليّة، فدارت بهم دور الرحىٰ فأصابوهم بفعلهم بدوار البحر وترىٰ المسلمين سكارىٰ وما هم بسكارى، وما نجا من فعلتهم إلا القليل ليكونوا شهداء علىٰ ما حدث أولاً وحفظة لوصفة العلاج وأمانة الدين ثانياً، فصمدوا بوجه الطغاة وتحملوا من الأذىٰ والتنكيل ما لا يطاق وكلما ذهب منهم جيل استلم دور تحمل مسؤولية حفظ الأمانة بعدهم جيل آخر وهكذا.

ما زال الصراع دائراً بين الثلة المؤمنة وقيادة الضلال، وتجد المتآمرين في سعي دؤوب لاغتيال كل شاهد، ولكي لا يبقىٰ كلامنا من غير دليل نقدم في الفصل الآتي وما بعده الشواهد الحية المسلّمة علىٰ كر الجاهليّة الثانية في عهد الإسلام وبروز أعراض مرضها بين المسلمين من جديد ثم نثبت بعد ذلك سعي حملة رايتها في فرضها بالقوة والقهر في لباسها الجديد بديلاً عن الدين.

---

(١) ـ نهج البلاغة: ٢/١٤٢

الجاهليّة؛ بعد ظهور الإسلام

جاء الإسلام ليمحق مساوئ الجاهلة ـ والتي عددنا بعضا منها ـ بعد أن استفحلت في النفوس ليخلق مجتمعا مثالياً يسود فيه كل معايير الإنسانية الحقة، فبعث الله تعالىٰ رسولاً رحمة للعالمين وأنزل عليه كتاباً فيه الهدىٰ والنور، وأول ما بدأ به تبليغ رسالته هو فضح قبائح الجاهلة سواء في معتقداتهم أو أعمالهم وكان شعار: "قولوا لا اله إلا الله تفلحوا" هو المحور الذي دار عليه ثقل الرسالة، فبيّن للناس أن ما هُم عليه من عبادة غير الله هو دين جهل وضلال وقلة عقل وما رتّبوها علىٰ أنفسهم من طقوس باسم الدين هي مناقضة للدين وأن أحكامهم في القضاء بين الناس جائرة ظالمة مخالفة لشرائع السماء، كما انتقدهم أشد الانتقاد علىٰ إنكارهم للمعاد والحساب. ودعم كل أقواله بالدليل المفحم والحجة الدامغة فآمن بعض العرب من قُريش وغيرها بالدين الجديد وبقيت الأكثرية علىٰ دين الآباء رافضين الإذعان عازمين علىٰ مقاومة الحق بكل ما أوتوا.

وأما بالنسبة إلىٰ أعمالهم وأخلاقهم فقد بين لهم أن السيرة التي هم عليها إنما توصلهم إلىٰ الهلكة وأن نجاتهم في ترك تلك العادات السيئة وفي سلوك المنهج الذي رسمه الله تعالىٰ لهم والذي بعث من أجله لتبليغه الناس ليخرجوا من ظلمات الجاهليّة إلىٰ نور الإسلام، وفيما يلي جملة من أقواله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حربه مع الجاهليّة الأولىٰ قال ـ في خطبته في عرفه ـ: ألا كل شيء من أمر الجاهليّة تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهليّة موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ـ كان مُسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل ـ وربا الجاهليّة موضوع، وأول رباً أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله[١]

وفي رواية الإمام الباقر (عليه السلام): صعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المنبر يوم فتح مكة فقال: أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهليّة وتفاخرها بآبائها ألا إنكم من آدم وآدم من طين. ألا إن خير عباد الله عبد اتقاه، إن العربية ليست بأب والد ولكنها لسان ناطق، فمن قصر به عمله لم يبلغه حسبه. ألا إن كل دم كان في الجاهليّة أو إحنة ـ والإحنة: الشحناء ـ فهي تحت قدمي هذه إلىٰ يوم القيامة[٢].

---

(١) ـ البحار: ٢١/٤٠٥ وصحيح مسلم: ٤/٤١.

(٢) ـ الكافي /الكليني: ٨/٢٤٦

ومن جملة ما نقل من أقواله (ﷺ): إن الله قد وضع بالإسلام من كان في الجاهليّة شريفاً وشرف بالإسلام من كان في الجاهليّة وضيعاً، وأعز بالإسلام من كان في الجاهليّة ذليلاً، وأذهب بالإسلام ما كان من نخوة الجاهليّة وتفاخرها بعشائرها وباسق أنسابها. فالناس اليوم كلهم ـ أبيضهم وأسودهم وقرشيهم وعربيهم وعجميهم ـ من آدم وإن آدم خلقه الله من طين، وإن أحب الناس إلىٰ الله (ﷻ) يوم القيامة أطوعهم له وأتقاهم[١].

ـ وقوله (ﷺ): إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهليّة وفخرها بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي أنتم بنو آدم وآدم من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم من فحم جهنم أو ليكونن أهون علىٰ الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن[٢].

ـ وقوله (ﷺ): إن الله (ﷻ) بعثني رحمة للعالمين، ولأمحق المعازف والمزامير وأمور الجاهليّة، والأوثان[٣].

ـ وقوله (ﷺ): أبغض الناس إلىٰ الله ثلاثة: ملحد في الحرم ومبتغ في الإسلام سُنّة الجاهليّة، ومطالب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه[٤].



ـ آيات وروايات تدل علىٰ رجوع الجاهليّة:

ـ قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[٥].

ـ وقال رسول الله (ﷺ): بعثت بين جاهليتين، لأخراهما شر من أولاهما[٦].

ـ وعن عبادة بن الصامت قال ذكر رسول الله (ﷺ) الأمراء فقال يكون عليكُم أمراء إن أطعتموهم أدخلوكم النار وإن عصيتموهم قتلوكم فقال رجل منهم يا رسول الله سمهم لنا لعلنا نحثوا في وجوههم التراب فقال رسول الله (ﷺ) لعلهم يحثون في وجهك ويفقؤون عينك[٧].

---

(١) ـ الكافي / الكليني: ٥/٣٤٠
(٢) ـ كنز العمال ـ المتقي الهندي: ١/٢٥٧
(٣) ـ الكافي: ٦/٣٩٦. ومسند احمد: ٥/٢٦٨
(٤) ـ صحيح البخاري: ٨/٣٩ كتاب الديات
(٥) ـ القرآن الكريم، سورة ال عمران: ١٤٤
(٦) ـ الأمالي، الشجري: ٢/٢٧٧
(٧) ـ كنز العمال: ١١/١٩٥ح٣١١٩٨

ـ وعن كعب بن عجرة قال: "خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال إنها ستكون عليكُم أمراء من بعدي يعظون بالحكمة علىٰ منابر فإذا نزلوا اختلست منهم وقلوبهم أنتن من الجيف" [١].

ـ وعن أبي ذر قال: "كنت أمشي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لغير الدجال أخوفني علىٰ أمتي قالها ثلاثاً، قال: قلت يا رسول الله ما هذا الذي غير الدجال أخوفك علىٰ أمتك قال أئمة مضلين" [٢].

ـ وروىٰ الأعمش عن الحكم بن عتيبة، عن قيس بن أبي حازم، قال: سمعت علياً (عليه السلام) علىٰ منبر الكوفة، وهو يقول: يا أبناء المهاجرين، انفروا إلىٰ أئمة الكفر، وبقية الأحزاب، وأولياء الشيطان. انفروا إلىٰ من يقاتل علىٰ دم حمال الخطايا، فوالله الذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه ليحمل خطاياهم إلىٰ يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئاً[٣].

ـ وعن أبي برزة [بردة] قال: "سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول إن بعدي أئمة إن أطعتموهم أكفروكم وإن عصيتموهم قتلوكم أئمة الكفر ورؤوس الضلالة رواه أبو يعلي والطبراني"[٤]

ـ وعن معاذ بن جبل، قال: "سَمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول خذوا العطاء ما دام عطاءاً؛ فإذا صار رشوة علىٰ الدين فلا تأخذوه ولستم بتاركيه، يمنعكم الفقر والحاجة ألا إن رحا الإسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب ألا أنه سيكون عليكُم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم فان عصيتموهم قتلوكم وإن أطعتموهم أضلوكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع؟ قال: كما صنع أصحاب عيسىٰ بن مريم؛ نشروا بالمناشير وحملوا علىٰ الخشب موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله"[٥]

---

(١) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ج ٥ ص٢٣٨.
(٢) ـ مسند احمد: ١٤٥/٥
(٣) ـ شرح نهج البلاغة: ١٩٤/٢
(٤) ـ كنز العمال/المتقي الهندي: ج١١ص١١٨، مسند أبي يعلى الموصلي: ج١٣ص٤٣٦.
(٥) ـ كنز العمال: ٢١٦/١، ومجمع الزوائد، الهيثمي: ٢٢٨/٥ والمعجم الصغير /الطبراني: ٢٦٤/١.

ـ موقف قُريش من الإسلام أول الدعوة:

انقسم الشعبُ المكي بمجيء الإسلام إلىٰ فئتين:

ـ **فئة تمثل الأكثرية المطلقة** ـ ترأسهم قُريش ويدعمهم أتباع الأديان من اليهود والنصارىٰ أعلنت رفضها المطلق للنبي الجديد ودينه. وعدّوه كما عليه اليوم أحفادهم شعوبياً يريد تضييع سيادة شعب الله المختار لأنه يقول لا فرق لعربي علىٰ أعجمي[1] ويساوي بين الناس كما يمنع الاستغلال بجميع فنونه.

ـ **وفئة قليلة منهم ممن كان علىٰ الحنيفية** وتبعهم المستضعفون من العبيد والإماء قد أعلنت إيمانها بالدين الجديد ولازمت رسول الله (ﷺ).

بدأ الصراع بين الفئة المؤمنة القليلة وبين جبهة قُريش العريضة بمكة، وبات حديث الناس يدور في أرجاء البلد عن الدين الجديد وقوانينه السماوية وموقفه الشديد من دين الجاهلين وأصنامهم. ولقوة حجة الدين بدأت القلوب لا سيما قلوب المضطهدين تلين شيئاً فشيئاً لسماع الدعوة الجديدة، وشعر طواغيت قُريش بالخطر الداهم؛ فجمعوا أمرهم علىٰ وأد الفتنة في مهدها، فشرعوا بأتباع النبي (ﷺ) يؤذونهم أينما وجدوهم ويضيقون عليهم الخناق حتىٰ باتت حياتهم في مكة محفوفة بالمخاطر، فشكوا إلىٰ النبي ما عانوه من اضطهاد، فأمرهم (ﷺ) بالهجرة فهاجر معظمهم مكة. ثم قصدت قُريش بثقلها شخص النبي (ﷺ) ابتداء بالاستهزاء والإيذاء باللسان فقالوا: "جن محمّد بن عبد الله"[2] وقالوا هو شاعر وقالوا هو ساحر، ثم بالمحاجة وبالتهديد أخرىٰ حتىٰ أنهم فاوضوا كفيله وحاميه عمه أبا طالب وخيروه بين أمرين: إما يثني ابن أخيه للعدول عن دعوته وإما أن يعذّر قُريشا في إقدامهم علىٰ إسكاته ولو بقتله إن اضطروا إليه. ويرفض أبو طالب[3] طلب قُريش ويعلن وقوفه بقوة إلىٰ جانب ابن أخيه.

---

(١) ـ «**العَجَمُ**»: خلافُ العَرَب، الواحد: عَجَمِيٌّ، نَطَقَ بالعربية أو لم ينطِق. عَجَمَ: الحرفَ أو الكتابَ: أزال إبهامَه بالنَّقط أو بالشَّكْل. عَجَمَ الشيءَ عَجْماً، وعُجُوماً؛ عضَّهُ ليعلمَ صلابتَهُ من رخاوته؛ وعَجَمَ عُودَهُ: امتحنَه واختَبَرَهُ؛ عَجُمَ الكَلاَمُ: لَمْ يَكُنْ فَصِيحاً.

(٢) ـ تفسير القمي ٣٧٩/١ وأعلام الورى /الطبرسي: ١٠٦/١

(٣) ـ «**أبو طالب بن عبد المطلب**» عم الرسول (ﷺ) واسمه "مناف أو عمران" وقد غلبت عليه كنية "أبو طالب" حتىٰ لم يُعرف أن أحداً يناديه بهما أبداً، خلف أبو طالب أباه في مكانته وكل مناصبه؛

قاطعت قُريش بسبب ذلك بني هاشم وكتبوا بذلك كتاباً يفرض علىٰ أهل مكة الالتزام بمضامينه الخاصة بالمقاطعة ومنع التعامل معهم ودام الحصار. لكن الأمر لم ينته بذلك فسرعان ما انهارت خطة قُريش في إنساء الناس قضية الدعوة وذلك بعد إخبار النبي (ﷺ) بسرٍ لا يعلمه إلّا علام الغيوب؛ وهو تلف كتاب المقاطعة المحرز في مكان أمين في جوف الكعبة وكان الأمر كما أخبر (ﷺ) وما أن انتشر خبر الكتاب ونبوءة النبي (ﷺ) حتىٰ بدأ الناس من جديد في الحديث عن الدعوة والداعي وبزخم أكبر من ذي قبل وهكذا ابتلت قُريش بأمر الإسلام من جديد.

لم تجد قُريش بدّاً من الاستمرار في حرب النبي ودعوته، وتآمرت هذه المرة علىٰ قتل النبي مهما كلف الأمر ظنّاً منهم أن بقتله ستنتهي الفتنة وإلىٰ الأبد، فاتخذت قرارها باغتيال النبي في ليلة ظلماء في داره علىٰ أن يشترك في هذه العملية قبائلها جميعاً كي يقطعوا الطريق علىٰ بني هاشم في طلب الثأر إذ لا يمكنهم مجابهة قبائل قُريش، وعلىٰ ذلك عقدت العزم، لكن الله (تعالى) شاء أن يحول بينهم وبين نبيه (ﷺ). فأوحىٰ إلىٰ النبي بقصد القوم وأمره بالهجرة وهكذا فشلت قُريش في مخططها وهاجر النبي (ﷺ) إلىٰ يثرب. واستقبل أهل يثرب رسول الله (ﷺ) وكان أغلبهم قد أسلم من قبل وبقدومه أسلم من تبقىٰ منهم فصارت يثرب أول حصن للمسلمين ومنها بدأت الدعوة في الانتشار وأعز الله نبيه بالمؤمنين وما كان نصيب قُريش إلا الخيبة والخسران.

بدأ النبي (ﷺ) بتشكيل ما يمكن أن يسمىٰ نواة أول دولة إسلامية في يثرب التي

ومما يؤثر عن حكمته وحسن تقديره أنه كان أول من سن القسامة قبل الإسلام في دم عمرو بن علقمة، فجاء الإسلام فأقرها. قال ابن إسحاق: ان أبا طالب قال له في السر: لا تُحمّلني ما لا أطيق، فظن رسول الله انه قد بدا لعمه وانه خاذله وانه قد ضعف عن نصرته، فقال: يا عماه لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتىٰ أنفذه أو اقتل دونه، ثم استعبر فبكىٰ ثم قام يولي فقال أبو طالب: امض لأمرك فوالله ما أخذلك أبداً وفي رواية: دعاه أبو طالب وطيّب قلبه ووعده بالنصر ثم أنشأ يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتىٰ أوسَّد في الترابِ دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وانشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وزعمت إنك ناصح ... فلقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضتَ ديناً قد عرفتُ بأنه ... من خير أديان البرية دينا
لولا المخافة أن يكون معرة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

عرفت فيما بعد بمدينة الرسول. وتهيأ للدفاع عن هذا المركز الهام بالقلة المؤمنة من أهلها ببث روح الجهاد فيهم وتأهيلهم لكل طارئ وأعد جيشاً من المتطوعين يشمل كل قادر علىٰ حمل السلاح من قبيلتي الأوس والخزرج والمهاجرين؛ فكانوا علىٰ استعداد تامٍ للدفاع عن حريم الدين الجديد. ولم يخل معسكر الإسلام في هذه المرحلة من بعض من أظهر الإسلام من قُريش وبعض أحلافهم في المدينة ممن لم يدخل الإيمان قلبه فكان علىٰ ضعف من الدين، لذلك باتوا الهدف السهل للوقوع في مصيدة قُريش بعد تصميمها تجنيد ضعاف الإيمان لمحاربة الدين، وقد برزت عوارض مرضهم في موارد متعددة، منها:

ـ تقاعسهم عن الحضور في معركة أحد بحجة أنه لا يقع قتال، فنزل فيهم قوله: ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[١]

ـ تعاونهم مع يهود بني النضير وتغريرهم بوعود لكي لا يخضعوا لرسول الله (ﷺ)، إذ وعدوهم أنهم معهم في صف واحد إن أُخرجوا خرجوا معهم وإن قوتلوا قاتلوا معهم. وقد فضحهم الله بقوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ* لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾[٢].

ـ الإرجاف وإشاعة ما يغم المؤمنين[٣]، فكانوا يرجفون باجتماع الكفار والمشركين وتعاضدهم ومسيرهم إليهم يخوفونهم بذلك فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾[٤] وأمثال هذه المواقف وقفوها بدعم من قُريش ولم يفلحوا في كسب شيء بعد فضحهم من قبل الله تعالىٰ.

وبخلاف ما ذهب إليه جلّ مؤرخي الإسلام من أن الإسلام قام علىٰ السيف، **أقول:** لم تكن سيوف المسلمين مشرعة للاعتداء علىٰ أحد ولا استخدمت لإرغام أحد علىٰ قبول الدين مدة حياة النبي (ﷺ) وإنما كانت تلك السيوف، وقفاً علىٰ الدفاع فقط وقد فصلنا القول في ذلك في كتابنا "أخلاق الحرب في الإسلام" ولا صحة لما روجوه من أن الإسلام قام بالسيف والدم، وما هذه الإشاعات إلا من دسائس عروبيي قُريش ودِعايات أهل الكتاب؛

(١) ـ القرآن الكريم، سورة آل عمران /١٦٢
(٢) ـ القرآن الكريم، سورة الحشر /١١ ـ١٢
(٣) ـ أحكام القران / الجصاص: ٣/٤٨٦
(٤) ـ القرآن الكريم، سورة الأحزاب: ٦٠

لتشويه سمعه الإسلام، فلو تتبعنا السرايا والغزوات التي وقعت في أيام الرسالة وتمعنّا في أحداثها بإنصاف لرأينا أن جميع تلك الغزوات كانت إما إجهاضية لكيد مدبر؛ كبدر وتبوك أو دفاعياً محضاً؛ كما في الخندق وأحد.

أما ما قامت به قُريش بعد تسلمها الخلافة ابتداء من حروب الردة وانتهاء بالفتوحات باسم الإسلام فهي تخص دينها لا دين محمّد (ﷺ) وحروبها حروب توسعيه قرشية احتلالية لا إسلامية وقعت فيها من الأحداث ما أقرحت قلب الإسلام قبل غيره. ولولا البناء علىٰ الاختصار في هذا الكتاب لفصلنا القول في مجمل ما ارتكبه العروبيون من جرائم باسم الإسلام ومع هذا سنتعرض في محله لحروب الردة وهي أولىٰ الحروب في الإسلام بعد وفاة الرسول (ﷺ) لنكشف أن الحرب فيها كانت بين قُريش وبين قبائل العرب التي رفضت مؤامرة قُريش علىٰ الإسلام وامتنعت عن الاعتراف بخليفتها كما امتنعت عن دفع زكاتها لحكومة قُريش فقررت الخلافة عندئذ حربها ولو علىٰ عقال بعير فأعلنت عن ردة تلك القبائل وأباحت دمها باسم جهاد المرتدين وسودّت إعلام السلطة صفحات التأريخ بأكاذيب تغطي بها جنايتها في حق المسلمين الأوائل وفي أرض الإسلام.

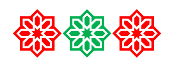
بعد هذا التطور الحاصل في جبهة الدين الجديد قررت قُريش التعبئة العامة للدخول في حرب مع الإسلام، وابتدأت ببدر بحجة الدفاع عن قافلة قُريش التي كانت مراقبة ومتابعة من قبل المسلمين الذين بلغهم وجود عدد كبير من المسلحين برفقه القافلة واحتمالهم الكيد ضد المدينة وربما كانت القافلة الطعم لاستدراج المسلمين ومباغتتهم بدليل وجود جيش قُريش بموازاة القافلة مع بعد المسافة بن مكة وبدر واستحالة قبول الرأي القائل أن أبا سفيان أرسل يستنجد بقُريش وهو في طريق الشام ـ مكة، ولعل المؤامرة تتضح بشكل أكبر لو أخذنا بما ذكره ابن سعد من أن أبا سفيان أرسل ضمضم بن عمرو إلىٰ قُريش وهو بالشام يستغيث بها لإنقاذ القافلة وهو ما يكشف عن مخطط مسبق للعملية ومسرحية ضمضم تدل علىٰ ذلك فقد ذكر ابن حبان أن أبا سفيان استأجر ضمضم بن عمرو فبعثه إلىٰ مكة وأمره أن يأتي قُريشاً فيستنفرهم إلىٰ أموالهم ويخبرهم أن محمّداً قد عرض لها. فدخل ضمضم وهو يصرخ ببطن الوادي وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قُريش اللطيمة اللطيمة قد عرض لها محمّد في أصحابه لا

أرىٰ أن تدركوها أو لا تدركوها الغوث الغوث[١].

هذا والقافلة لم تغادر الشام بعد، بدليل أن قُريشاً وصلت بدراً مع وصول القافلة فلو أخذنا بنظر الاعتبار الوقت اللازم لوصول ضمضم من الشام إلىٰ مكة والوقت المطلوب لتجهيز قُريش لجيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل والمدة التي تحتاجها القوة للوصول إلىٰ بدر لتيقنّا بأن القضية ليست كما روجوا لها وان المسألة مؤامرة مدبرة لجر قُريش بخيلها ورجلها صوب المدينة بحجة حماية القافلة للإجهاز عليه ويدل علىٰ ذلك قول أبي جهل بعد إفلات القافلة: "لا واللات والعزّىٰ حتىٰ نقحم عليهم بيثرب ونأخذهم أسارىٰ فندخلهم مكة..."[٢]. فوقعت الواقعة في بدر وانتصر الإسلام ورجعت قُريش خائبة إلىٰ مكة. ثم توالت الحروب كالأحزاب وأحد وغيرها وفي كلها ينتصر المسلمون، وتنتهي المعارك بفتح مكة، فيئس الذين كفروا من دينهم بالانتصار الساحق للمسلمين.

ـ الجاهليون يستخدمون سلاح النفاق:

استسلمت قُريش القومية رغم أنفها وأعلنت إسلامها وادعت الأعراب الإيمان لكن الله تعالىٰ علم ما في قلوبهم فأمر نبيه (ﷺ) ان يخبرهم بواقعهم: ﴿ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[٣]، هكذا دخلت قُريش الإسلام، لا عن قناعة بالدين الجديد ولا إيمانا بنبوة النبي (ﷺ) ولم تيأس بهزيمتها من حلم استرجاع سيادتها وهيبتها فعزمت علىٰ الصمود وإدامة زخم التصدي لتحقيق أهدافها لذلك اتخذ الكفر المغلف بالأيمان دورا جديدا تحت عباءة الإسلام، يتمثل في إعمال النفاق في معسكر الإسلام وتوزعت الأدوار بين طائفتين من قُريش وهما الطائفة التي أظهرت نفاقها علنا وكانت تعمل في ضوء النهار، وأخرىٰ كتمت نفاقها لتعمل بسرية تامة بعيدة عن الأنظار منتظرة الفرصة المناسبة، ومن هنا بدأ السرطان يدب في بدن الإسلام الغض ومن هنا خيمت النكسة علىٰ المسلمين ونمىٰ برعم الجاهليّة لتشكل بداية لعهد الجاهليّة الأخرىٰ من يوم وفاة رسول الله (ﷺ) وفيما يلي خلاصة عن فعاليات منافقي قُريش:



(١) ـ كتاب الثقات: ابن حبان: ١/١٥٤.
(٢) ـ بحار الأنوار /المجلسي: ١٩/٢٥٠.
(٣) ـ القرآن الكريم، سورة الحجرات: ١٤.

ـ الطائفة الأولى:

وهم منافقو المدينة المتحالفين مع قُريش التحق بهم منافقو قُريش فيما بعد فقويت شوكتهم وكانوا رهطين:

١ ـ **رهط الخزرج يرأسهم عبد الله بن أبي سلول** وكان من أشراف الخزرج، وكانت الخزرج قد اجتمعت علىٰ ان يتوّجوه ويسندوا أمرهم إليه قبل مبعث النبي (ﷺ) فلما جاء الله بالإسلام نفس علىٰ رسول الله (ﷺ) النبوة وأخذته العزة فلم يخلص الإسلام وأضمر النفاق حسداً وبغياً[١].

٢ ـ **رهط الأوس ورئيسهم أبو عامر الراهب**، وكان أبو عامر الراهب واسمه عمرو بن صيفي بن النعمان من بني عمرو بن عوف من الأوس وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة كانت له رئاسة الأوس قبل الهجرة[٢] وبعد هجرة الرسول (ﷺ) إلىٰ المدينة أظهر الإسلام لكنه خسر رئاسته فحقد علىٰ النبي (ﷺ) وله مناقشة مع النبي (ﷺ) أول قدومه المدينة، قال البغوي في تفسيره: "لما قدم النبي (ﷺ) المدينة قال له أبو عامر: ما هذا الذي جئت به؟ قال (ﷺ): جئت بالحنيفية دين إبراهيم. قال أبو عامر: فإنا عليها. فقال النبي (ﷺ) لست عليها، قال بلىٰ لكنك أدخلت في الحنيفية ما ليس فيها، فقال النبي (ﷺ): ما فعلت ولكني جئت بها بيضاء نقية، فقال أبو عامر: أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً غريباً، فقال النبي (ﷺ) آمين، وسماه أبا عامر الفاسق"[٣].

ثم إن المنافقين اتفقوا وبايعوا أبا عامر وجعلوه أميراً عليهم وبخعوا له بالطاعة. فقال لهم الرأي أن أغيب عن المدينة لئلا أُتهم[٤] فألتحق بقُريش وكان في أُحد مع أبي سفيان وكان ابنه حنظلة ابن أبي عامر مع رسول الله (ﷺ)، فقُتل حنظلة، ومر أبو عامر علىٰ حنظلة ابنه وهو مقتول جنب حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن جحش فنادىٰ يا معشر قُريش حنظلة لا يمثل به وإن كان خالفني وخالفكم فلم يأل لنفسه فيما يرىٰ خيراً، فمثل بالناس وترك حنظلة فلم يمثل به[٥].

وذكر الزيلعي: أن أبا عامر قال لرسول الله (ﷺ) يوم أحد: لا أجد أحداً يقاتلونك

---

(١) ـ الاستيعاب لابن عبد البر: ٩٤٠/٣.
(٢) ـ أحكام القرآن /الجصاص: ٢٠١/٣.
(٣) ـ تفسير البغوي: ٣٢٦/٢.
(٤) ـ تفسير الإمام العسكري: ٤٨٢.
(٥) ـ شرح نهج البلاغة: ٢٧٠/١٤.

إلاّ قاتلتك معهم، فلم يزل يقاتله إلىٰ يوم حُنين فلما انهزمت هوازن خرج هارباً إلىٰ الشام وارسل إلىٰ المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلىٰ قيصر وآت بجنود ونخرج محمّداً وأصحابه من المدينة[١] وكان مهمة هذا الفريق العمل كطابور خامس بين صفوف مسلمي المدينة وجُلُّ عناصرها ينتمون إلىٰ أسَر لها ارتباطاتها بقُريش وكان هدفهم الأهم السيطرة علىٰ المدينة وسبي ذراري رسول الله (ﷺ) وسائر أهله وأصحابه وقتل النبي (ﷺ)[٢].

ـ جملة من نشاطات رهط ابن أبي سلول:

١ ـ **تفريق الناس عن الرسول** (ﷺ) وهو واضح من قوله: "لو كففتم عن إطعام هؤلاء لتفرقوا عنه[٣] ـ يعني تفرقوا عن النبي ـ فنزل فيه قوله تعالىٰ: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا ﴾[٤].

٢ ـ **وفي حُنين كان يتنحىٰ عن النبي** (ﷺ) مع جماعة من المنافقين في ناحية العسكر ليخوضوا في أمر الرسول (ﷺ) وهو الذي قال: ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾[٥] ويكشف قوله عن مدىٰ حقده وكراهيته للمسلمين.

٣ ـ **وفي أحد**، كان سبب فشل المسلمين أن عبد الله بن أبي سلول دعا طائفتين من المهاجرين والأنصار إلىٰ الرجوع إلىٰ المدينة عن لقاء المشركين قال العيني: "رجع ناس من أصحاب النبي (ﷺ) من أحد وهم عبد الله بن أبي سلول ومن تبعه وقد رجع يومئذ ثلث الجيش ورجع بثلاثمائة وبقي النبي (ﷺ) في سبعمائة"[٦]

٤ ـ **خلق الشائعات بقصد إيذاء المؤمنين**؛ ومن ذلك اختلاقهم فتنة الإفك المشهورة والذي تولىٰ كبر الإفك في عائشة كان عبد الله بن أبي سلول[٧]. وكان مسطح وجمع من الذين استزلهم الشيطان من المنافقين يجتمعون في بيت عبد الله بن أبي سلول يتحدثون عن عائشة[٨] لإثارة الشبهات حول المؤمنين واتهامهم بما ليس فيهم حتىٰ

(١) ـ تخريج الأحاديث /الزيلعي: ٢/١٠٠.
(٢) ـ بحار الأنوار: ٢١/٢٥٧.
(٣) ـ المناقب لابن شهر آشوب: ١/٣٥٣.
(٤) ـ القرآن الكريم، سورة المنافقين: ٧.
(٥) ـ المناقب لابن شهر آشوب: ١/٣٥٣ـ٣٥٤.
(٦) ـ عمدة القاري: ١٨/١٨٠ والمصنف لعبد الرزاق الصنعاني: ٥/٣٦٥ وتفسير ابن كثير: ١/٤٠٨ وتفسير السمعاني: ١/٣٥٢.
(٧) ـ الاستيعاب لابن عبد البر: ٣/٩٤٠.
(٨) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ٩/٢٣٣.

نزل فيهم القرآن: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰناً وَإِثْماً مُّبِيناً ﴾[١].

ـ جملة من نشاطات عصابة أبي عامر الراهب:

١ ـ محاولة تفريق الناس عن الرسول (ﷺ): بعد قدوم النبي (ﷺ) المدينة بدأ أبو عامر بتحزيب الأحزاب علىٰ رسول الله (ﷺ)، فكلف جمعاً منهم ببناء مسجد يتخذوه مركزا لتجمّع أنصارهم ومنطلقاً للعمل علىٰ تفريق الناس عن رسول الله (ﷺ) ووعدهم بالذهاب إلىٰ قيصر والإتيان منه بجنود لإخراج محمّدٍ من المدينة، فبنت العصابة مسجداً عُرف بمسجد الضرار فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله (ﷺ) فقالوا يا رسول الله إنا بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وإنا نحب أن تأتينا فتصلي فيه لنا وتدعو بالبركة. لكن الوحي كان بالمرصاد لهؤلاء، فأطلع الله تعالىٰ نبيه علىٰ خُبث سريرتهم، فوجه رسول الله (ﷺ) إلىٰ المسجد جماعة وأمرهم بهدمه وحرقه. فخيب الله سعيهم وفضحهم والمسألة مشهورة.

٢ ـ إرجاف المسلمين في المدينة: كان أكيدر صاحب دومة الجندل يهدد رسول الله (ﷺ) بأنه يقصده ويقتل أصحابه فكان أصحاب رسول الله خائفين من قبله حتىٰ كانوا يتناوبون علىٰ رسول الله (ﷺ) كل يوم عشرون منهم وكلما صاح صائح ظنوا انه قد طلع أوائل رجاله وأصحابه، فاستغل المنافقون ذلك فأكثروا الأراجيف والأكاذيب وجعلوا يتخللون أصحاب محمّد (ﷺ) ويقولون إن أكيدر قد أعدّ من الرجال كذا ومن الكراع كذا ومن المال كذا وقد نادىٰ فيما يليه من ولايته ألا قد أبحتكم النهب والغارة في المدينة ثم يوسوسون إلىٰ ضعفاء المسلمين يقولون لهم فأين يقع أصحاب محمّد من أصحاب أكيدر حتىٰ آذىٰ ذلك قلوب المؤمنين[٢].

٣ ـ امتناعهم من الذهاب إلىٰ تبوك من غير عذر خلافاً لما أراد الرسول (ﷺ) فلما عاد النبي من تبوك جاءه المخلّفون يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فأعرض عنهم رسول الله (ﷺ) واعرض المؤمنون[٣].

٤ ـ عملية الطعن في الدين وقول الكفر في معسكر المسلمين بتبوك: ذكر الطبرسي[٤]

(١) ـ القرآن الكريم، سورة الأحزاب: ٥٨.
(٢) ـ بحار الأنوار: ٢١/٢٥٨.
(٣) ـ امتناع الأسماع /المقريزي: ٢/٧٦.
(٤) ـ مجمع البيان: ٥/٩٠.

انه: خرج جمع من المنافقين مع رسول الله (ﷺ) إلىٰ تبوك فكانوا إذا خلا بعضهم ببعض سبوّا رسول الله (ﷺ) وأصحابه وطعنوا في الدين، فنقل ذلك حذيفة إلىٰ رسول الله (ﷺ)، فقال لهم ما هذا الذي بلغني عنكم؟ فحلفوا بالله ما قالوا شيئاً من ذلك. فنزل الوحي بقوله تعالىٰ: ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْ... ﴾[١].

٥ ـ **محاولة اغتيال النبي** (ﷺ): بعد رجوع النبي (ﷺ) من تبوك تآمر المنافقون من عصابة أبي عامر[٢] لقتله وإلقائه من الثنية بقطع أنساع راحلته ونخسها حتىٰ يطرحوه. وعن الباقر (عليه السلام): فيهم ثمانية من قُريش وأربعة من العرب[٣].

٦ ـ **التشكيك في نبوة النبي** (ﷺ): ذكر ابن حيان[٤] وغيره أن رسول الله (ﷺ) نزل في بعض المنازل فضلت ناقته فخرج أصحابه في طلبها فقال بعض المنافقين أليس محمّد يزعم أنه نبي ويخبركم بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله (ﷺ) ما أعلم إلاّ ما علمني الله، وقد علمني أنها في الوادي بين شعب كذا وشعب كذا قد حسبتها شجرة بزمامها فانطلقوا فأتوا بها. فذهبوا فأتوا بها.

٧ ـ **اعتراضاتهم الكثيرة علىٰ رسول الله** (ﷺ) **منها:**

ألف) ـ اعتراض عمر بن الخطاب في الحديبية يوم وادع قُريشاً وكتب بينه وبيهم علىٰ أن من خرج إليهم من قبِله لم يردّوه ومن خرج من أهل مكة ردّوه إليهم فغضب عمر وقال لصاحبه يزعم أنه نبي ويرد الناس إلىٰ المشركين[٥] ثم أتىٰ النبي فقال: ألست رسول الله حقاً؟ قال: بلى. قال ونحن المسلمون حقاً؟ قال: بلى. قال: وهم الكافرون؟ قال: بلى. قال فعلام نُعطي الدَنية في ديننا[٦] قال (ﷺ) يا بن الخطاب: إني رسول الله ولن اعصيه[٧]. فرجع عمر متغيضاً. ونقل الواقدي عن ابن عباس قال: قال لي عمر في خلافته وذكر القضية: "ارتبت ارتياباً لم ارتَبه منذ أسلمت إلّا

(١) ـ القرآن الكريم، سورة التوبة /٧٤.
(٢) ـ امتناع الأسماع /المقريزي ٧٦/٢.
(٣) ـ تفسير مجمع البيان: ٩١/٥.
(٤) ـ كتاب الثقات: ٩٣/٢.
(٥) ـ المسترشد لابن جرير: ٥٣٧.
(٦) ـ البخاري: ٨١/٢ ومسلم: ١٧٥/٥ الحديبية
(٧) ـ عمده القاري: ١٤/١٤. والمصنف، لابن أبي شيبه: ٥١٥/٨.

يومئذ"[١]. وفي مغازي الواقدي: إن عمر قال لرسول الله (ﷺ): أعذرك الله وجعل يردد الكلام علىٰ النبي فقال له أبو عبيدة بن الجراح ألا تسمع يا بن الخطاب رسول الله يقول ما يقول؟ تعوذ الله من الشيطان الرجيم واتهم رأيك. ويؤكد عمر بن الخطاب في هذه الواقعة عدم انصياع الصحابة لأوامره (ﷺ)، يقول: "لما فرغ رسول الله ـ من الكتاب ـ قال (ﷺ) قوموا فانحروا ثم احلقوا، قال عمر: فوالله ما قام منهم رجل حتىٰ قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل (ﷺ) خباءه ثم خرج فلم يكلم أحداً منهم بشيءٍ حتىٰ نحر بدنة بيده ودعا حالقه فحلق رأسه، فلما رأىٰ أصحابه ذلك قاموا فنحروا" [٢].

ب) ـ اعترضوا عليه لإعطائه قميصه إلىٰ عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول ليكفن فيه أباه[٣]. ففي البخاري: "عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دعي له رسول الله (ﷺ) ليصلي عليه فلما قام رسول الله (ﷺ) وثبت إليه فقلت يا رسول الله أتصلي علىٰ ابن أبي وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا أعدد عليه قوله فتبسم رسول الله (ﷺ) وقال أخر عني يا عمر فلما أكثرت عليه قال إني خيرت فاخترت لو أعلم أني إن زدت علىٰ السبعين فغفر له لزدت عليها قال فصلىٰ عليه رسول الله (ﷺ) ثم انصرف"[٤].

فهل كانت غيرة عمر علىٰ الدين تفوق غيرة الرسول (ﷺ) فاجتهد فرأىٰ مخالفة النبي (ﷺ) للكتاب فنهاه عن ذلك أم هو مخالفة صريحة لقوله تعالىٰ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾؟

ج) ـ اعتراض عمر علىٰ تبليغه بشارة للمؤمنين، فعن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) أمره بتبليغ أمر: "فقال يا أبا هريرة وأعطاني نعليه، قال: أذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا اله إلّا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة فكان أول من لقيت عمر فقال ما هاتان النعلان يا أبا هريرة فقلت هاتان نعلا رسول الله (ﷺ) بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا اله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشّرته بالجنة فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لأستي فقال ارجع يا أبا هريرة فرجعت

(١) ـ مغازي الواقدي: ٢/٦٠٧ ط بيروت.
(٢) ـ صحيح البخاري: ٢/٨١ كتاب الشروط.
(٣) ـ تاريخ المدينة لابن شبة: ١/٣٧٠.
(٤) ـ صحيح البخاري/ البخاري: ج٢ ص١٠٠.

إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأجهشت بكاء وركبني عمر فإذا هو علىٰ أثري فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) مالك يا أبا هريرة قلت لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به فضرب بين ثديي ضربة خررت لأستي، قال ارجع. قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) يا عمر ما حملك علىٰ ما فعلت؟ قال يا رسول الله بابي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا اله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: نعم، قال فلا تفعل فإني أخشىٰ أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فخلهم"[١]

ورواياتهم الصحيحة هذه تكشف عن حقيقة تعامل بعضهم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهي صريحة في انقلاب الموازين إذ يصبح عمر بن الخطاب الآمر الناهي ورسول الله المأمور المطيع وهي تدل دلالة واضحة علىٰ مدىٰ إيمان عمر بمقام النبوة وعصمة النبي وتظهر أن عمر لم يؤمن بقوله تعالىٰ ﴿ ومٰا يَنْطِقُ عَنِ اَلْهَوىٰ إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْيٌ يُوحىٰ﴾ ولا بقوله تعالىٰ ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً﴾[٢]، **وأي انتقاص من مقام النبوة أعظم من هذا؟**

د) ـ اعتراضهم عليه عندما قرر الصفح عن أسرىٰ بدر وأخذ الفداء منهم.

هـ) ـ اعتراضهم عليه يوم غدير خم علىٰ ما قاله في علي بن أبي طالب (عليه السلام).

ومواقف معارضة لهم في كثير من الموارد وهو ما يدل علىٰ عدم إيمانهم بأن الرسول (صلى الله عليه وآله) لا ينطق عن الهوىٰ ولا يفعل شيئاً إلا بإذن الله تعالىٰ ورضاه. لهذا أجمعوا علىٰ إهمال واقعة غدير خم حتىٰ وكأنها لم تقع وينتقدون الشيعة علىٰ احتفالهم بعيد الغدير وكأن أبا هريرة سيد رواتهم لم يخبرهم بأن "من صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي (صلى الله عليه وآله) بيد علي بن أبي طالب فقال الست أولىٰ بالمؤمنين؟ قالوا بلىٰ يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه فقال عمر بن الخطاب بَخ بخ[٣] لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولىٰ كل مسلم فأنزل الله

---

(١) ـ صحيح مسلم: ١/ ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) ـ القرآن الكريم، سورة الأحزاب: ٣٦.

(٣) ـ [بَخْ بَخْ]: عَظُمَ الأَمْرُ وفَخُمَ، للمدح والإعجاب والرِّضا بشيء، ويكرّر للمبالغة: بَخٍ بَخْ. معربة مفردة (بَهْ بَه) الفارسية وهي كَلِمَةٌ تُقالُ عند اسْتِعْظامِ الشيءِ وتشرفه واستحسانه.

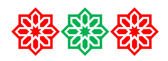
عزوجل: ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾"[١]. والعجب انهم اخذوا بالكثير من كذب أبي هريرة وتركوا هذا الصدق النادر منه.

و) ـ **اعتراضهم عليه عندما أراد أن يكتب وصيته** بقوله "**آتوني بكتف ودواة لأكتب لكم ما لن تضلوا بعده**" الحديث المشهور برزية الخميس حيث قالوا يهجر وغلبه الوجع.

ـ الطائفة الثانية:

وهي الجزء الأكبر من قُريش وحلفائها، فقد تظاهرت بالإيمان والتفت حول الرسول تظهر الطاعة والانقياد ليدفعوا بذلك الضرر عن أنفسهم وليحموا مصالحهم، وبعد انصرافهم يتجاهلون عهودهم ويتآمرون في ندواتهم الخاصة علىٰ أقوال النبي (ﷺ) قال تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ...﴾[٢]

فمن جملة مكائدكم التقليل من شأن النبي (ﷺ) وتحقيره وتصويرهم قولاً وفعلاً أن النبي شخص عادي شأنه شأن أي إنسان يقول في الرضا والغضب وربما أشاعوا من فضائل رموزهم ما يوحي إلىٰ تفضيلهم وأنهم أكثر حكمة من الرسول وأنهم كانوا يسبقون الوحي في الحكم ويمنعون من كتابة أقواله كما عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله (ﷺ) أريد حفظه فنهتني قُريش، وقالوا أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله (ﷺ) بشر يتكلم في الغضب والرضا؟! فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله (ﷺ) فأومأ بإصبعه إلىٰ فيه فقال: اكتب، فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلّا حق!"[٣]. وكأنهم لم يسمعوا قوله تعالىٰ ﴿وما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحىٰ﴾ وغرضهم من ذلك هو التمهيد لما بيتوه من الانقلاب بعد وفاته وهو ما أخبر الله تعالىٰ عنه بقوله ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾.



---

(١) ـ البداية والنهاية لابن كثير: ٣٨٦/٧.
(٢) ـ القرآن الكريم، سورة النساء: ٨١.
(٣) ـ سُنن أبي داود: ١٧٦/٢ ورواه أحمد أيضاً، مسند أحمد: ١٩٢/٢.

بروز الحمية الجاهليّة في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

كان من المؤمل أن يقضي الإسلام علىٰ الجاهليّة التي كانت مستفحلة في نفوس العرب قضاءً تاماً، ودل ظاهر الأمر في بداية الدعوة علىٰ نجاعة دوائه فسرعان ما كشفت الأيام مع ظهور الإسلام وبعد الهجرة بالخصوص التطوع الجماعي من جماهير العرب لنبذ الجاهليّة، واستبشر الدين والعقلاء بهذا النصر العظيم، ولم يقتصر الاقتناع بحكمة الدين الجديد علىٰ العرب وحدهم بل تعداهم إلىٰ سائر الملل فتقاطر أمثال سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي وغيرهم علىٰ ساحة الإسلام.

ومن الطبيعي أن يكون التوقع في التزام الوافدين جميعاً لا سيما في زمن الرسالة عند حدّه المعقول لصعوبة اجتثاث خصال نشأت عليها النفوس في محيطها دهراً من الأيام، فظهور بعض الرواسب من بعض المسلمين كان أمراً طبيعياً. أما أن تبقىٰ الجذوة متقدة مع الزمن تجر صاحبها إلىٰ الاصطفاف بوجه الدين المداوي وتشكّل بعد طول الزمان جبهة تحارب الإسلام تحت عباءة الإسلام فذاك ما كان خارجا عن كل توقع وكل مألوف.

ونحن إذ نتتبع جذور صولة الجاهليّة علىٰ الإسلام، نشير أولاً بإيجاز إلىٰ نماذج من آثار الحميّة التي منعت بعض النفوس عن تقبل دواء الإسلام الناجع سواء في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو بعده، ومن ثم نتعرض إلىٰ ذكر الشواهد علىٰ تشكيل نواة حزب الجاهليين تحت ستار العروبة المغلفة بالإسلام. فمن المظاهر الفردية الحاكية عن بقاء الجاهليّة في النفوس والتي برزت أيام حياة لنبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

ألف) ما روي من أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما دخل مكة أمر بلالاً فعلا علىٰ ظهر الكعبة فإذن عليها فقال بعض بني سعيد بن العاص ـ وهو يرىٰ بلال الحبشي علىٰ ظهر الكعبة مؤذناً، يقول: لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه قبل أن يسمع هذا الأسود علىٰ ظهر الكعبة[١] وفي السيرة النبوية إن رجلاً من قُريش قال للحارث بن هشام ألا ترىٰ إلىٰ هذا العبد إلىٰ أين يصعد؟ فقال دعه فإن يكن الله يكرهه فسيغيره[٢].

---

(١) ـ تاريخ الإسلام /الذهبي: ٥٥٥/٢ والبداية والنهاية لابن كثير: ٣٤٧/٤.

(٢) ـ السيرة النبوية لابن كثير: ٥٧٥/٣.

ب) وما ذكره المؤرخون، من أن عبداً أسوداً من عامة الناس خاصم عبد الرحمن بن عوف، فغضب عبد الرحمن منه وقال له: يا بن السوداء. فلما سمع النبي (ﷺ) هذا التنابز منه، قال وهو مغضب: "ليس لابن البيضاء علىٰ ابن السوداء سلطان إلا بالحق".

ج) ولما نزلت آية: ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ قيل يا رسول الله ما عندنا ما نعتق إلا أن أحدنا له الجارية السوداء تخدمه وتسعىٰ عليه فلو أمرناهن فزنين فجئن بأولاد فأعتقناهم فقال رسول الله (ﷺ) لئن أمتع بسوط في سبيل الله أحب إلىٰ من أن آمر بالزنا ثم أعتق الولد[١].

د) وما رواه ابن حجر قال: "كان المقداد وعبد الرحمن بن عوف جالسين فقال له ـ عبد الرحمن ـ مالك ألاّ تتزوج؟ قال المقداد: زوجني ابنتك، فغضب عبد الرحمن وأغلظ له فشكا ذلك إلىٰ النبي (ﷺ) فقال: أنا أزوجك، فزوجه بنت عمه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب"[٢]. وكان المقداد أول من قاتل في سبيل الله علىٰ فرس.

هـ) وما في صحيح البخاري: عن جابر (رضي الله عنه) يقول غزونا مع النبي (ﷺ) وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتىٰ كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصارياً ـ أي ضرب بيده أو رجله عجزه ـ فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتىٰ تداعوا وقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فخرج النبي (ﷺ) ـ قال ـ ما بال دعوىٰ أهل الجاهليّة ثم قال ما شأنهم فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري قال فقال النبي (ﷺ) دعوها فأنها خبيثة وقال عبد الله بن أبي سلول أقد تداعوا علينا؟ لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منا الأذل[٣].

و) وما في سُنن الترمذي: أن رسول الله (ﷺ) لما خرج إلىٰ حُنين مرّ بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم، قالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال النبي (ﷺ): سبحان الله، هذا كما قال قوم موسىٰ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنّة من كان قبلكم. قال هذا حديث حسن صحيح[٤].

---

(١) ـ السُنن الكبرى، البيهقي: ج١٠ ص٥٨.
(٢) ـ الإصابة: ٦/١٦٠.
(٣) ـ صحيح البخاري، ج٤ ص١٦٠.
(٤) ـ سُنن الترمذي: ٣/٣٢١ـ٣٢٢.

ز) **موقف لعبد الله بن عمر:** روي أن سلمان الفارسي خطب إلىٰ عمر بن الخطاب ابنته فأنعم له عمر فكره ذلك عبد الله بن عمر، فلقي عمرو بن العاص فأخبره بذلك فقال أنا أكفيك هذا فلقي سلمان فقال له عمرو: هنيئاً لك فقال بماذا؟ فقال تواضع لك أمير المؤمنين، فقال سلمان: ألمثلي يتواضع؟ والله لا تزوجتها أبداً[١]

ح) **موقف لطلحة بن عبيد الله:** لما نزلت آية الحجاب، قال طلحة بن عبيد الله: أيحجبنا محمّد عن بنات عمنا وتفصيل القصة كما في الدر المنثور[٢] وغيره: إن رجلا [وهو طلحة] أتىٰ بعض أزواج النبي [عائشة] فكلمها فقال له النبي (ﷺ) لا تقومن هذا المقام بعد يومك هذا قال يا رسول الله هي ابنة عمي والله ما قلت لها منكراً ولا قالت لي. فقال النبي (ﷺ) قد عرفت ذلك. أنه ليس أحد أغير من الله وأنه ليس أحد أغير مني فمضى. ثم قال طلحة: يمنعني من كلام ابنة عمي، لأتزوجها من بعده. فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾. ومن مجمل الروايات الواردة في هذه القصة يظهر أن طلحة كان يقول ذلك بعد نزول التحريم كما في رواية السدي: بلغنا أن طلحة قال: أيحجبنا محمّد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا من بعدنا، لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده[٣].

ط) **ومنها موقف لخالد بن الوليد:** وهذا الموقف منه يدل بوضوح علىٰ بقاء العقد الجاهليّة فيه رغم إسلامه ومقامه بين المسلمين: فقد نقل الصدوق بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: بعث رسول الله (ﷺ) خالد بن الوليد إلىٰ حيٍ يقال لهم بنو المصطلق من بني خزيمة وكان بينهم وبين بني مخزوم إحنة في الجاهليّة، ولما ورد عليهم خالد أمر منادياً فنادىٰ بالصلاة، فصلىٰ وصلوا، فلما كان صلاة الفجر أمر مناديه فصلىٰ وصلواً، ثم أمر الخيل فشنوا فيهم الغارة، فقتل وأصاب. فطلبوا كتابهم فوجدوه فأتوا النبي (ﷺ) وحدثوه بما صنع خالد بن الوليد، فاستقبل القبلة ثم قال (ﷺ): "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد" قال: ثم قدم علىٰ رسول الله (ﷺ) بتبر ومتاع، فقال رسول الله (ﷺ) لعلي (عليه السلام): يا علي إئتِ بني خزيمة من بني المصطلق فأرضهم مما صنع خالد بن الوليد، ثم رفع (ﷺ) قدميه فقال يا علي اجعل قضاء أهل الجاهليّة

---

(١) ـ المجموع/ النووي: ج١٦ ص١٨٦.
(٢) ـ الدر المنثور /السيوطي: ٥/٢١٤.
(٣) ـ تفسير الرازي: ١٠/٣١٥٠.

تحت قدميك، فأتاهم علي (عليه السلام) فلما انتهىٰ إليهم حكم فيهم بحكم الله (عز وجل)، فلما رجع إلىٰ النبي (صلى الله عليه وآله) قال: يا علي، أخبرني بما صنعت، فقال يا رسول الله أعطيت لكل دم دية ولكل جنين غرّة ولكل مالٍ مالاً وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لميلغة كلابهم وحبلة رعاتهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لروعة نسائهم وفزع صبيانهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لما يعلمون وما لا يعلمون، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله... الخ، وأشار البخاري إلىٰ هذه الحادثة إشارة موجزة[1].

ي) **ما أخرجه[2] البخاري في صحيحه في قصة الإفك**، عن عائشة قالت: قال النبي (صلى الله عليه وآله) وهو علىٰ المنبر: "يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت علىٰ أهلي إلاّ خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلاّ خيراً، وما يدخل علىٰ أهلي إلاّ معي". فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل، فقال: أنا يا رسول الله أعذرك، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا، قالت فقام رجل من الخزرج وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، ـ قالت وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية ـ فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمرو الله، والله لا تقتله ولا تقدر علىٰ قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل. فقام أسيد بن خضير وهو ابن عم سعد، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمرو الله، لنقتلّنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. قالت عائشة: فثار الحيان [الأوس والخزرج] حتىٰ همّوا أن يقتتلوا ورسول الله (صلى الله عليه وآله) قائم علىٰ المنبر. قالت: فلم يزل رسول الله يخفضهم حتىٰ سكتوا وسكت[3]. وقد ذكرنا هذه القصة الواقعة فعلاً مع عدم قناعتنا باتهام عائشة سعد بن عبادة بالنفاق علىٰ الحقيقة بل لغاية في نفس يعقوب.

ك) **الفتنة التي اختلقها شاوس بن قيس بين الأوس والخزرج** حيث أمر شاباً من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم ما قيل فيه من الأشعار وكان يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس ففعل، فتشاجر القوم وتنازعوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي (صلى الله عليه وآله) فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار

---

(١) ـ علل الشرائع: ٢/٤٧٤، البخاري: ٥/١٠٧.

(٢) ـ «**أخرج الحديث**»: أي؛ روىٰ المحدِّث الحديث بإسناده في كتاب من كتبه.

(٣) ـ صحيح‌البخاري:٥/١١٩غزوة بني المصطلق

فقال: أتدعون الجاهليّة وأنا بين أظهركم؟ بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهليّة وألّف بينكم؟ فعرف القوم أنه نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح[١].

وقد كشفت هذه الفئة التي حسبت علىٰ المؤمنين ـ بكتمانها النفاق ـ عن نواياها بشكل سافر في حجة الوداع مع نزول الآيات الأخيرة من القرآن حيث أراد الله (ﷻ) إكمال دينه بتعيين خلفاء الرسول (ﷺ)، وسد الطريق علىٰ المتربصين به بعد قبض نبيه (ﷺ) ـ الوقت الذي بنت قُريش عليه أملها لتنفيذ مخططها ـ فلما نزل الوحي بتعيين الخليفة عظم عليها ذلك إذ لم يكن في حسبانها أن الله تعالىٰ لهم بالمرصاد ولا يدع يسرقوا دينه من غير افتضاح، فأوحىٰ الله إلىٰ نبيه مؤكدا: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ وظاهر الآية تدل علىٰ أهمية ما أنزل وأنه معادل لكل ما بلّغ من قبل.

كما تظهر الآية خوف النبي (ﷺ) من الناس بتبليغ الأمر، ويضمن الله تعالىٰ له ذلك بقوله ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فقام النبي (ﷺ) خطيباً بماء يدعىٰ خمّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنىٰ عليه ووعظ وذكّر ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين كتاب الله فيه الهدىٰ والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث علىٰ كتاب الله ورغّب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي[٢].

وفي مسند أحمد: "إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض"[٣].

وفي سُنن الترمذي: "فانظروا كيف تخلفوني فيهما"[٤]. ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه"[٥].

واي بيان يمكن أنْ يكون أوضح مما قاله النبي (ﷺ) بشأن الوصية والخليفة من هذا البيان؟ فقد أخبر بانه (ﷺ) أوشك أن يرتحل وانه خلف في المسلمين ثقلين كتاب الله

---

(١) ـ تخريج الأحاديث /الزيلعي: ٢٠٨/١.
(٢) ـ صحيح مسلم: ١٢٢/٧.
(٣) ـ مسند أحمد: ١٨١/٥ ـ ١٨٢.
(٤) ـ سُنن الترمذي: ٣٢٩/٥.
(٥) ـ مسند أحمد: ٢٨١/٤.

واهل بيته وانهما لن يفترقا إلىٰ يوم القيامة، وكان عمر اول المهنئين لعلي (عليه السلام): يقول ابن حنبل: "فلقيه عمر بعد ذلك فقال له هنيئا يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولىٰ كل مؤمن ومؤمنة"[١]. ثم أعقب الله تعالىٰ بعد هذا التبليغ بقوله: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً ﴾. وماذا بعد؟ هل اقتنعت قُريش بكلام الله وخطاب نبيه؟ وهل اعترفت بهذا المهرجان الذي شهدته عشرات الألوف من الحجيج؟

إن مراجعة كتب الرواية القرشية تكشف بجلاءٍ حقيقة تعامل قُريش مع هذه المسالة وأنهم ما منعوا كتابة الحديث وروايته رسمياً إلاّ للتكتيم علىٰ هذه الواقعة التي حسم الله تعالىٰ ورسوله (صلى الله عليه وآله) فيها قضية الخلافة التي كانت أمل قُريش في التفافها علىٰ الإسلام، وبما أن واقعة غدير خم كانت من الشهرة العظيمة بحيث لا يمكن إنكارها جملة وتفصيلاً فانهم تعمدوا في تفكيك عناصرها وتجزئة وقائعها في أحاديث مبتورة متناثرة موزعة هنا وهناك بشكل لا يمكن لمطالعيها تكوين صورة متكاملة عن أحداثها بل قد يكون إلىٰ إنكارها أقرب، لتوفر الدواعي المصطنعة لذلك. وهنا تسكب العبرات!!

لقد غلت الجاهليّة العمياء في قلوب القرشيين ومن والاهم من منافقي العرب فتذكرت أيام عزها في الجاهليّة التي ذهبت بنور الحق وأحسّت بالإحباط في تحقيق أحلامها فلم تتمالك نفسها من حين إعلان هذا النبأ العظيم فأعلنت الحرب علىٰ الله ورسوله علنا دون خوف أو خجل، وكشف النفاق عن ساقيه بعد كتمان طويل.

تكشف كتب الأخبار عن حقيقة تستحق التوثيق والعناية من الباحثين وهي أن الأكثرية المنافقة كانت علىٰ علم بالذي عزم النبي (صلى الله عليه وآله) بيانه بغدير خم، فقد ذكر ابن عساكر والطبراني[٢] إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) "نزل بِخُمٍ فتنحىٰ الناس عنه ونزل معه علىٰ بن أبي طالب (رضي الله عنه) فشق علىٰ النبي (صلى الله عليه وآله) تأخر الناس عنه فأمر علياً فجمعهم فلما اجتمعوا قام فيهم وهو متوسد علي بن أبي طالب فحمد الله واثنىٰ عليه ثم قال: أيها الناس اني قد كرهت تخلفكم وتنحيكم عني حتىٰ خيل إلي أنه ليس من شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني، ثم قال: لكن علي بن أبي طالب أنزله مني بمنزلتي منه فرضي الله عنه كما أنا عنه راض فانه لا يختار علىٰ قربي وصحبتي شيئاً فرفع يديه فقال من كنت مولاه فعلي مولاه

---

(١) ـ مسند احمد: ٤/٢٨١.

(٢) ـ تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/٢٢٧، ومسند الشاميين /الطبراني: ٣/٢٢٣.

اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فابتدر الناس إلىٰ رسول الله (ﷺ) يبكون ويتضرعون ويقولون: والله يا رسول الله ما تنحينا عنك إلاّ كراهية أن يثقل عليك فنعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله" وفي رواية ابن بطريق"لكن علي بن أبي طالب انزله الله مني بمنزلتي"[١].

فهذه الرواية المذكورة عند السُنّة والشيعة تُشير إلىٰ أن الناس كانوا علىٰ علم ولو إجمالاً بشأن نزول شيء في حق علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولهذا تنحوا عنه كراهة هذا الأمر الإلهي. وهناك ما يؤيد كون الأمر معروفاً منذ يوم عرفة ما ذكره الطريحي في مجمع البحرين يقوله: "تعاقد خمسة منهم في جوف الكعبة وهم الأول والثاني وأبو عبيدة وعبد الرحمن وسالم مولىٰ حذيفة حيث قالوا: إن أمات الله محمّداً لا نرد هذا الأمر في بني هاشم[٢] وذكره المجلسي[٣] قال: فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾[٤].

ويؤيده أيضاً ما ذكره العياشي والحسكاني[٥] واللفظ للأول: عن جابر بن أرقم قال: بينا نحن في مجلس لنا وأخي زيد بن أرقم يحدثنا إذ أقبل رجل علىٰ فرسه عليه زي السفر، فسلم علينا ثم وقف فقال: أفيكم زيد بن أرقم؟ فقال زيد: أنا زيد بن أرقم فما تريد؟ فقال الرجل أتدري من أين جئت؟ قال: لا قال: من فسطاط مصر لأسألك عن حديث بلغني عنك تذكره عن رسول الله (ﷺ) فقال له زيد: وما هو؟ قال: حديث غدير خم في ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: يا بن أخي إن قبل غدير خم ما أحدثك به: إن جبرئيل الروح الأمين (عليه السلام) نزل علىٰ رسول الله (ﷺ) بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فدعا قوماً أنا فيهم فاستشارهم في ذلك ليقوم به في الموسم، فلم ندر ما نقول له، وبكىٰ رسول الله (ﷺ)، فقال له جبرئيل (عليه السلام): ما لك يا محمّد أجزعت من أمر الله؟ فقال: كلا يا جبرئيل ولكن قد علم ربي ما لقيت من قُريش إذ لم يقروا لي بالرسالة حتىٰ أمرني بجهادي، وأهبط إليّ جنوداً من السماء فنصروني، فكيف يقرّوا لعلي من بعدي؟ فانصرف عنه جبرئيل ثم نزل عليه: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾. فلما نزلنا الجحفة

---

(١) ـ العمدة لابن بطريق: ١٠٧.
(٢) ـ مجمع البحرين: ٤٨٤/٢.
(٣) ـ بحار الأنوار: ١٢٩/٣٧.
(٤) ـ القرآن الكريم، سورة الزخرف: ٧٩ـ٨٠.
(٥) ـ تفسير العياشي: ٩٧/٢ وشواهد التنزيل: ٣٥٦/١.

وضربنا أخبيتنا نزل جبرئيل بهذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا رسول الله (ﷺ) وهو ينادي: أيها الناس أجيبوا داعي الله أنا رسول الله، فأتيناه مسرعين في شدّة الحر فإذا هو واضع بعض ثوبه علىٰ رأسه وبعضه علىٰ قدمه من الحر، وأمر بقم ما تحت الدوح، فقم ما كان ثمة من الشوك والحجارة، فقال رجل: ما دعاه إلىٰ قم هذا المكان وهو يريد أن يرحل من ساعته إلاّ ليأتينكم بداهية، فلما فرغوا من القم أمر رسول الله (ﷺ) أن يؤتىٰ بأحلاس دوابنا وأقتاب إبلنا وحقائبنا، فوضعنا بعضها علىٰ بعض، ثم ألقينا عليها ثوباً، ثم صعد عليها رسول الله فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: يا أيها الناس إنه نزل عليّ عشية عرفة أمر ضقت به ذرعاً مخافة تكذيب أهل الإفك، حتىٰ جاءني في هذا الموضع وعيد من ربي إن لم أفعل. إلا وإني غير هائب لقوم ولا محاب لقرابتي، أيها الناس من أولىٰ بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله، قال: اللهم اشهد... إلىٰ آخر الحديث ".

وذكر الحسكاني في شواهد التنزيل: "لما سمع ذلك معاوية بن أبي سفيان اتكأ علىٰ المغيرة بن شعبة وقام وهو يقول: **"لا نُقر لعلي بولاية ولا نُصدق محمّداً في مقالة"**"[١].وعن زيد بن أرقم قال: بعد أن نزل النبي (ﷺ) انصرفنا إلىٰ رحالنا وكان إلىٰ جانب خبائي خباء لنفر من قُريش وهم ثلاثة ومعي حذيفة بن اليمان، فسمعت أحد الثلاثة وهو يقول: والله إن محمّداً لأحمق إن كان يرىٰ أن الأمر ليستقيم لعلي من بعده، وقال الآخر: أتجعله أحمقاً؟ ألم تعلم أنه مجنون قد كاد أن يصرع عند امرأة ابن أبي كبشة، وقال الثالث: دعوه إن شاء يكون أحمقاً وإن شاء أن يكون مجنوناً والله ما يكون ما يقول أبداً" [٢].

وسمع بذلك الحارث بن النعمان الفهري، فأتىٰ رسول الله (ﷺ) علىٰ ناقة، فأناخ راحلته ونزل عنها وقال: يا محمّد أمرتنا عن الله (ﷻ) بشهادة أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلنا منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا وأمرتنا بالحج فقبلنا، ثم لم ترض بذلك حتىٰ رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا فقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك أم من الله (ﷻ)؟ فقال النبي (ﷺ): والذي لا إله ألاّ هو إنّ هذا من الله (ﷻ). فولّى الحارث بن النعمان

(١) ـ شواهد التنزيل: ٢ /٣٩١.

(٢) ـ تفسير العياشي: ٢/٩٨.

يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمّد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إلىٰ راحلته حتىٰ رماه الله (ﷻ) بحجر فسقط علىٰ هامته وخرج من دبره[١] وأنزل الله تعالىٰ: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾[٢].

وبدأت رؤوس الكفر بالتآمر علىٰ الإسلام من يومه وقالوا الكثير الذي حجبوا وصوله إلىٰ الأجيال بمنع التدوين وتحريم نقل الحديث، فقالوا أول ما قالوه: لا تجتمع النبوة والخلافة في آل بيت واحد[٣]، وهو ما صرح به عمر بن الخطاب أيام خلافته، قال لابن عباس: "ما يمنع قومكم منكم وأنتم أهل البيت[٤] خاصة؟ قال ابن عباس: لا أدري. قال: لكنني أدري، إنكم فضلتموهم بالنبوة فقالوا إن فضلوا بالخلافة مع النبوة لم يبقوا لنا شيئاً[٥].

وقال له أيضاً: "يا بن عباس إن أول من ريّثكم عن هذا الأمر أبو بكر، إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة، قلت: لم ذلك يا أمير المؤمنين؟ ألم ننلهم خيراً؟ قال: بلى، ولكنهم لو فعلوا لكنتم عليهم جِحفاً جحفاً" [٦]. وقال له يوماً: يا بن عباس ما أظن صاحبك إلا مظلوماً. فقلت: يا أمير المؤمنين فأردد عليه ظلامته. فانتزع يده من يدي وقال: يا بن عباس ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلاّ أنهم إستصغروه. فقلت والله ما

---

(١) ـ فيض القدير: ٢٨٢/٦ والمناقب لابن مردويه: ص ٢٤٨ والفصول المهمة: ٢٤٤/١ وينابيع المودة: ٣٧٠/٢ والجامع لأحكام القرآن: ٢٨٩/١٨ ونور الأبصار: ص٨٧ ونظم درر السمطين: ص٩٣ وتفسير الثعلبي:٣٥/١٠ ومعارج الوصول /الزرندي الشافعي: ص٣٩ وشواهد التنزيل: ٣٨١/٢ـ٣٨٢ والسيرة الحلبية: ٣٣٧/٣ وتفسير القرطبي: ٢٧٨/١٨ ـ ٢٧٩.

(٢) ـ القرآن الكريم، سورة المعارج: ١ ـ ٣.

(٣) ـ اليقين لابن طاووس: ص ٢٧٣.

(٤) ـ «**أهل البيت**» أو «**آل البيت**» هم: **أسرة الهادي البشير محمّد المصطفىٰ** (ﷺ) تحديداً؛ والذين قُصِدوا بآيات **التطهير** و**المودة** و**المباهلة** و**الإطعام** و**القربىٰ** و**سورة الكوثر**؛ وهم: الإمام علي (عليه السلام) و**فاطمة الزهراء** (عليها السلام) و**الحسن المجتبىٰ** (عليه السلام) و**الحسين الشهيد** (عليه السلام) ويَليهم تسعة من أولاد الإمام الحسين (عليه السلام) ولأهل البيت (عليهم السلام) منزلة ومقام رفيع شريف وأنّهم معصومون ومفضّلون علىٰ جميع الصحابة والتابعين وأنّ الله تعالىٰ أوجب علىٰ المسلمين مودتهم وطاعتهم وأنّهم القادة والأولياء والمراجع الشرعيين للأمّة وعلىٰ المسلمين الرجوع إليهم في كافة القضايا الدينية والانتفاع من علومهم وتوجيهاتهم ووصاياهم.

(٥) ـ العقد الفريد: ٢٦٥/٤كتاب الخلفاء.

(٦) ـ شرح نهج البلاغة: ٥٧/٢ـ ٥٨.

استصغره الله حين أمره أن يأخذ براءة من أبي بكر" [(١)].

لقد حاول رسول الله (ﷺ) وهو في مرض وفاته أن يبعد المنافقين عن المدينة فأمر ببعث أسامة ولعن من تخلف عنه[(٢)]. إلاّ أنهم خالفوا رسول الله (ﷺ) ولم يمتثلوا أمره بحجة مرض النبي، والنبي يصرّ علىٰ خروجهم حتىٰ أنه خرج معصب الجبين وقال جهزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عنه[(٣)]، بل وطعنوا علىٰ الرسول (ﷺ) تأميره لأسامة علىٰ المهاجرين والأنصار، فجلس رسول الله (ﷺ) علىٰ المنبر ثم قال: "إنّ أناساً يطعنون في إمارة أسامة وقد كانوا يطعنون في إمارة أبيه من قبله وأيم الله إنه لخليق للإمارة وإن أباه لمن أحب الناس إليّ وإنه لمن أحب الناس عليّ بعده" [(٤)].

ولما رأىٰ النبي (ﷺ) إصرارهم علىٰ البقاء وامتناعهم عن تنفيذ أوامره، قال: "إئتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تظلوا بعدي" فأراد صلوات الله عليه وآله أن يقطع النزاع بتوثيق الوصاية كتابة بعد تبليغه قولا في غدير خم وبعدها، وعلم القوم مرام النبي (ﷺ)، فقال عمر: "إن رسول الله قد غلبه الوجع ـ وفي بعض الروايات يهجر[(٥)] ـ حسبُنا كتاب الله وكثر اللغط، فقال النبي (ﷺ) قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع" [(٦)].

وهكذا حالوا بين رسول الله وبين ما أراد، عالمين عامدين تآمراً منهم علىٰ الدين وتمهيداً لتنفيذ ما خططوا له من قبل ليفرضوا علىٰ المسلمين إرادة قُريش التي أبت

---

(١) ـ السقيفة /الجوهري: ص٧٠ وشرح النهج: ٦ م٤٥ خطبة ٦٦.

(٢) ـ السقيفة وفدك /الجوهري: ص٧٧ وشرح النهج: ٥٢/٦ والمواقف /الإيجي: ٦٥٠/٣.

(٣) ـ الملل والنحل: ٢٣/١ المقدمة الرابعة، وشرح النهج: ٢٣/١.

(٤) ـ مسند أسامة بن زيد لعبد الله بن محمود البغوي: ص٤٣.

(٥) ـ «الهُجْر»: الهذَيانُ والقبيحُ من القول. نُسب إلى عمر بن الخطاب أنه مَنع من أن يكتب النبي ﷺ عند مماته كتاباً وقال: «إن الرجل ليهجر» أو «إن النبي غلبه الوجع» بألفاظ مختلفة في:

١ـ صحيح البخاري ج٣٢/١ باب كتابة العلم وج٧/٤ باب قول المريض قوموا عني وج٢٧١/٤ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهية الخلاف وج١٧٨/٢ باب هل يستشفع إلى أهل الذمة وج٦٢/٤ باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب.

٢ـ صحيح مسلم: ج١٢٥٩/٣ باب ترك الوصية وج١٢٥٧/٣

٣ـ مسند أحمد: ج٢٤/١ و٢٢٢ وج٣٤٦/٣. وغيرها كثير

(٦) ـ صحيح مسلم: ٧٦/٥ وصحيح البخاري: ٣٧/١ باب كتابة العلم.

الخضوع لأمر الله تعالىٰ ورسوله وتمسكت بعروة اللاة والعزىٰ وسُنّة السلف الجاهلي.

لقد حاول بعض الأنصار الذين شاركوا مهاجري قُريش الرأي في خصوص الوصية يوم الغدير وكانوا علىٰ علم بمخططات قُريش، حاولوا استباق قُريش وحسم الموضوع لصالحهم، إذ دعوا إلىٰ اجتماع عاجل للأنصار في سقيفة بني ساعدة والنبي (ﷺ) لم يمت بعد، وأرادوا عقد البيعة لرئيسهم سعد بن عبادة.

كان لقُريش حلفاء من الأنصار حضر بعضهم هذا الاجتماع ومنهم عويم بن ساعدة ومعد بن عدي وكان النبي قد آخىٰ بين عويم وبين عمر[(١)]، والرجلان من ذوي حب لأبي بكر في حياة رسول الله (ﷺ)، واتفق مع ذلك بغض وشحناء كانت بينهما وبين سعد بن عبادة[(٢)]، فلما نصب الأنصار سعداً، قال عويم: يا معشر الخزرج إن كان هذا الأمر فيكم دون قُريش فعرفونا ذلك وبرهنوا حتىٰ نبايعكم، وإن كان لهم دونكم فسلموا إليهم فوالله ما هلك رسول الله (ﷺ) حتىٰ عرفنا أن أبا بكر خليفة حين أمره أن يصلي بالناس، فشتمه الأنصار وأخرجوه، فانطلق مسرعاً حتىٰ التحق بأبي بكر[(٣)].

"وعن المدائني والواقدي: أن معن بن عدي اتفق هو وعويم بن ساعدة علىٰ تحريض أبي بكر وعمر علىٰ طلب الأمر وصرفه عن الأنصار قالا: وكان معد بن عدي يشخصهما أشخاصاً ويسوقهما سوقاً عنيفاً إلىٰ السقيفة مبادرة إلىٰ الأمر قبل فواته"[(٤)] فاتىٰ معد وعويم إلىٰ عمر فأخبراه وقالا: "إنا قد خلفنا وراءنا قوماً قد حلت دمائهم بفتنتهم ففزع عمر أشد الفزع فتوجه عمر إلىٰ بيت رسول الله (ﷺ) أو بيت أبي بكر لإخباره فحدثه بالحديث ففزع أبو بكر اشد الفزع وخرجا مسرعين إلىٰ السقيفة"[(٥)] لإفشال مخطط القوم وتمكن بمعونة حلفائه من الأنصار تنفيذ مخططه الخاص فغير مجرىٰ الأمور لصالح قُريش كما سنبين لاحقاً. وشارك المتآمرين علماءُ السوء في كتمان المؤامرة بتعمية الواقعة بعد وقوعها وغشّوا بذلك المسلمين بما روجوه من الكذب فخرجوا بذلك من دين الله أفواجاً سائرين وراء سراب بقيعة يحسبوه من الضماء ماء ولولا خوفنا الإطالة لفصلنا القول لكننا نذكر من باب المثال آثار معاول بعض علمائهم في هدم بناء الإسلام بتوجيهاتهم

(١) ـ الإصابة لابن حجر: ٤٥/٥.
(٢) ـ شرح نهج البلاغة: ١٩/٦.
(٣) ـ شرح نهج البلاغة: ١٩/٦.
(٤) ـ شرح نهج البلاغة: ١٩/٦.
(٥) ـ السقيفة وفدك، الجوهري: ص٥٨.

الغريبة لقول النبي (ﷺ) [مَنْ كُنْتَ مولاه فَعليٌ مَولاهُ] بعد اعترافهم بصدورها بعد اللتيا والتي: ذكر الرازي في تفسيره من وجوه تفسير اية ﴿ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ومن جملتها: أنها نزلت في فضل علىٰ بن أبي طالب (عليه السلام) ولما نزلت أخذ بيده وقال: "**من كُنْتُ مَولاه فَعَليٌ مَولاه اللهُمَّ والِ مَنْ والاه وعادِ مَن عاداه**"[(١)].

ثم يعلق ويقول: "واعلم أن هذه الروايات وإن كثرت إلاّ أن الأولىٰ حملها علىٰ أنه تعالىٰ آمنه من مكر اليهود والنصارىٰ وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم وذلك لان ما قبل هذه الآية بكثير وما بعدها بكثير لما كان كلاما مع اليهود والنصارىٰ امتنع إلقاء هذه الآية الواحدة في البين علىٰ وجه تكون أجنبية عما قبلها وما بعدها ".

فانظر إلىٰ هذا التفسير الغير الموفق من عَلَمٍ من وعاظ السلاطين كيف يحرف الكلم عن مواضعه ويا ليت أحداً قال له: إن النبي (ﷺ) بلّغ رسالة ربه عندما كانت اليهود والنصارىٰ في أوج قدرتهم بدعم من قُريش، وهل نسي العلاّمة اشتراك أسياده مع اليهود والنصارىٰ في الأحزاب وهل ثبت لديه أن النبي (ﷺ) خاف منهم تلك الفترة الطويلة، فكيف خاف اليهود في آخر شهرين مما تبقىٰ من عمره الشريف وقد وصلت نسبة خطر اليهود فيه إلىٰ الصفر بعد انتصار الإسلام الساحق في جزيرة العرب؟ ثم إن الآية تصرح بأن الدين قد اكتمل في هذا اليوم فأي تبليغ آخر غير مضمون ﴿ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ كان يخاف منه؟

وماذا كان ذلك البلاغ الذي تمهل النبي (ﷺ) في إبلاغه خوفاً من اليهود والذي عدّه الله تعالىٰ إكمالاً للدين؟ وهل إستخلافه الكتاب وأهل البيت بعد نزول الآية مباشرة هو السبب في خشيته من اليهود واقعاً؟

لا والله، إن الذين خافهم الرسول (ﷺ) هم قُريش والمنافقون ممن أظهر الإسلام منهم، فهم الذين ضيعوا التبليغ وضيعوا الرسالة كما يظهر من تحريف الرازي وأمثاله للأحداث، أما اليهود فقد عرفوا الحقيقة رغم عدم اعترافهم بها لأنهم يهود ولا يهمهم الإسلام في شيء، والدليل علىٰ ذلك هو ما ذكره البخاري في صحيحه حيث قال: "إنّ أناساً من اليهود قالوا: لو نزلت هذه الآية فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال عمر أيةُ آيةٍ؟ فقالوا: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً ﴾،

(١) ـ تفسير الرازي: ١٢/٤٩ ـ٥٠.

فقال عمر: إني لأعلم أي مكان أنزلت"[١] قال ابن حجر: "المتكلم به منهم كعب الأحبار"[٢]

فأية مصيبة أعظم علىٰ الإسلام من تآمر المتآمرين وتوجيه وعاظ السلاطين، وكأن البخاري وغيره جهلوا ما أراده كعب بقوله هذا، إنه طعن الخليفة بالمباشر واتهم المسلمين بأنهم ضيعوا الإسلام وعملوا بخلاف ما أراده الله تعالىٰ، وأن خلافتهم غير مبنية علىٰ أساس الآية التي أعقبت قوله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ وأن إكمال الدين ليس بخلافتهم بل بخلافة الذين استخلفهم النبي بأمر من الله يوم غدير خم.



(١) ـ صحيح البخاري: ١٢٧/٥.

(٢) ـ مقدمة جامع البيان: ص ٣٠٦.

استمرار التآمر، بعد آية إكمال الدين

يجمع أهل الأديان علىٰ ثبوت السُنّة الإلهية في عدم ترك العباد بعد قبض الأنبياء (عليهم السلام) في حيرة من أمر المرجع الذي إليه يرجعون في شؤونهم، ويؤمنون بأن الله اختار لأنبيائه أوصياء نص عليهم، وهي سُنّة جرت في كل الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالىٰ في كتبه المنزلة، وقد ذكر العلماء أسماءهم كما جاءت به الروايات[1]. وكلهم معينون من قبل الله تعالىٰ، وكان المرجو أن يكون شأن نبي الإسلام في مجال تطبيق هذا القانون شأن سائر الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين. إلاّ أن قُريشاً ادّعت من غير دليل أن نبي الإسلام مستثناة من تلك القاعدة، وأن النبي (صلى الله عليه وآله) مات من غير وصية تاركاً المسلمين في حيرة من أمرهم.

لقد وقع القوم في تناقض كبير عند تعاملهم مع الوصية، ففي الوقت الذي أجمعوا علىٰ أن النبي (صلى الله عليه وآله) مات من غير وصية وأنه انتقل إلىٰ الرفيق الأعلىٰ دون أن يذكر شيئاً عن مصير الناس بعده، ولم يقل أحد منهم آنذاك إن ترك الرعية بلا راع مخالف للحكمة، لكنك تجدهم يقولون ذلك للخليفة عمر ويحثوه علىٰ الاستخلاف، فقد روىٰ مسلم في صحيحه: إن ابن عمر قال: "دخلتُ علىٰ حفصة فقالت: أعلمت أن أباك غير مستخلف؟ قال: قلت: ما كان ليفعل. قالت: إنه فاعل. فحلفت أني أكلمه في ذلك فسكتّ حتىٰ غدوت ولم أكلمه قال: فكنت فكأنما أحمل بيميني جبلاً، حتىٰ رجعت ودخلت عليه، فسألني عن حال الناس وأنا أخبره قال ثم قلت له: إني سمعت الناس يقولون مقالة فآليت أن أقولها لك، زعموا أنك غير مستخلف، وأنه لو كان لك راعي إبل أو راعي غنم، ثم جاءك وتركها رأيت أن قد ضيّع، فرعاية الناس أشد. قال: فوافقه قولي" [2].

---

(١) ـ ذكر العلماء أسماء أوصياء الأنبياء وقالوا إن آدم كان وصيه شيث وشيث كان وصيه أنوش وأنوش كان وصيه قينان وقينان وصيه مهلائيل ومهلائيل وصيه برد وبرد وصيه إدريس وإدريس وصيه متوشلخ ومتوشلخ وصيه لمك ولمك وصيه نوح ونوح وصيه سام وسام وصيه أرفخشد وأرفخشد وصيه عابر وعابر وصيه شالخ وشالخ وصيه قالع وقالع وصيه أشروغ. وإبراهيم وصيه ابنه إسماعيل، وداود وصيه سليمان وسليمان وصيه آصف بن برخيا، ويعقوب وصيه يوسف ويوسف وصيه بثرياء، وهو وصيه ابن عمه يوحنا بن حنان وموسى وصيه يوشع بن نون وعيسى وصيه شمعون بن برخيا (حمون الصفا). فما تركوا نبياً إلاّ وذكروا له وصياً باستثناء نبي الإسلام حيث فرض الأمر الواقع فرضاً بإنكار وصيته رغم الأخبار المتواترة الصحيحة بين المسلمين

(٢) ـ صحيح مسلم: ٦/٥.

لو كنا نحن وهذه الصحيحة لسألنا ابن عمر وحفصة والناس، أين كانت حكمتهم هذه عندما ترك النبي الاستخلاف كما يزعمون؟ فلماذا بخلوا بها في حقه لكي لا يضيع الأمة، ترىٰ هل ضيّع رسول الله الأمة بتركه الاستخلاف كما هو معتقدهم أم أنه استخلف لكن أمر استخلاف النبي لم يرق لقُريش فأنكرت؟

الحق أن صحاحهم ومسانيدهم تقول: إنه (ﷺ) استخلف خليفتين كما في حديث الغدير[١] المتواتر، وإنه أكد علىٰ الناس ذلك بقوله "فانظروا كيف تخلفوني فيهما"[٢] وإنه (ﷺ) أراد توثيق ذلك بكتاب يوم وفاته فقال: "إئتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبداً" فقالوا إن رسول الله يهجر[٣]فكتموا الشهادة وكذّبوا الصحاح وفعلوا ما أرادوه خلافاً لله ولرسوله. فتباً لكم أيتها الجماعة وترحا، لماذا لم تقولوا لخليفتكم أبي بكر إنه يهجر أو غلبه الوجع عندما كتب كتاباً في يوم وفاته يستخلف فيه عمر بن الخطاب وهو في سكرات الموت ولم يكن في حضرته سوىٰ عثمان بن عفان كاتب الوصية حيث لا شاهد علىٰ ما كتب ولا يقين بصحة الإملاء وكتبكم تصرح بأن الخليفة كان يملي وصيته فأغمي عليه قبل أن يتمها ثم استفاق وأمضىٰ ما كتبه عثمان بن عفان فرضيتم بما كتب دون اعتراض من أحد. **أعلىٰ أنفسكم تضحكون أم علىٰ الله تجترئون؟؟**

وهذه روايتكم الأخرىٰ عن أم المؤمنين عائشة وهي تقول لابن عمر: "يا بني بلغ

---

(١) ـ «**حديث الغدير**»: صحيح متواتر عند الفريقين، لموقف حدث يوم ١٨ ذي الحجة سنة ١٠ هـ، عند عودة النبي ﷺ من «حجة الوداع» في «غدير خُم» قُرب «الجحفة». يستدل «الشيعة» به علىٰ أحقية خلافة علي (عليه السلام)، بينما يعتقد «السُنَّة» دلالته علىٰ علو منزلته ولا توجب له أحقيةً بالخلافة. يحتفل «الشيعة» به كل عام في مناسبة تُسمىٰ «عيد الغدير». نقتبس منه «... فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فنادىٰ منادٍ: وما الثقلان؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله (عزّ وجلّ) وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عِترَتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتىٰ يراد علىٰ الحوض ... ثم أخذ بيد علي فرفعها حتىٰ رؤيَ بياض آباطهما ... فقال: أيها الناس من أولىٰ الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ ... فمن كنت مولاه فعلي مولاه، يقولها ثلاث ... اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبَّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار ... ثم لم يتفرقوا حتىٰ نزلت: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾... ثم طفق القوم يهنئون ... أبو بكر وعمر كل يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولىٰ كل مؤمن ومؤمنة، ...

(٢) ـ سُنن الترمذي: ٥/٣٢٩.

(٣) ـ صحيح مسلم: ٥/٧٥.

عُمر سلامي، فقل له لا تدع أمة محمّد بلا راعٍ، استخلِف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا فإني إخشىٰ عليهم الفتنة" [(١)]. فكيف التفتت أمُّ المؤمنين إلىٰ أن ترك الأمة هملاً يوجب الفتنة وزعَمتم أن النبي (ﷺ) لم يلتفت إلىٰ هذه الحكمة فارتحل وترك الأمة بعده هملاً. وأنتم تتلون قوله (ﷺ): "لكل نبي وصي" [(٢)] وتثبتون أنه (ﷺ) أراد كتابة وصيته وطلب من القوم الدواة والكتاب ليكتب ما لن يضلوا بعده لكن الشيوخ منعوه، إنهم لم يسمعوا قط أنه (ﷺ) قال أنا مستثنىٰ من قاعدة لكل نبي وصي. وليس لديهم دليل واحد يثبت أنه (ﷺ) قال: لينتخب المسلمون خليفتي بالشورىٰ أو البيعة كما فعلوا. كما منعوه من كتابة الوصية علناً، ولا شك أن الذين منعوا النبي من كتابة وصيته هم الذين أرادوا أن يبقوا الأمة هملاً ليتمكنوا من تحقيق أهدافهم.

إنّ المتأمل في التراث الإسلامي يعلم أن أمراً ما قد حدث في صدر الإسلام تسبب في جدل حاد وفتنة بين المسلمين انقسموا علىٰ إثره إلىٰ مثبت للوصية ومنكر لها، الأمر الذي أدىٰ إلىٰ تشرذمهم في فرق وطوائف متناحرة متناجزة بالكلام تارة وبالحسام أخرىٰ لتكون نتيجة هذه الفرقة ضعفا للإسلام والمسلمين منذ وفاة الرسول إلىٰ يومنا وما تبعه من نتائج مأساوية من إزهاق النفوس وهدر الأموال والطاقات وتفشي الجور والفساد وتحكم الغرباء في مقدرات المسلمين وما إلىٰ ذلك من مآسي وهذا ما يثير الفضول للسؤال عن السر وراء موقفهم؟

قلنا من قبل أن نار الحمية والعصبية القبلية والأخلاق الجاهليّة التي كانت متأصلة ومتّقدة في النفوس طيلة فترة الجاهليّة الأولىٰ لم تمت في نفوس وقلوب غالبية العرب الذين آمنوا بالنبي. ولم تجف جذورها بمجيء الإسلام، غاية الأمر تمكن الدين الجديد من كبت حدّة لهيبها بسبب قوة الحجة وتأثير شخص الرسول (ﷺ)، المؤيد من السماء. وهناك شواهد تدل علىٰ بروز مرض الجاهليّة المزمن بين حين وآخر علىٰ عهد الرسول (ﷺ) في العديد من المواقف، بل ويرىٰ المتتبع آثاراً لقادة الفكر الجاهلي الذين كانوا بصدد رسم خارطة العودة خلال عهد الرسالة. وقد كشفت الأحداث التي وقعت أيام

---

(١) ـ أعلام النساء: ٢/٨٧٦ والإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١/٢٨ تحقيق الزيني.

(٢) ـ الكامل لابن عدي: ٤/١٤ والمعجم الكبير: ٦/٢٢١ وفردوس الأخبار /الديلمي: ٣/٣٨٢ وتاريخ دمشق لابن عساكر: ٤٢/٣٨٢ وميزان الاعتدال /الذهبي: ٢/٢٧٣ وفتح الباري: ٨/ ١١٤.

مرض النبي (ﷺ) وما أعقبتها عن وجه الصراع الحقيقي بين الحركة القومية الجاهليّة التي رفع رايتها قبائل متعددة وبين الدين الجديد الذي بني قواعده علىٰ أساس أممي.

ومن المحزن جداً أن نرىٰ تحاشي الباحثين العرب بسبب العصبية وغير العرب بسبب الخوف عن الإشارة إلىٰ الدور الخطير للفكر القومي العنصري في أحداث التاريخ الإسلامي. وفيما يلي جملة من مواقف حملة الفكر الجاهلي الذين بذلوا الجهد من أجل إخراج الإسلام من مسيره الإلهي ليعيدوا بالأمة إلىٰ سابق عهدها والتي تبين تمسكهم بأصول عقيدتهم الجاهليّة وهم في ثوب الإسلام

ـ الصراع علىٰ كرسي الخلافة:

في آخر يوم من حياة الرسول (ﷺ)، وقعت فتنة بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة، وخلاصة الفتنة المعروفة هي الآتي: اجتمع الأنصار في السقيفة لتعيين مرشحهم سعد بن عبادة خليفةً للرسول (ﷺ)، أما المهاجرون فكانوا في غفلة عن هذا وكان بعضهم عند رسول الله (ﷺ) وهو علىٰ فراش المرض فأتاهم آت يقول: قد حدث أمر، إن الأنصار قد اجتمعوا في «سقيفة»[1] بني ساعدة مع سعد بن عبادة[2]، وقد انحازوا إليه فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا الناس قبل أن يتفاقم أمرهم[3] ويحدث أمر يكون فيه حرب فيتركون النبي (ﷺ) علىٰ حاله.

بعد وصول هذا النبأ توجه أبو بكر وعمر إلىٰ السقيفة ثم تبعهم جمع آخر منهم وقابلوا الأنصار ووقع بينهم جدل كلامي يكشف نوايا الطرفين ويظهر بجلاء رواسب الجاهليّة المنتنة التي نهوا عنها، فبدأ متحدث الأنصار بالحديث قائلاً: نحن أنصار الله

---

(١) ـ «**سقيفة بني ساعدة**»: جغرافياً تقع شمال غرب المسجد وهو الآن حديقة تطل مباشرة علىٰ السور الغربي للمسجد النبوي. تاريخياً تَجَمُّعٌ **للأنصار** لإنتخاب أميرٍ قُبيلَ إعلان وفاة النَبيّ ﷺ؛ متجاهلين النَبيّ ﷺ آخر ساعاته؛ إستُهلّ باختيار **سعد بن عبادة** أميراً؛ وبالتحاق **المهاجرين أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح** وبعد تنازعٍ ومشاحنة وتشاتم وشجارٍ واشتباكٍ استمر إلىٰ الليل أفضىٰ لفرض أبي بكر ومبايعتهِ خليفةً؛ مخالفين بذلك أمر رسول الله ﷺ الصريح وتخلفهم عن «بعث أسامة» من جهة ولم يشهدوا وفاته ولا تجهيزه ولم يعرفوا بدفنه ألّا حين سماعهم صوت المساحي في السحر من جهة أخرى. لم يحضر السقيفة بنو هاشم وأهل بيت الرسول ﷺ وعلىٰ رأسهم علي (عليه السلام) لانشغالهم بتجهيز الرسول ﷺ ودفنه.

(٢) ـ المصنف لابن أبي شيبة: ٥٧١/٨ وكنز العمال: ٦٤٩/٥.

(٣) ـ سيرة ابن هشام: ١٠٧١/٤.

وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد ذفت ذافة منكم ـ أي دب قوم الاستعلاء والترفع علينا تريدون أن تختزلونا من أهلنا ـ أي تنحونا عنه ـ تستبدون به دوننا[١]. وفي المقابل برز أبو بكر متحدثاً عن المهاجرين قائلاً: "لم تعرف العرب هذا الأمر إلاّ لهذا الحي من قُريش هم أوسط العرب نسباً وداراً ـ يعني مكة ـ ولدتنا العرب كلها، فليست منها قبيلة إلا لقُريش منها ولادة ودار، وكلنا معاشر المهاجرين أول الناس إسلاماً، ونحن عشيرته (ﷺ) وأقاربه وذوو رحمه، فنحن أهل النبوة ونحن أهل الخلافة. واحتج علىٰ الأنصار بخبر "الأئمة من قُريش" وقال: أنتم يا معشر الأنصار إخواننا في كتاب الله وشركاؤنا في الدين وأنتم أحق بالرضا بقضاء الله وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئت وأخذ بيد عمر وأبي عبيدة بن الجراح" [٢].

فقام متحدث من الأنصار وقال: إن رسول الله (ﷺ) كان إذا استعمل الرجل منكم قرن معه رجلاً منا فنرىٰ أن يلي هذا الأمر رجلان منا ومنكم. ويتدخل زيد بن ثابت وهو من الأنصار يريد الإصلاح يقول للأنصار: أتعلمون أن رسول الله (ﷺ) كان من المهاجرين وكنا نحن أنصاره، فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره، ثم أخذ بيد أبي بكر (رضي الله عنه) وقال هذا صاحبكم. فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار لا تسمعوا مقالة هذا فتذهب قُريش بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبو عليكُم فأجلوهم من بلادكم فأنتم أحق به منهم، أما والله وإن شئتم لنقيمها جذعة. ويجيبه عمر بن الخطاب بقوله: إذن يقتلك الله، فيجيبه الحباب: بل أراك تقتل. ولما كثر اللغط وعلت الأصوات، قال عمر: سيفان في غمد واحد لا يكونان، هيهات لا يجتمع فحلان في مغرس. وقال لأبي بكر أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعه وبايعه المهاجرون ووثبوا علىٰ سعد بن عبادة فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة. فقال عمر قتل الله سعد بن عبادة فإنه صاحب فتنة[٣].

ثم قام عمر علىٰ راس سعد وقال: قد هممت أنْ أطأك حتىٰ تندر عيونك. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر وقال: والله لو خفضت منه شعرة ما رجعت وفي وجهك واضحة، فقال أبو بكر: مهلا يا عمر الرفق الرفق، ما هنا أبلغ. فقال سعد: أما والله لو كان لي قوة علىٰ النهوض لألحقتك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع. فلما عاد أبو بكر وعمر إلىٰ

---

(١) ـ السيرة الحلبية: ٣/٤٧٩.

(٢) ـ السيرة الحلبية: ٣/٤٨٠.

(٣) ـ السيرة الحلبية: ٣/٤٨١ـ٤٨٢.

محلهما أرسلا له بايع، فقد بايع الناس. فقال لا والله حتىٰ أرميكم بما في كنانتي من نبل وأخضب من دمائكم سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما ملكته يداي والله لو اجتمع لكم الجن والإنس لما بايعتكم.

كان سعد لا يحضر معهم ولا يصلي في المسجد ولا يسلم علىٰ من لقي منهم فلم يزل مجانباً لهم حتىٰ إذا كان بعرفة يقف ناحية عنهم، فلما ولي عمر الخلافة لقيه في بعض طرق المدينة فقال له إيه يا سعد. فقال له إيه يا عمر ن فقال له عمر أنت صاحب المقالة؟ قال: نعم أنا ذاك، وقد أفضىٰ الله إليك هذا الأمر، كان والله صاحبك خيراً لنا وأحب إلينا من جوارك وقد أصبحت كارهاً لجوارك. فقال له عمر: إنه من كره جوار جاره تحول عنه. فقال له سعد إني متحول.

ويَكشف عمر بعد حين عن سرٍّ تقديمه لأبي بكر إذ يقول: إنما بايعت أبا بكر خشية إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإما أن نبايعهم علىٰ ما لا نرضىٰ وإما أن نخالفهم فيكون فيه فساد[١].

وفي هذا الأثناء ظهرت جبهة أخرىٰ أعلنت معارضتها للحكومة القرشية ولخليفتها المنتخب من قبل عمر وهي جبهة بني هاشم ومرشحهم المنصوص عليه في غدير خم هو علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكانت هذه المعارضة أشد خطراً علىٰ الحكومة من معارضة الأنصار، لهذا تطلب مواجهتها تدخل صانع الحدث ومهندس الحكومة ورجل المهمات الصعبة عمر بن الخطاب لإرغامها علىٰ الاستسلام، فقصد عمر[٢] مركز قيادة هذه الجبهة وهو بيت علي وفاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليهم وفيه سبطا رسول الله الحسن والحسين[٨] هذا المركز الذي طالما وصّىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المسلمين بمراعاة حرمته ووجوب مودته، لكن الملك العقيم لا يسمح بترك الأعذار، فلكل موقف محرج عذر موجه، وعلىٰ ضوئه توجه فصيل من الحرس المدجج بقيادة عمر بن الخطاب نحو البيت المطهر بنص القرآن، فأحرقوا الباب ولكزوه وخلف الباب ابنة رسولهم التي قال فيها "فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني" فعصرت بين الحائط والباب وكانت حامل، فكسروا ضلعها وأسقطوا جنينها ودخل القوم الدار عنوة وقادوا علياً (عليه السلام) إلىٰ الخليفة وخيروه بين البيعة أو قطع الرقبة، ولم يبايع. وقمعوا أنصاره وأسكتوا بذلك صوت هذه الجبهة.

---

(١) ـ مسند أحمد بن حنبل: ٥٦/١.

(٢) ـ السقيفة وفدك /الجوهري: ص ٥٣.

ولا ينفع المتآمرين وأتباعهم إنكارهم لمثل تلك الأحداث واستشهادهم بتشكيك بعض الجهلة والمرتزقة ممن ادعىٰ التشيع في وقوعها بعد اعتراف أهل البيت (عليهم السلام) بما جرىٰ عليهم وتأكيد بعض أعلام السُنّة وقوع الجريمة في كتبهم كالجوهري في كتابه السقيفة وفدك[١] وابن عبد ربه في العقد الفريد وابن قتيبة في الإمامة والسياسة والشهرستاني في الملل والنحل وغيرهم، بل لم يقل شاعرهم حافظ إبراهيم ما قاله في هذه الواقعة من شعر تخيلاً من غير أساس في قوله[٢]:

وقَولَــــةٌ لعلـي قالها عُمــرُ	أكرِم بسامِعـها أعظم بمُلقيــها
حَرّقتُ داركَ لا أُبقي عليكَ بها	إن لم تُبايعْ وبِنتُ المُصطفىٰ فيها
ما كان غير أبي حفص يَفوه بها	أمـامَ فـارِس عدنــانٍ وحاميها

فيا لها من مناقب تقشعر منها الجلود.

وسرعان ما انتشر خبر الاستخلاف في قبائل العرب خارج المدينة ـ وهم حديثو عهد بوصية النبي (صلى الله عليه وآله) في غدير خم وقوله: "من كنت مولاه فهذا علي مولاه" وقول عمر "بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولىٰ كل مؤمن ومؤمنة" وما جرىٰ في تلك الواقعة ـ فامتنعت قبائل كثيرة عن قبول هذه الخلافة وامتنعت عن دفع الزكاة إلىٰ الخليفة لعدم اعترافها بشرعية خلافته لا لإنكارها فرض الصلاة والزكاة كما روجت الحكومة وهو ما

(١) ـ «**فدك**» منطقة علىٰ بعد ٢٥٠ كم شمال شرق المدينة المنورة؛ زراعية خصبة ذات مزارع وبساتين وحصون، تسمىٰ اليوم محافظة ومدينة "الحائط" تتبعها ٢١ قرية عامرة؛ بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفداً إلىٰ فدك داعياً اهلها إلىٰ الإسلام بعد غزوة خيبر سَنة ٧ هـ فرفضوا لكنهم صالحوه علىٰ أن يكون له نصف أرضهم ـ صرّح القرآن أنّ الفيء هو المال الذي يحصل من دون عناء ومشقة وأمره راجع إلىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) في الآية ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ فكانت خالصة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم وهب النبيّ (صلى الله عليه وآله) فدكاً لفاطمة الزهراء (عليها السلام) لكن أبابكر اعلن بُعيد واقعة السقيفة مصادرة فدك وانتزعه منها لمصالح سياسية فجاءت الزهراء(عليها السلام) معترضة وطالبت إعادة فدك إليها لكن ابا بكر رفض وتنازعوا فتركتهم الزهراء (عليها السلام) ساخطة غاضبة عليهم بعدما القت فيهم خطبة سُميت "**الفدكية**" عَرَّفت فيها عن نفسها وأبدت فيه اعتراضها وشكوتها. أكّد عدد من كبار المفسرين كالطوسي والطبرسي والحسكاني والسيوطي أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهب فدك لفاطمة (عليها السلام) لدى نزول الآية: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾؛ سلّم عثمان بن عفان فدكاً إلىٰ ابن عمه مروان بن الحكم وظلّت في أيدي بني أمية إلىٰ حتّىٰ نهاية الحكم الأموي.

(٢) ـ ديوان حافظ إبراهيم ٧٥/١

يؤكده قول أبي بكر: "لأقاتلنَّ من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالاً [عناقاً] مما أعطوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقاتلتهم عليه"[١]

ويؤيده عُمر علىٰ ذلك إذ يقول: "فما هو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر (رضي الله عنه) بالقتال فعرفت أنه الحق"[٢]. وفتحت بذلك جبهة أخرىٰ علىٰ الخليفة الجديد، لكن الحكومة القرشية التي أبعدت الأنصار وهمشت بني هاشم كانت علىٰ استعداد لفعل المستحيل دفاعاً عن كرسيها، فروجت أن العرب ارتدت عن الإسلام وأنكرت الفروض فحكمت بالجهاد ضد المرتدين وزحفت يميناً وشمالاً لقمع من لا يستسلم لحكومتها، فأريقت دماء كثيرة وسبيت الحرائر وانتهكت الأعراض تحت عنوان حروب الردة، وهكذا استسلمت العرب للأمر الواقع وتشكلت نواة حكومة الخلافة الإسلامية القرشية القبلية الاجتهادية.

انتهت خلافة أبي بكر بموته فأوصىٰ بالخلافة لأبي حفص عمر فسار فيهم بسياسة الدِرة[٣] العُمرية المعروفة وعمل باجتهاده في كثير من المسائل خلافاً لسُنّة نبيه كما سنبين لاحقاً حتىٰ إذا أدركه الموت أوصىٰ من بعده لعثمان بن عفان بطريقة الشورىٰ المصغرة، ولما استلم عثمان كرسي الخلافة آثر بني أمية واستعان بهم في جميع شؤونه فذاق المسلمون المرّ من سوء سياسته وظلم ولاته، وكانت نتيجة هذا الوضع ثورة شعبية عارمة استهدفت الخليفة بشخصه فأحاطوا داره وضيقوا عليه الخناق ثم هجموا عليه واغتالوه.

وعادت أمور المسلمين إلىٰ أنفسهم فبايعوا الإمام علي بن أبي طالب بالإجماع فحكم بالسوية وعدل في الرعية وساوىٰ في العطاء وولىٰ الأنصار علىٰ الولايات. فقد ولّىٰ علىٰ البصرة عثمان بن حنيف، وعلىٰ المدينة سهل بن حنيف، وعلىٰ مصر قيس بن سعد بن عبادة، وعلىٰ الكوفة عند مسيره إلىٰ الشام أبا مسعود الأنصاري وعلىٰ الجزيرة وما والاها الأشتر السبائي. فكرهت قُريش سياسته وثارت عليه في الجمل وصفين. وكان الإمام يشكو قُريشاً كثيراً، قال في نهج البلاغة: "اللهم إني أستعديك علىٰ قُريش ومن أعانهم فإنهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا علىٰ منازعتي أمراً هو لي، ثم قالوا: ألا إن في الحق

---

(١) ـ صحيح مسلم ٣٨/١، الأمر بقتال الناس. والبخاري ١٢٥/٢، وجوب الزكاة.

(٢) ـ المصدر المتقدم.

(٣) ـ «الدِرَّة»: سَوْطٌ يُضْرَبُ به؛ دِرَّةُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ: سَوْطُهُ الَّذِي يَضْرِبُ بِهِ.

أن تأخذه وفي الحق أن تتركه" [١].

ولم تدم سياسة العدل والمساواة التي أراد الإمام علي (عليه السلام) إعمالها طويلاً بعد أن عبأت قُريش طاقاتها وشهرت سيفها بوجه الخليفة المنتخب من أول يوم انتخب فيه وما كانت وقائع الجمل وصفين ونهروان إلاّ نتيجة هذا التآمر الجديد من قُريش والتي انتهت بمقتل علي (عليه السلام)، وبه أعلنت قُريش انتصارها.

وهكذا تمكنت قُريش من إعادة سلطتها التي خسرتها في عهد الرسالة بشكل رسمي وعلني، وغيرت الخلافة الإسلامية بملكية قبائلية وراثية مقيتة لا تحمل من الإسلام إلا اسم الخلافة فإنا لله وإنا إليه راجعون. وصدق رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ أخبر عن هذا الانقلاب بقوله: بعثت بين جاهليتين كما تقدم.



(١) ـ عبد الله بن سبأ، العسكري: ٢/٣٥٢.

ظهور أعراض الجاهليّة بعد وفاة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)

نوهنا فيما تقدم إلىٰ أن الجاهليّة لم تمت بمجيء الإسلام، وأن قادة قُريش الذين أسلموا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم حاولوا التستر علىٰ نفاقهم بمحضر النبي (صلى الله عليه وآله) خشية الفضيحة التي قد تحول دون تحقيق ما بيتوه من مخططات لتحقيق مآربهم وقد ذكرنا جانبا من هفوات المتهتكين منهم في عهد الرسالة، وبعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) اتسع الخرق وبدأت الجاهليّة بالظهور من جديد في بُعديه الفردي والرسمي وفيما يلي نماذج من مشاهد الجاهليّة وهي شاهدة علىٰ ما نقول:

ألف) ـ مواقف فردية:

لم تجف جذور الحمية المقوتة المستحكمة في بعض النفوس، بل كانت آثارها تظهر بين الحين والآخر في سلوك بعض المسلمين، وفيما يلي نماذج من تلك الآثار التي ظهرت في أقوال وأفعال بعض المسلمين بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) والتي تنبئ عن فعالية داء الحمية رغم إظهارهم الإسلام:

ـ قال المنتجع لرجل من الأشراف: ما علَّمتَ ولدكَ؟ قال: الفرائض، قال: ذلك عِلم الموالي، لا أبا لك، علمهم الرجزَ[1] فإنه يهرث[2] أشداقهم.

ـ قول الشعبي وقد مرّ بقوم من الموالي يتذاكرون النحو فقال: "لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده"[3].

ـ ما جاء في شرح نهج البلاغة: "كان علي (عليه السلام) يخطب علىٰ منبر من آجر وابن صوحان جالس، فجاء الأشعث فجعل يتخطىٰ رقاب الناس ثم قال: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء علىٰ قربك ـ يعني العجم ـ فركض المنبر برجله، حتىٰ قال صعصعة بن صوحان: ما لنا وللأشعث!! ليقولن أمير المؤمنين (عليه السلام) اليوم في العرب قولاً لا يزال يذكر، فقال (عليه السلام): من يعذرني من هؤلاء الضياطرة[4]!! يتمرغ أحدهم علىٰ فراشه تمرّغ الحمار، ويهجر قوماً للذكر، أفتأمرني أن أطرُدَهم؟! ما كنت لاطردهم

---

(١) ـ بَحْرٌ مِنْ بُحُورِ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ وَيُسَمَّى حِمارَ الشُّعَراءِ لِسُهولَةِ النَّظْمِ فيهِ.

(٢) ـ هِرْثُ: الثَّوْبُ الخَلَقُ.

(٣) ـ الغارات /الثقفي: ٨٢٩/٢.

(٤) ـ ضَيَاطِرَة: [اسم]: جمع ضَّيْطَارُ؛ العظيمُ، أو الضَّخْمُ والتاجِرُ الذي لا يَبْرَحُ مَكانَه ولا يسافر. وزيتار[بالفارسية]: مايتبقى من الزيتون بعد عصره.

فأكون من الجاهلين. أما والذي فلق الحب وبرأ النسمة، ليَضرِبنكم علىٰ الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءً"[١]

ـ قال ابن منظور: أراد بالحمراء الفرس والروم، والضياطرة: جمع ضيطر وهو الرجل الضخم الفارغ، والتهجير: الخروج في الهاجرة[٢]. والأشعث بن قيس رئيس قبيلة كندة، شارك هو في قتل أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقامت بنته جعدة بسمّ الإمام الحسن (عليه السلام)، وشارك ابنه محمّد بن الأشعث في قتل الإمام الحسين (عليه السلام).

ـ موقف لنافع بن جبير: فقد كان الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) يجالس مولىٰ لآل عمر بن الخطاب، فقال له نافع بن جبير: أنت سيد الناس، وأفضلهم تذهب إلىٰ هذا العبد وتجلس معه؟! فقال الإمام (عليه السلام) أئتي من أنتفع بمجالسته في ديني أو قال: إنما يجلس الرجل حيث ينتفع.

ـ ما رواه الكافي: كان عند أبي الحسن موسىٰ (عليه السلام) رجل من قُريش فجعل يذكر قُريشاً والعرب ـ أي يذكر فضائلهم ويفتخر بالانتساب بهم ـ فقال له أبو الحسن (عليه السلام) عند ذلك: دع هذا، إن الناس ثلاثة: عربي ومولىٰ وعلج، فنحن العرب وشيعتنا الموالي ومن لم يكن علىٰ مثل ما نحن عليه فهو علج. فقال القرشي: تقول هذا يا با الحسن؟ فأين أفخاذ قُريش والعرب؟ فقال أبو الحسن (عليه السلام): هو ما قلت لك[٣].

ـ قال رجل من أهل بلخ: كنت مع الرضا (عليه السلام) في سفره إلىٰ خراسان، فدعا يوماً بمائدة له، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة؟ فقال: مه!! إن الربّ تعالى واحد والأم واحدة والأب واحد والجزاء بالأعمال[٤].

ـ قول جرير في الموالي:

قالوا نبيعكم بيعاً فقُلت لهم　　　بيعوا الموالي واستحيوا من العرب

ـ وتسميتهم الموالي بالعلوج[٥].

ـ موقف لقتادة: فعن حفص عن قائد لقتادة قال: قدته عشرين سَنة وكان يبغض الموالي ويقول دباغين خياطين أساكفة حجامين، فقلت له يا أبا الخطاب ما يؤمنك

(١) ـ شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد: ٢٨٤/٢٠.

(٢) ـ لسان العرب: ٢١٠/٤.

(٣) ـ الكافي /الكليني: ٢٢٦/٨ الحديث ٢٨٧..

(٤) ـ الكافي /الكليني: ٢٣٠/٨ الحديث ٢٩٦..

(٥) ـ الأمام جعفر الصادق لعبد الحليم الجندي ص٣١٤ ط القاهرة.

أن يجيئك بعضهم فيأخذ بيدك فيذهب بك إلىٰ بئر فيطرحك فيها؟ قال: كيف قلت؟ قال: فأعدت عليه الحديث، قال: لا قدتني بعدها[١].

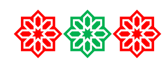
ـ بقاء بعضهم علىٰ نكاح المقت المحرّم: روي[٢] أن منظور بن زبان كان باقياً علىٰ زواج المقت، إذ تزوج امرأة أبيه مليكة ولم تزل معه إلىٰ خلافة عمر، فرفع أمره إلىٰ عمر فأحضره وسأله عن ذلك فاعترف فقال له: أما علمت أن هذا حرام؟ فحبسه ثم أحلفه أنه لم يعلم أن الله حرم ذلك، فحلف فخلّىٰ سبيله وفرق بينهما، فاشتد ذلك عليه فرآها يوماً تمشي في الطريق فأنشد:

ألا لا أبالي اليوم ما صنع الدهر ... إذا منعت مني مليكة والخمر
فإن تك قد أمست بعيداً مزارها ... فحبي ابنة المري ما طلع الفجر

وفي بيت آخر يظهر تنفره من الدين حيث يقول:

لعمر أبي دين يفرق بيننا ... وبينك قسراً إنه لعظيم

فبلغ ذلك عمر فطلبه ليعاقبه فهرب.



ب) ـ مواقف رسمية:

لا شك أن الإنسان يمكن أن يتسامح في المخالفات والهفوات التي صدرت من أفراد من المسلمين باعتبارها أخطاء غير مقصودة أو اجتهادات خاطئة يحمّل مرتكبيها مسئوليتها دون النظر إليها كمؤشرات دالة علىٰ تغيير مقصود، أما أن تتعدىٰ تلك المخالفات العلنية إلىٰ رأس الهرم الحاكم باسم الإسلام وإلىٰ خلفائهم وولاتهم فذلك ما لا يمكن التغاضي عنه.

إن مراجعة سيرة المسلمين والأحداث التي وقعت منذ وفاة الرسول الأكرم (ﷺ) يوقف الباحث علىٰ كم هائل من المواقف التي لا تدع مجالاً للشك في كونها مقصودة، الهدف منها تغيير المسير الذي رسمه الإسلام باتجاه الخط المضاد الذي جاء الإسلام لمحاربته ومحقه، فقد لوحظ أن القيادات الإسلامية المتعاقبة قد اتخذت من الإجراءات وسنت من القوانين ما يكشف بشكل سافر عن تبنيها مواقف تحيي بها سُنن قُريش الجاهليّة رسمياً بخلاف ما جاء به الإسلام.

---

(١) ـ مسند ابن الجعد: ص ١٦٠.

(٢) ـ الإصابة لابن حجر: ١٧٥/٦.

ونحن نذكر هنا بعض تلك الإجراءات علىٰ سبيل المثال دعماً لادعائنا بوقوع التغيير، فقد وقعت بعد وفاة النبي (ﷺ) أمور غير قابلة للتأويل تدل بوضوح علىٰ سعي دؤوب لإحياء الجاهليّة بشكل رسمي ومتعمد، بل وتشير إلىٰ نشوء أول نواة لحزب سياسي يتبنىٰ الدعوة إلىٰ دين الأجداد وإحياء ما دثر منه فترة الرسالة بشكل قوانين رسمية لتفرض الواقع علىٰ المجتمع الإسلامي باستغلال قوة الدولة ونفوذها وتحت شعار الدين. وفيما يلي بعض تلك الخطوات التي تبنتها حكومة قُريش بعد استلامها زمام أمور المسلمين:

١ ـ إرجاع التاريخ الإسلامي إلىٰ التاريخ الجاهلي:

لم يختلف أحد من المسلمين في الشهر الذي هاجر فيه رسول الله (ﷺ) من مكة إلىٰ المدينة، بل أجمعوا علىٰ أن شهر الهجرة هو شهر ربيع الأول، وأجمعت الشيعة ومعها أغلبية علماء السُنّة علىٰ أن المسلمين أرخوا من شهر الهجرة فترة الهجرة وفي خلافة أبي بكر وشطر من خلافة عمر. وأكدت روايات صحيحة عند السُنّة أن الرسول (ﷺ) هو من أمر بكتابة التأريخ، فقد روىٰ الطبري والمسعودي وابن عساكر وابن حجر والمناوي وغيرهم عن الزهري: أن رسول الله (ﷺ) لما قدم المدينة مهاجراً أمر بالتأريخ فكتب في ربيع الأول[١]. ويؤيد ذلك أيضاً ما رواه الحاكم عن ابن عباس (رضي الله عنه): كان التاريخ في السُنّة التي قدم فيها رسول الله (ﷺ) المدينة وفيها ولد عبد الله بن الزبير. ثم قال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه. وروىٰ عن سهل بن سعد قوله: "أخطأ الناس في العدد [العدة] ما عدوا من مبعثه ولا من وفاته إنما عدوا من مقدمه المدينة" وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين[٢] ولم يخرجاه[٣]. وذكر هذا أيضاً كل من ابن عساكر[٤]. والخطيب[٥].

وذكر خليفة بن خياط بسنده عن ميمون بن مهران، قال: ائتمر أصحاب رسول الله (ﷺ) كيف يكتبون التاريخ؟ فقال بعضهم: نكتبه من مولد رسول الله (ﷺ)، وقال

(١) ـ تاريخ الطبري: ٢/١١٠ والتنبيه والأشراف: ٢٥٢ وتاريخ دمشق: ١/٣٧ وفتح الباري: ٧/٢٠٩ وفيض القدير /المناوي: ١/١٣٣.

(٢) ـ **شرط الشيخين**: وصف للحديث يدل علىٰ بلوغه درجة الصَّحِيْح، وأن رجال إسناده قد روىٰ لهم الإمامان البخاري، ومسلم في صحيحيهما، بالكيفية التي التزماها في الرواية عنهم.

(٣) ـ المستدرك /الحاكم: ٣/١٣ـ١٤.

(٤) ـ تاريخ مدينة دمشق: ١/٤٣.

(٥) ـ تاريخ بغداد: ٦/٣١١.

بعضهم: منذ أوحي إليه، وقال بعضهم من هجرته التي هجر فيها دار الشرك إلىٰ دار الإيمان، فاجمع رأيهم أن يكتبوه من هجرته[١].

ونقل الصالحي الشامي عن الشيخ في كتاب [التاريخ] ما رآه بخط ابن القماح في مجموع له قوله: "قال ابن الصلاح: وقفت علىٰ كتاب في [الشروط] لأبي طاهر محمش الزيادي ذكر فيه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أرخ بالهجرة حين كتب لنصارىٰ نجران وأمر علياً (رضي الله عنه) أن يكتب فيه لخمس من الهجرة، فالمؤرخ إذن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعمر تبعه في ذلك.

وقد يقال: إن هذا صريح في أنه أرخ سَنة خمس، والحديث الأول فيه انه أرخ يوم قدومه المدينة، [ويجاب بأنه لا منافاة فإن الظرف، وهو قوله: يوم قدم المدينة] ليس متعلقاً بالفعل، وهو أمر بالمصدر، وهو التاريخ أي أمر أن يؤرخ بذلك اليوم، لأنه الأمر في ذلك اليوم فتأمله، فإنه نفيس جدا. انتهىٰ كلام الشيخ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ "[٢].إلاّ أن عمر بن الخطاب ألغىٰ هذا التاريخ وأعاده إلىٰ ما كان عليه العرب في الجاهليّة؛ قال الغرناطي الكلبي: "وكان الذي جعل المحرم أول شهر من العام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)"[٣].

وقد أتعب هذا الإجراء علماءهم بحثاً عن توجيه معقول لفعل الخليفة ولم يوفقوا في إيجاد المخرج، لكن الذي نظنه أن الذي منعهم من بيان التوجيه القريب هو حرصهم الشديد علىٰ ساحة الخليفة من اتهامه بالتعصب لتراث العرب وتركه لسُنّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد روىٰ ابن كثير عن انس بن مالك وغيره قولهم: "إن أول السَنة من ربيع الأول لقدومه (عليه السلام) إلىٰ المدينة" ثم قال: والجمهور علىٰ أن أول السَنة من المحرم لأنه اضبط لئلا تختلف الشهور فإن المحرم أول السَنة الهلالية العربية"[٤]

والذي ذكره ابن كثير هو عين الحقيقة، فالعرب قد اعتادت منذ الجاهليّة علىٰ أن أول السَنة الهلالية هو شهر محرم، والتاريخ الإسلامي الجديد ـ أعني تاريخ الهجرة ـ يسبب الالتباس عند الناس الذين اعتادوا علىٰ اعتبار المحرم أول السَنة وبهذه الحجة غيروا السُنّة النبوية إلىٰ سُنن الجاهليّة.

ولم يكن ابن كثير هو الوحيد الذي صرح بكون المحرم أول شهور السَنة في الجاهليّة فقد ذكر الآلوسي بعد ذكر أقوال في المسألة قال: "ولم يبين هذا القائل ما أول شهور السَنة

(١) ـ تاريخ خليفة بن خياط: ص ٢٥.
(٢) ـ سبل الهدى والرشاد: ١٢/٣٦.
(٣) ـ التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/٧٥.
(٤) ـ البداية والنهاية: ٧/٨٥.

عند العرب قبل الفيل، والذي يفهم من كلام بعضهم إن أول الشهور المحرم عنده من قبل أيضاً"[١]. وذكر السيوطي عند قوله (ﷺ): أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم: "عن الحافظ أبي الفضل العراقي في شرح الترمذي: ما الحكمة في تسمية المحرم شهر الله والشهور كلها لله: يحتمل أن يقال إنه لما كان من الأشهر الحرم التي حرم الله فيها القتال وكان أول شهور السَنة أضيف إليه إضافة تخصيص ولم يصح إضافة شهر من الشهور إلىٰ الله عن النبي (ﷺ) إلاّ شهر الله المحرم" [٢].

ومنه يظهر كون محرم أول شهور السَنة كان معروفاً في زمن النبي (ﷺ). قال ابن عطية الأندلسي: "وجعل المحرم أول شهور السَنة من حيث كان الحج والموسم غاية العام وثمرته فبذلك يكمل ثم يستأنف عام آخر ولذلك ـ والله أعلم ـ دون عمر بن الخطاب الدواوين" [٣]. ويؤكد ذلك ابن قتيبة أيضاً بقوله: "ودخل رسول الله (ﷺ) يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول فكان التأريخ من شهر ربيع الأول، فرد إلىٰ المحرم لأنه أول شهور السَنة" [٤]. ولم يصرح بمن ردّه.

إن تغيير التاريخ الإسلامي الهجري إلىٰ الهلالي العربي مسألة تلفت النظر سيما مع أخذ أهمية الهجرة النبوية بنظر الاعتبار والتي تمثل بيان الحد الزمني بين الكفر والإسلام من جهة وبداية عهد جديد يمكن أن يكون مبدأ تاريخ للمسلمين بجميع مللهم من دون أن يعترض أحد علىٰ قبوله من جهة أخرى، وكأن مبتدعها ساوره أمر في شأن بقاء هذا التقويم الجديد إذ قد يمحو إرثاً عربياً لا ينبغي ضياعه باعتباره جزء من الحضارة القديمة، ولعل هذا الاستنتاج هو الذي مهد الطريق للمسلمين من غير العرب التمسك بإرثهم الحضاري ليكون لكل ملة تأريخه القومي بدل التاريخ الإسلامي وبالنتيجة كان هذا التصرف سبباً لصيرورة السَنة الهجرية تاريخاً ثانوياً بين المسلمين بدل أن يكون تاريخهم المشترك الأوحد.

٢ ـ منع العربيات من الزواج بالموالي:

لقد جاء الإسلام بمعيار خاص لتقييم شخصية الإنسان ومنزلته الاجتماعية والمعنوية يتمثل في قوله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ

---

(١) ـ تفسير الآلوسي: ١٠/ ٩٠.

(٢) ـ شرح سُنن النسائي: ٣/٢٠٧.

(٣) ـ المحرر الوجيز: ٢/١٤٦.

(٤) ـ المعارف: ص١٥١.

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ولا أثر في هذا المعيار للتمايز الطبقي أو العنصري أو ما شابه، فالجنة للمطيعين وإن كان عبدا حبشيا والنار للعاصين وإن كان سيداً[١] قرشياً، ولا فضل لأحد علىٰ أحد في كل الشؤون ومنها النكاح إلا بالتقوى، وقد رووا عن رسول الله (ﷺ) قوله: "إذا جاءكم من ترضون أمانته وخلقه فأنكحوه كائناً من كان فإن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير".

كما رووا قوله (ﷺ): "أنكحت المقداد وزيداً ليكون أشرفكم عند الله أحسنكم إسلاماً" فلقد أنكح المقداد ابنة عمه ضباعة ابنة الزبير بن عبد المطلب، وأنكح زيد بن حارثة زينب بنت جحش" [٢]. وكان المقداد من موالي كندة وزيد بن حارثة كان مولىٰ أعتقه النبي (ﷺ)، وأنكحه زينب بنت جحش وهي قرشية.

إن رسول الله (ﷺ) جعل المسلمين أكفاء بعضهم لبعض في النكاح من غير أن يميز في ذلك قرشياً ولا عربياً ولا أعجمياً ولا مولىٰ وقال في حجة الوداع: "المؤمنون أخوة تتكافأ دماؤهم، ويسعىٰ بذمتهم أدناهم، وهم يد واحدة علىٰ من سواهم" وقوله هذا (ﷺ) موافق لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. ثم نقلوا عن عمر بن الخطاب رأياً يقول: "لأمنعَنَّ فروج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء" [٣].

وبات هذا الرأي هو المعول عليه في اشتراطات النكاح إلىٰ يومنا هذا دون ما قاله الله أو رسوله، واستدلوا به في كتب فقههم، قال عبد الله بن قدامة في المغني: "والدليل علىٰ اعتبار النسب في الكفاءة قول عمر لأمنعن فروج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء. قال: قلت وما الأكفاء؟ قال في الأحساب" [٤]. وقال أيضاً: "اختلفت الرواية عن أحمد في اشتراط الكفاءة لصحة النكاح فروي عنه أنها شرط له، قال: إذا تزوج المولىٰ العربية فرق بينهما وهذا قول سفيان" [٥].

وصارت مسألة الكفاءة في الأنساب سُنّة بين المسلمين تمسكاً برأي الخليفة راغبين

---

(١) ـ سيّد: لفظ احترام يسبق اسم الرجل للتشريف؛ وسِمَةٌ تجليل وتكريم تُطلق علىٰ من هو من نسل الهادي البشير محمد ﷺ من أبناء عليٍّ ابن أبي طالب وفاطمة الزهراء (عليها السلام).

(٢) ـ المصنف/ الصنعاني: ١٥٣/٦ والسُنن الكبرى: ١٣٧/٧ وسُنن الدارقطني: ٢٠٧/٣.

(٣) ـ المصنف، الصنعاني: ٦/ ١٥٢ والمصنف لابن أبي شيبة: ٤٦٦/٣ وتاريخ دمشق لابن عساكر: ١٤٧/٧ وفيه ذوات الأنساب.

(٤) ـ المغني لابن قدامة: ٣٧٥/٧.

(٥) ـ المغني لعبد الله بن قدامة: ٣٧١/٧.

به عما قاله الرسول (ﷺ). وشاهده ما ذكر[١] من أن رجلاً من الموالي تزوج بنتاً من أعراب بني سليم فركب محمّد بن بشير الخارجي إلىٰ المدينة وواليها يومئذ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل، فشكىٰ إليه ذلك. فأرسل الوالي إلىٰ المولى، ففرق بينه وبين زوجته، وضربه مائتي سوط، وحلق رأسه وحاجبه ولحيته، فقال محمّد بن بشير في جملة أبيات له:

قضيتَ بسُنّة وحكمتَ عدلاً   ولم ترث الخلافة من بعيد

ومن الواضح أن من رغب عن فعل الرسول (ﷺ) فهو راغب عن سنّته صلوات الله عليه وآله وقد رووا عن النبي (ﷺ) في الصحيح قوله: **"من رغب عنْ سُنتي فليس مني"** رواه البخاري ومسلم[٢]. ويظهر من هذا الرفض العلني لما جاء في الكتاب والسُنّة مدىٰ الإصرار في بعض النفوس علىٰ التمسك بحبل الحمية الجاهليّة التي جاء الإسلام لمحقها، وسيأتي لاحقاً ما يثبت استمرار هذا التعصب وما ترتب عليه من إيقاع التفريق بين الزوجين وتعريض الموالي للضرب والجلد بسبب تزويجهم من العربيات. ولهذا لما سئل الإمام علي (عليه السلام) وهو أحد أفراد الثقلين: أيزوج الموالي من العربيات؟ قال: "أتتكافأ دماؤكم ولا تتكافأ فروجكم!؟" [٣]

فالإسلام الحق لم ولن يفرق بين إنسان وإنسان وملة وأخرىٰ إلا بالتقوىٰ فأكرم الناس وأكفأ الناس في نظر الدين من كان علىٰ دين وتقوىٰ عربياً كان أو غيره فلا دخل للنسب ولا للحسب في التفضيل وأن هذا الترفع الذي تقدمت الإشارة إليه إنما هو من عمل الجاهليّة التي بدأت جذورها بالتبرعم من جديد بعد وفاة الرسول (ﷺ) وهو محل الشاهد في بحثنا ولا أظن أن يكون لحاملي الفكر القبلي جواب أو توجيه لهذا التبديل للسُنّة. ولأجل توجيه فعلتهم هذه ودفع التهم عن مخالفتهم للسُنّة النبوية عمدوا إلىٰ اختلاق حديث نسبوه إلىٰ النبي (ﷺ)، فرووا عن الرسول قوله: "يا معشر الموالي!! شراركم من تزوج في العرب، ويا معشر العرب!! شراركم من تزوج في الموالي" [٤]. وأقل الناس عقلاً يعلم أن هذا القول المنسوب إلىٰ النبي مخالف لكتابه وسنته قولاً وفعلاً. وأصبح ذلك

(١) ـ الإمام جعفر الصادق لعبد الحليم الجندي: هامش ص ٣١٤ وفي حياة الأمام الرضا /السيد جعفر مرتضى ص٢٧ عن الأغاني لأبي الفرج الإصبهاني: ١٤/١٥٠.

(٢) ـ صحيح البخاري: ٦/١١٦ وصحيح مسلم: ٤/١٢٩ باب ندب من رأىٰ امرأة.

(٣) ـ مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ١٤/١٨٦ الحديث ١٦٤٦١.

(٤) ـ كنز العمال: ١٦/٣١٩ والإصابة: ٤/٣٦١ وأسد الغابة لابن الأثير: ٣/٣٦١.

قانوناً رسمياً في دين الملوك، وعلىٰ طبقه أفتىٰ خليفتهم المعتدل عمر بن عبد العزيز بذلك: "لا يتزوج من الموالي في العرب إلا الأشر البطر ولا يتزوج من العرب في الموالي إلا الطمع الطبع"[١]، وما دفعهم إلىٰ تغيير أحكام دين الله وسُنّة نبيه (صلى الله عليه وآله) إلا حميتهم الجاهليّة التي منعتهم من الاستسلام لدين الحق وأبوا إلا أن يعيدوها جاهلية ولو في ثوب الإسلام.

٣ ـ تحولات البيت ومقام إبراهيم:

لما بنت قُريش الكعبة لم تبنها علىٰ قواعد إبراهيم (عليه السلام) لقلة مواردهم فغيرت في بعض معالمها فأخرجت منها قسماً من داخل الحجر وأبعدت المقام عن جدار الكعبة وجعلت لها باباً واحداً بدل البابين وسدوا باب الكعبة من الظهر، ورفعوا الباب الأمامي الشرقي الموجود حالياً أكثر من قامة بحيث لا يمكن دخولها إلاّ بسلم، وقد صرح النبي (صلى الله عليه وآله) بذلك، فعن عائشة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: "فعل ذلك قومك اقتصروا عن قواعد إبراهيم (عليه السلام)؟ فقلت ما شأن بابه مرتفعاً قال: فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا. فقلت: ألا تردها إلىٰ قواعد إبراهيم؟ قال: لولا حداثة قومك بالجاهليّة فأخاف أن تنكر قلوبهم لأمرت بالبيت فهدم وألزقته بالأرض وجعلت له بابين بابا شرقياً وباباً غربياً وبلغت به أساس إبراهيم"[٢].

وعن البلاذري: إن أبا حنيفة بن المغيرة قال عندما بنت قُريش البيت "يا قوم ارفعوا باب الكعبة حتىٰ لا يدخل إلاّ بسلّم فإنه لا يدخلها حينئذ إلاّ من أردتم فإن جاء أحد ممن تكرهون رميتم به فسقط فكان نكالاً لمن وراءه، فعملت قُريش بذلك"[٣]. وقد أعاد النبي (صلى الله عليه وآله) المقام إلىٰ مكانه الأول ونزل قوله تعالىٰ: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إبراهيم مُصَلًّى﴾ فصلّىٰ النبي (صلى الله عليه وآله) وأمر المسلمين بالصلاة خلف المقام فريضة من الله علىٰ من حج البيت أو اعتمر ثم أمر به فوضع في مكانه، حيث كان قبل الجاهليّة. وهو ما صرحت به الروايات الصحيحة. قال ابن حجر: وكان المقام من عهد إبراهيم لزق البيت إلىٰ أن أخره عمر (رضي الله عنه) إلىٰ المكان الذي هو فيه الآن، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بسند صحيح عن عطاء وغيره وعن مجاهد أيضاً. وأخرج البيهقي عن عائشة مثله بسند قوي ولفظه أن المقام كان في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) وفي زمن أبي بكر ملتصقاً بالبيت، ثم أخره عمر"[٤].

---

(١) ـ الفايق في غريب الحديث: ٢/٢٩٥.
(٢) ـ صحيح البخاري: ٢/١٥٦ـ١٥٧.
(٣) ـ فتوح البلدان: ١/٥٤ ـ ٥٥.
(٤) ـ فتح الباري لابن حجر: ٨/١٢٩.

قال ابن حجر: "ولم تنكر الصحابة فعل عمر ولا من جاء بعدهم فصار إجماعاً وكان عمر رأىٰ أن إبقاءه يلزم منه أن تضيق علىٰ الطائفين أو علىٰ المصلين فوضعه في مكان يرتفع به الحرج وتهيأ له ذلك ولم يشر ابن حجر إلىٰ إبعاد قُريش للمقام عن الجدار حين بنت الكعبة وهو من المسلمات عند المتتبعين بل هو السبب في سؤال عمر بن الخطاب الناس عن موضعه في الجاهليّة لمّا أراد إرجاع المقام إلىٰ موقعه في الجاهليّة كما في رواية ابن سعد عن مجاهد، قال عمر: من له علم بموضع المقام حيث كان"[1] ذكره السيوطي في تفسيره والمتقي الهندي في الكنز.

إن سؤال عمر عن موضع المقام لم يكن في الحقيقة عن موقعه في صدر الإسلام ولا يناسب ما فسره به بعضهم من إبعاد السيل للمقام عن موضعه الذي وضعه رسول الله (ﷺ) لأن المسلمين ومنهم عمر كانوا جميعاً علىٰ علم بمكانه حيث وضعه النبي، وهل يعقل أن لا يعرف مكانه وهو أكثر الناس عهداً به منذ فتح مكة إلىٰ زمان خلافته.

إن السؤال يليق بمكانه قبل الإسلام حيث تطاولت السنين ونسي عمر المكان وهو الأنسب لما قاله ابن حجر: "ولم تنكر الصحابة فعل عمر". وكان هناك من يعلم، إنه أبو وداعة بن صبيرة السهمي الذي قال: "عندي يا أمير المؤمنين، قدّرته إلىٰ الباب وقدّرته إلىٰ ركن الحجر وقدّرته إلىٰ الركن الأسود وقدّرته إلىٰ زمزم. فقال عمر هاته فأخذه عمر فردّه إلىٰ موضعه اليوم للمقدار الذي جاء به أبو وداعة"[2].

بقي أمر البيت كذلك حتىٰ عهد عبد الله بن الزبير حيث قام أيام حكومته بالحجاز بهدم البيت وبنائه علىٰ قواعد إبراهيم (عليه السلام) وجعل له بابين وحقق بذلك ما كان النبي (ﷺ) يتمناه لكن الوضع لم يبق علىٰ حاله إذ سرعان ما هاجم الأمويون[3] وهم حملة راية العروبة الجاهليّة فقتلوا ابن الزبير ورموا الكعبة بالمنجنيق حتىٰ تصدعت، وأول عمل

---

(١) ـ الدرالمنثور:١/١٢٠ كنز العمال: ١٤/١١٩.

(٢) ـ كنز العمال: ١٤/١١٩ الدر المنثور: ١/١٢٠.

(٣) ـ «أمَويٌّ»: نسبة إلىٰ «أمية بن عبد شمس»؛ أخ غير شقيق لهاشم؛ فرع صغير من قريش وبني هاشم أكبر عدداً وأكثر شهرةً، حكموا قرابة قرنٍ؛ اتّخذوا دمشق عاصمة لهم ما بين عام ٤١ هـ ٦٦١م إلىٰ ١٣٣هـ ٧٥٠م، أول خلفائهم معاوية بن أبي سفيان وآخرهم مروان الحمار؛ كما أسسوا دولة في الأندلس عاصمتها قرطبة دامت قرابة ٢٨٠ سَنة ما بين ١٣٣هـ ٧٥١م إلىٰ ٤١٣ هـ ١٠٣١م اول خلفائها عبد الرحمٰن الداخل وآخرهم المعتد بالله ثم اندثروا.

قام به أميرهم الفاسق الحجاج هو الأمر بهدم ما بناه ابن الزبير وإرجاع وضع البيت إلىٰ مان عليه في الجاهليّة وهو الباقي إلىٰ اليوم وهذا هو الذي يؤكد وجود الفئة التي بذلت جهدها لإحياء الجاهليّة وتراثها.

تُرى، ما الداعي لإرجاع المقام إلىٰ موضعه الذي وضعته فيه قُريش الجاهليّة بعد أن وضعه رسول الله (ﷺ) حيث كان في عهد إبراهيم الخليل (عليه السلام) بمرأىٰ من المسلمين وبقاءه كذلك حتىٰ عهد عمر بن الخطاب؟

وما الدافع لفعل الحجاج بإعادة الحائط إلىٰ الأسس التي بنتها قُريش الجاهليّة بعد أن ردها ابن الزبير باتفاق المؤرخين إلىٰ أسس إبراهيم الخليل، فهل كان لحقد منه علىٰ ابن الزبير أو لأمر بلغه من قيادة الحكومة العروبية في الشام تنفيذاً لمخططهم في إحياء التراث الجاهلي؟

٤ ـ إحياء التمايز الطبقي:

تميزت الجاهليّة بتمايزها الطبقي بين الناس فكان الفضل والأولوية والتقدم لذوي الأنساب والأحساب دون سواهم وباقي الناس هم والعبيد سواء، ولما جاء الإسلام حصر معيار الفضل في الدين والتقوىٰ فالأكثر تقوىٰ هو الأفضل في نظر الإسلام، وبدأ النبي (ﷺ) بقومه وعشيرته بني هاشم فيقول: يا بني هاشم: لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم تقولون نحن ذرية محمّد (ﷺ).

وعن أبي هريرة قال: "ذكرت الموالي أو الأعاجم عند رسول الله (ﷺ) فقال: والله لأنا أوثق بهم منكم [أو من بعضكم]" وروىٰ قريباً منه الترمذي[١]، والأعاجم هنا أعم وتشمل غير العرب من الفرس وغيرهم.

وعلىٰ هذا تعامل النبي (ﷺ) بين الناس في توزيع الأموال وغيرها، فساوىٰ بين السيد والعبد، وجاء أبو بكر الخليفة فسار علىٰ نهج الرسول في تقسيم العطاء مدة خلافته، وقد جاءه عمر بن الخطاب أول ما قسم فقال له: "فضّل المهاجرين الأولين وأهل السابقة فقال: اشتري منهم سابقتهم؟"[٢].

أما عمر لما ولي الخلافة أبرز نظرته الواقعية للموالي حيث كان لا يراهم أهلاً للولاية والإمارة، فاسمع ما نقله البيهقي، قال: "إن نافع بن عبد الحارث الخزاعي لقي عمر بن

(١) ـ سُنن الترمذي: ٣٨٢/٥.

(٢) ـ السُنن الكبرى، البيهقي: ٦/ ٣٤٨.

الخطاب (رضي الله عنه) بعسفان وكان عمر (رضي الله عنه) استعمله علىٰ أهل مكة فسلّم علىٰ عمر فقال له عمر (رضي الله عنه) من استخلفت علىٰ أهل الوادي؟ فقال: استخلفت عليهم ابن أبزي فقال عمر: من ابن أبزي؟ فقال نافع: مولىٰ من موالينا. فقال عمر: واستخلفت عليهم مولى؟ فقال يا أمير المؤمنين إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض، فقال عمر (رضي الله عنه): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين"[١]. وقد أظهر باستفهامه رأيه في الموالي لكنه استدرك مستغرباً من رفعة الموالي بقول الرسول (صلى الله عليه وآله).

أما موقفه العلني في التمييز بين الناس فقد أعلنه بسن قانونه الجديد في تقسيم العطاء بقوله: "إن أبا بكر رأىٰ في هذا المال رأياً ولي فيه رأي آخر لا أجعل من قاتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) كمن قاتل معه"[٢]، مستعرضاً بذلك عن سُنّة الرسول (صلى الله عليه وآله) في القسم بالسوية والتي لم يتجرأ أبو بكر في تخطيها لروايتهم عن النبي (صلى الله عليه وآله): "ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب وذكر منهم والتارك لسنتي"[٣].

لقد بدل عمر بن الخطاب سُنّة الرسول (صلى الله عليه وآله) في العطاء وفسّر القرآن برايه لتوجيه عمله هذا، فقد "روىٰ ابن مردويه عن عمر في قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ هي مكية وهي للعرب خاصة، الموالي أي قبيلة لهم وأي شعاب، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ قال: أتقاكم للشرك"[٤].

وقال يوم الجابية وهو يخطب الناس: "إن الله جعلني خازناً لهذا المال وقاسماً له ثم قال: بل الله يقسمه وأنا بادٍ بأهل النبي (صلى الله عليه وآله) ثم أشرفهم، ففرض لأزواج النبي (صلى الله عليه وآله) إلاّ جويرية وصفية وميمونة رضي الله عنهن. وقالت عائشة (رضي الله عنها) إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يعدل بيننا فعدل بينهن عمر (رضي الله عنه) ثم قال إني باد بي وبأصحابي المهاجرين الأولين، فإنّا أخرجنا من ديارنا ظلماً وعدواناً ثم أشرفهم" [٥]. وذكر ابن أبي الحديد أنه: "لما وليَ الخلافة فضل بعض الناس علىٰ بعض ففضل السابقين علىٰ غيرهم وفضل المهاجرين من قُريش علىٰ غيرهم من المهاجرين وفضل المهاجرين كافة علىٰ الأنصار كافة وفضل العرب

---

(١) ـ السُنن الكبرى، البيهقي: ٣/٨٩.

(٢) ـ السُنن الكبرى، البيهقي: ٦/٣٥٠.

(٣) ـ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ٢/٥٢٥ في تفسير والليل إذا يغشى. وكتاب السنة لابن عاصم: ص١٤٩، وصحيح ابن حبان: ١٣/٦٠ وغيرها.

(٤) ـ كنز العمال/المتقي الهندي: ٢/٥٠٧ والدر المنثور /السيوطي: ٦/٩٨.

(٥) ـ السُنن الكبرى، البيهقي: ٦ /٣٤٩.

علىٰ العجم وفضل الصريح علىٰ المولىٰ وقد كان أشار علىٰ أبي بكر أيام خلافته ذلك فلم يقبل وقال: إن الله لم يفضل أحداً علىٰ أحد وإنما قال ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ ولم يخص قوماً دون قوم"[١]

لم يفِ الخليفة بشرطه الذي شرطه عند سن قانون التفاضل بقوله "لا أجعل من قاتل رسول الله (ﷺ) كمن قاتل معه" فقد أعطىٰ لكل من أبي سفيان ومعاوية بما يساوي عطاء علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكان أبو سفيان قائد قُريش في حربهم مع رسول الله (ﷺ) حتىٰ يوم فتح مكة، ومعاوية لم يضرب مع النبي بسيف بل كان سيفه وسيف أبيه علىٰ الإسلام مذ خلقا علىٰ الكفر.

وشك عمر ذات يوم في أنه ملك أو خليفة ذكر ابن سعد: "قال عمر بن الخطاب: والله ما أدري أ خليفة أنا أم ملك فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم، قال قائل يا أمير المؤمنين: إن بينهما فرقاً قال ما هو؟ قال: الخليفة لا يأخذ إلاّ حقاً ولا يضعه إلاّ في حق فأنت بحمد الله كذلك والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا فسكت عمر"[٢].

ثم جاء عثمان بن عفان، فآثر أهله بالأموال العظيمة، فدفع إلىٰ أربعة أنفس من قُريش زوجهم بناته أربعمائة ألف دينار وأعطىٰ مروان مائة ألف عند فتح أفريقية وقيل خمس أفريقيا، وقدمت إبل من إبل الصدقة عليه فوهبها للحارث بن الحكم ابن أبي العاص وروي أنه كان بحضرته زياد بن عبيد مولىٰ الحارث بن كلدة الثقفي وقد بعث إليه أبو موسىٰ بمال عظيم من البصرة فجعل عثمان يقسمه بين ولده وأهله بالصحاف فبكىٰ زياد، فقال عثمان: لا تبك فإن عمر كان يمنع أهله وذوي قرابته ابتغاء وجه الله وأنا أعطي أهلي وولدي وقرابتي ابتغاء وجه الله[٣].

وقدم عليه عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية من مكة ومعه ناس، فأمر لعبد الله بثلاثمائة ألف ولكل واحد من القوم مائة ألف، فسأل عبد الله بن الأرقم ـ وكان خازن بيت المال ـ عثمان أن يكتب عليه بذلك كتابا فأبى، وامتنع ابن الأرقم أن يدفع المال إلىٰ القوم، فقال له عثمان إنما أنت خازن لنا فما حملك علىٰ ما فعلت؟ فقال ابن الأرقم كنت أراني خازن المسلمين، وإنما خازنك غلامك، والله لا ألي لك بيت مال أبدا، وجاء

---

(١) ـ شرح نعج البلاغة: ١١١/١٨.
(٢) ـ الطبقات الكبرى: ٣٠٦/٣ـ٣٠٧.
(٣) ـ شرح نهج البلاغة: ٥٣/٣.

بالمفاتيح وألقاها إلىٰ عثمان[١] إلىٰ غير ذلك من التصرفات المخالفة لكتاب الله وسيرة الرسول (ﷺ)، وكانت تصرفاته هذه سببا من أسباب الثورة علىٰ حكمه.

ثم جاء بعده علي بن أبي طالب (عليه السلام) فعزم علىٰ تصحيح ما وقع من أخطاء السابقين، فساوىٰ في العطاء كما فعل رسول الله (ﷺ)، وأزال الفوارق الطبقية ونهىٰ عن اشتراط النسب في النكاح وغيرها من السُنن المبدّلة، إلاّ أن العرب قد اعتادت التفضيل وأبت إلاّ سُنّة الجاهليّة، فأنكرت عليه العمل بسُنّة الرسول وعارضته وتآمرت للإطاحة بحكومته تحت ذرائع واهية، كما زاحوها عنه لنفس السبب في الشورىٰ التي شكلها عمر بن الخطاب، فعن أبي جعفر الباقر عليه وعلىٰ آبائه الصلاة والسلام ـ في حديث مناشدة علي (عليه السلام) مع أصحاب الشورىٰ ـ قال: فتغامزوا فيما بينهم وتشاوروا وقالوا: قد عرفنا فضله، وعلمنا أنه أحق الناس بها، ولكنه رجل لا يفضل أحدا علىٰ أحد، فإن وليتموها إياه جعلكم وجميع الناس فيها شرعا سواء، ولكن ولوها عثمان فإنه يهوىٰ الذي تهوون، فدفعوها إليه[٢].

وكشاهد علىٰ سعي علي (عليه السلام) في إزالة الفوارق نذكر ما رواه البيهقي من: "أن امرأتين أتتا علياً تسألان، عربية ومولاة لها، فأمر لكل واحدة منهما بكُرٍ من طعام وأربعين درهماً، فأخذت المولاة الذي أعطيت وذهبت، وقالت العربية يا أمير المؤمنين تعطيني مثل الذي أعطيت هذه وأنا عربية وهي مولاة؟ قال لها علي (رضي الله عنه) إني نظرت في كتاب الله (عز وجل) فلم أر فيه فضلاً لولد إسماعيل علىٰ ولد إسحاق"[٣].

وروىٰ ابن أبي الحديد عن المدائني: "أن طائفة من أصحاب علي (عليه السلام) مشوا إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين: أعط هذه الأموال وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقُريش علىٰ الموالي والعجم، واستمل من تخاف خلافه من الناس وفراره، وإنما قالوا له ذلك لما كان معاوية يصنع في المال، فقال لهم: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور، لا والله لا أفعل ما طلعت شمس، وما لاح في السماء نجم، والله لو كان المال لي لواسيت بينهم فكيف وإنما هي أموالهم. ثم سكت طويلاً واجماً، ثم قال: الأمر أسرع من ذلك. قالها ثلاثاً" [٤].

---

(١) ـ الشافي في الإمامة، السيد المرتضى: ٢٧٤/٤

(٢) ـ الاحتجاج /الطبرسي: ٢١٠/١.

(٣) ـ السُنن الكبرى: ٦/ ٣٤٩.

(٤) ـ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ٢٠٣/٢.

واستغلت أمية قميص عثمان[١] لتأليب الناس علىٰ علي (عليه السلام) وبدأت الفتن من الجمل إلىٰ صفين، وعاد النفاق الذي اختفىٰ مدة خلافة من سبقه إلىٰ صورتها علىٰ عهد النبي (صلى الله عليه وآله)، وما انجلىٰ غبار الفتنة إلاّ عن تسلط بني أمية علىٰ كرسي الملك ليعيدوها سُنّة جاهلية استمرت إلىٰ يومنا هذا.

٥ ـ إعفاء العرب من الحدود:

لا شك أن الإسلام لم يفرق في إقامة الحدود واحترام الأشخاص بين عربي وغير عربي فكل من وجب عليه حد من حدود الله لا يعفي كائنا من كان، وكل إنسان محفوظ الكرامة والشخصية إلا أن يهدر هو كرامة نفسه فالكل محترمون دون استثناء، لكن بعضهم سعىٰ في استثناء العرب منها فقد جاء في الأخبار أن عمر بن الخطاب كان يشترط علىٰ عماله وولاته ذلك، ذكر هذا الخبر الصنعاني في مصنفه والمتقي الهندي في كنزه وابن عساكر والطبري في تاريخهما: "ألا فلا تضربوا [لاتجلدوا] العرب فتذلوها ولا تجمروها فتفتنوها ولا تعتلوا عليها فتحرموها"[٢]

فاستثناء العرب من الجلد أو الضرب أو التجمير أو الاعتلاء عليها وإباحة ذلك في حق غيرهم خروج واضح عن هدي القران وسيرة النبي (صلى الله عليه وآله) لا يفعلها إلاّ من دفعته الحمية المقوتة، وهو مؤشر آخر علىٰ ما قلنا من محاولة إحياء الفكر الجاهلي.

٦ ـ إعفاء العرب من التمليك والسبي:

روي عن عمر بن الخطاب قوله: "ليس علىٰ عربي ملك، ولسنا بنازعين من يد رجلٍ شيئاً أسلم عليه ولكنّا نقومهم الملة خمساً من الإبل" روىٰ ذلك جم غفير من العلماء[٣].

---

(١) ـ «**قميص عثمان**»: مصطلح دارج يُجسد مفهوماً ملتوياً ذو جذور تاريخية. «قميصٌ ملطخٌ بدم قتيلٍ، يُعرَض علىٰ الأشهاد للتحريض علىٰ الأخذ بثأر». ويُقال لكل من يستخدم مظلمة أو معاناة الآخرين من أجل أهداف شخصية. بدأ هذا المصطلح باستخدام الأمويين مقتل «عثمان بن عفان» ذريعة لمعارضة «علي بن أبي طالب» واغتنام السُلطة. فأخذوا قميص عثمان إلىٰ الشام ورفعوه في حروبهم. وروي أن رسولاً من معاوية وقف عند علي قائلاً: «تركت سبعين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهو علىٰ منبر دمشق» فرد علي: «اللهم إنا نبرئ إليك من دم عثمان».

(٢) ـ المصنف:٣٢٥/١١ وكنز العمال: ٦٨٩/٥ وتاريخ مدينة دمشق:٢٧٧/٤٤ وتاريخ الطبري: ٢٧٣/٣

(٣) ـ نيل الأوطار: ١٥٠/٨ وكنز العمال: ٥٤٥/٦ والمصنف /الصنعاني: ٢٧٨/٧ والمصنف لابن أبي شيبة: ٥٨٠/٧ والمحلي لابن

وقد سبىٰ رسول الله (ﷺ) من قبائل العرب ما عتق واسترق وأطلق كما فعل بالعجم؛ وفعل ذلك أبوبكر فيمن سبىٰ من أهل الردّة، فخالف عمر رسول الله (ﷺ) وخالف صاحبه، وكان الأجدر بخليفة المسلمين أن يعمم حكمه ليشمل كل مسلم من الأسرىٰ والمماليك لان يستثني العربي لأنه عربي سواء كان مسلماً أو غير مسلم.

واختلف العلماء في تأويل قول عمر، وأفضل التأويلات: انه ليس علىٰ هؤلاء الذين وقعوا في السبي ملك لأنهم عرب ثم قال ولسنا بنازعين من يد رجل... الخ: ومعناه إن الذي في يديه من سبي العرب لا ننزعه من يده بلا عوض لأن السابيَ أسلم وفي يده سبيه إلاّ أننا لانترك المسبيَ مملوكاً وهو من العرب، بل نقومه ونحرره ونعيّن القيمة خمساً من الإبل لكل مسبي. ومعنىٰ الملة الدية. ولا أرىٰ في هذا الحكم إلاّ العنصرية التي تميز بين الأفراد وإلاّ فما الفرق بين المسلم العربي وغيره فلم لا يجوز استرقاق العربي لعنوانه العربي سواء كان مسلماً أو لا، بينما جوزوا استرقاق غير العربي وإن كان مسلما دون أن يشمله قانون الفداء فهل هذا إلاّ التمييز؟

٧ ـ بينونة الطلاق بالثلاث في مجلس واحد وكانت سُنّةً جاهليةً:

روىٰ مسلم عن ابن عباس قال: "كان الطلاق علىٰ عهد رسول الله (ﷺ) وعهد أبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: "إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم" وفيه عن أبي الصهباء قال لابن عباس: أتعلم إنما كانت الثلاث تجعل واحدة علىٰ عهد النبي (ﷺ) وأبي بكر وثلاثاً من إمارة عمر؟ فقال ابن عباس: نعم"[(١)].

ـ ترى!! لماذا غير عمر بن الخطاب سُنّة رسول الله وسُنّة أبي بكر كما صرحت الصحيحتان المتقدمتان؟ وهم يروون في صحاح الأخبار قول النبي (ﷺ) "من رغب عن سنتي فليس مني". وهل ما قاله من إمضائه لبينونة الطلاق الثلاث في المجلس الواحد يكون معذراً له في مخالفة السُنّة؟؟

ـ وهل من تفسير أكثر منطقية للذين يدّعون انهم هم أهل السُنّة دون غيرهم لفعل

حزم:١٠/٣٩ والفائق في غريب الحديث /الزمخشري: ٣/٢٥٨ وغريب الحديث لابن سلام ٣/٣٤١ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير:٤/٣٦١.

(١) ـ صحيح مسلم: ٤/: ١٨٣ ـ ١٨٤.

الخليفة؟ وسُنّة من يتبعون في الطلاق الثلاث؟

إن التفسير الواقعي لهذا التبديل هو إعادة طلاق الجاهليّة التي كانت تبين بالثلاث، وشاهدنا علىٰ ذلك ما ذكره الطبراني والهيثمي والسمرقندي والسيوطي وغيرهم[١] في مناقب عبد الله بن عباس قال: "سئل عن قوله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾ [٢] هل كان الطلاق في الجاهليّة؟ قال نعم طلاقا بائناً ثلاثاً. أما سمعت قول أعشىٰ بني قيس بن ثعلبة حين أخذه اختانه عنزة، فقالوا إنك قد أضررت بصاحبتنا وأنا نقسم بالله أن لا نضع العصا عنك أو تطلقها، فلما رأىٰ الجدّ منهم وأنهم فاعلون به شراً قال:

يا جارتا بيني فإنك طـالقـة	كذاك أمور الناس غاد وطارقة

فقالوا والله لتبينن لها الطلاق أو لا نضع العصا عنك، فقال:

فبيني حصان الفرج غير ذميمة	ومـأموقة منا كما أنتِ وامقة

فقالوا والله لتبين الطلاق أو لا نضع العصا عنك، فقال:

فبيني فان البين خير من العصا	وإن لا تزالي فوق رأسك بارقـة

فأبانها بثلاث تطليقات.

قال الشهرستاني في الملل انه لما قال في البيت الأول قالوا له ثن فلما ثنّىٰ قالوا له ثَلِّث[٣]. وقال البيهقي كان عروة بن الزبير يقول وافق طلاق الأعشىٰ ما نزل من القران في الطلاق[٤]. وهذه الشهرة لطلاق الأعشىٰ تدفع سعي البعض في تضعيف الحديث لتلافي النقد الوارد علىٰ جعل الطلاق الثلاث في مجلس واحد طلاقاً مبيناً وهو كونها سُنّة جاهلية. ولا مبرر لمن غير السُنّة النبوية في تشريعه هذا غير ذلك. وهم يروون قول رواتهم: أخبرنا رسول الله عن رجل طلق إمراته جميعاً، فقام غضبان فقال: أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم، حتىٰ قام الرجل فقال يا رسول الله ألا اقتله![٥]ويروون عن ابن عباس قوله: "طلَّقَ أبو رُكانة أمَّ رُكانة فقال رسول الله (ﷺ) راجع إمراتك، فقال: إني طلقتها ثلاثاً! قال قد علمت راجعها[٦].

---

(١) ـ المعجم الكبير:١٠/ ٢٥٦ ح١٠٥٩٦ ومجمع الزوائد: ٩/٢٨٣ وتفسير السمرقندي: ١/١٧٦، والدر المنثور: ١/٢٧٧.

(٢) ـ القرآن الكريم، سورة الطلاق /١.

(٣) ـ الملل والنحل: ٢/٢٤٦.

(٤) ـ معرفة السُنن والآثار: ٤/ ٤٩١.

(٥) ـ سُنن النساء: ٦/ ١٤٢ـ١٤٣.

(٦) ـ المجموع: ١٧/٨٦. ونيل الأوطار: ٧/ ١٢.

مع هذا أمضىٰ القوم هذه البدعة محتجين بعدم اعتراض الأصحاب علىٰ عمر، وكأن الأصحاب عارضوه في غير موقف اتخذه الرجل بخلاف سُنّة الرسول (ﷺ) كتبديل التاريخ ونقل المقام والتفضيل في العطاء وغيره، ثم احتجوا في مقابل النص بفتاوىٰ الأوزاعي وغيره من المروجين لسُنّة الخلفاء.

٨ ـ تحريم متعة الحج لأنها كانت محرمة في الجاهليّة:

قال تعالىٰ: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[١].

إن متعة الحج نص عليه الكتاب العزيز في الآية المتقدمة والمقصود منها هو حج التمتع وهو أن ينشيء المتمتع بها إحرامه في أشهر الحج من الميقات فياتي مكة ويطوف بالبيت ويسعىٰ بين الصفا والمروة ثم يقصر فيحل من إحرامه فيقيم مُحلاً حتىٰ يحرم في نفس السَنة إحراماً آخر للحج.

لا نكير بين المسلمين في تشريع عمرة التمتع علىٰ عهد رسول الله (ﷺ)، وقد تمتع المسلمون بالحج في زمن النبي وفي خلافة أبي بكر إلىٰ أن جاء عمر بن الخطاب فأعلن: "**متعتان كانتا علىٰ عهد رسول الله (ﷺ) أنهىٰ عنهما وأعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج**" [٢] وفي بعض الروايات "**أنا أحرمهما وأعاقب عليهما**".

لقد برر عمر عمله هذا بقوله: "هي سُنّة رسول الله (ﷺ) يعني المتعة ولكني أخشىٰ أن يعرسوا بهن تحت الأراك ثم يروحوا بهن حجاجاً" نقلنا لفظ الرواية من مسند أحمد وهي مذكورة في صحيح مسلم وسُنن ابن ماجة والنسائي وغيرها[٣]

(١) ـ القرآن الكريم، سورة البقرة /١٩٦.

(٢) ـ مسند أحمد: ٣٢٥/٣ وكنز العمال: ٥٢١/١٦ والمُغني لابن قدامة: ٥٧٢/٧ وتهذيب الكمال: ٢١٤/٣١ وأحكام القرآن /الجصاص: ٣٥٢/١ وعلل الدارقطني: ١٥٦/٢ والمبسوط/السرخسي: ٢٧/٤، قال وقد صح أن عمر نهى عن المتعة.

(٣) ـ مسند أحمد: ٤٩/١ صحيح مسلم: ٤٥/٢ وسُنن ابن ماجة: ٩٩١/٢ والنسائي: ١٥٣/٥

واعترف صراحةً بحليتها في زمن الرسول؛ رووا عن ابن عباس قوله: سمعت عمر يقول: والله إني لأنهاكم عن المتعة وإنها لفي كتاب الله ولقد فعلها رسول الله (ﷺ) يعني العمرة في الحج[١]. وهناك شهادات كثيرة من الصحابة علىٰ حليتها في زمن الرسول (ﷺ) وزمن أبي بكر:

ـ روىٰ أحمد في المسند والمتقي في الكنز، عن جابر بن عبد الله قال: تمتعنا علىٰ عهد رسول الله (ﷺ) متعتين الحج والنساء وقد قال حماد أيضاً متعة الحج ومتعة النساء فلما كان عمر نهانا عنهما فانتهينا[٢].

ـ وفي الصحيحين عن عمران بن حصين قال: تمتعنا علىٰ عهد النبي (ﷺ) فلم ينهانا عنها ولم ينزل فيها نهي، وفي رواية: ولم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتىٰ مات، فقال رجل برأيه ما شاء[٣].

ـ وفي تفسير القرطبي عن الزهري: قال إني لجالس مع ابن عمر في المسجد إذ جاءه رجل من أهل الشام فسأله عن التمتع بالعمرة إلىٰ الحج فقال ابن عمر: حسن جميل قال: فإن أباك كان ينهي عنها فقال: ويلك، فإن كان أبي نهىٰ عنها وقد فعله رسول الله (ﷺ) وأمر به أفَ بقول أبي آخذ أم بأمر رسول الله (ﷺ) قم عني[٤].

ـ ولا أرىٰ عبارة أوضح من قول عمر: "كانتا علىٰ عهد رسول الله وأنا أحرمهما" في الاعتراف بحليتهما في السُنّة والإقرار بتحريمه لهما كما لا أجد أوضح لبيان مراده من تبريره للتحريم كما في صحيح مسلم. وعبثا حاول أنصاره البحث عن مخرج لهذه الطامة فالاعتراف سيد الأدلة كما يقولون.

ولو رجعنا قليلاً إلىٰ الوراء لنقف علىٰ راي الجاهليّة في العمرة في الأشهر الحرم لبانت لنا الأسباب الخفية وراء هذا التبديل العلني للسُنّة المقرون بالتهديد بالعقوبة وفيما يلي الشاهد من صحيح الأخبار عن رأي الجاهليّة في العمرة.

ـ جاء في الصحيحين عن ابن عباس: قال: كانوا يرون العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض ويجعلون المحرم صفراً ويقولون إذا برا الدبر وعفي الأثر وانسلخ صفر حلت

---

(١) ـ السُنن الكبرى /النسائي: ٢/٣٤٩.

(٢) ـ مسند أحمد: ٣/٣٦٣ وكنز العمال: ١٦/٥٢٠ ح ٤٥٧٢٠.

(٣) ـ صحيح مسلم: ٤/٤٨ والبخاري: ٢/١٥٨.

(٤) ـ تفسير القرطبي: ٢/ ٣٨٨.

العمرة لمن اعتمر فلما قدم النبي (ﷺ) وأصحابه لصبيحة رابعة مهلّين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة، فتعاظم ذلك عندهم فقالوا يا رسول الله أي الحلّ؟ قال حلٌّ كلّه[١].

هذه هي الحقيقة التي لن ترضخ لها العقول التي حجبتها العصبية عن النور فانشغلت بالتخبط لإيجاد مخرج يدفعون به صاعقة الحق بتأويلات مضحكة أو مجعولات مكذوبة ظنّاً منهم انهم أطفؤا نور الله بأفواههم وأحيوا به سُنن أجدادهم لكي يتجنبوا أفجر الفجور كما تجنبها الأسلاف. وما أمات عمر هذه السُنّة إلاّ لإحياء سُنّة من سُنن الأجداد في الجاهليّة كادت أن تشطب بحكم الإسلام.

٩ ـ تضييع السُنّة النبوية لحجب حقائق الدين وتضمين نجاح الانقلاب:

زعم أتباع الخلافة أن أصح الروايتين في خطبة غدير خم هو قوله (ﷺ): "إني قد خلّفت فيكم ما لن تضلوا بعدهما ما أخذتم بهما أو عملتم بهما كتاب الله وسنتي ولن تفرقا حتىٰ يردا علَيَّ الحوض"[٢]. وقد طبّلوا لهذا الحديث وروجوا له حتىٰ مزجوه بدم أهل السُنّة ولحمهم وعظمهم وأخذ صغيرهم قبل الكبير والمرأة قبل الرجل يترنم به أكثر من ترتيله لآي القران. ثم ذكروا في اصح كتبهم انه لما اشتد بالنبي (ﷺ) قال ائتوني بكتاب أو بكتف ودواة اكتب لكم كتاباً لا تظلون بعده فقال عمر إن رسول الله قد غلب عليه الوجع وعندكم القران حسبنا كتاب الله...الخ [٣].

ـ **فالحديث الأول** نص في أن الكتاب والسُنّة متلازمان لا يغني أحدهما عن الآخر بل لا يفترقان حتىٰ يردا عليه الحوض.

ـ **والحديث الثاني** يثبت أن الخليفة عمر بن الخطاب قد اكتفىٰ بالكتاب واستغنىٰ عن السُنّة "**حسبنا كتاب الله**" فهل النبي (ﷺ) هو الصادق في قوله بتلازمهما وعدم استغناء أحدهما عن الآخر أم أن الفاروق هو الصادق في قوله بعدم تلازمهما إذ يمكن الاستغناء عن السُنّة بالكتاب؟؟

وقد وجهوا القول الثقيل الذي أدلىٰ به عمر: [غلبه الوجع] أو يهجر وحسبنا كتاب الله] علىٰ أنه إشفاق بالنبي (ﷺ) وحرص منه علىٰ عدم إتعاب الرسول وهو في تلك الحال

(١) ـ صحيح مسلم: ٥٦/٤ جواز العمرة في أشهر الحج وصحيح البخاري١٥٢/٢باب التمتع والإقران والإفراد بالحج.

(٢) ـ مستدرك الحاكم: ٩٣/١ والسُنن الكبرى، البيهقي: ١١٤/١٠.

(٣) ـ البخاري: ١٦١/٨ ومسلم ٧٦/٥.

لا رغبة عن سنته، كيف وهو حامل راية السُنّة ومهندس النظريات الإسلامية السنية؟

لكن الذي يبدوا من سيرته وسيرة الخلفاء أنهم اختاروا نظرية الاكتفاء بالقران وحذف السُنّة كأساس للتعامل مع الدين والمسلمين حيث أعلنوا بعد وفاة النبي (ﷺ) تحريم كتابة السُنّة بل وتحريم تحدث الناس بالحديث النبوي مما دل بوضوح علىٰ جديّة الخليفة فيما قاله من قبل! ويدل عليه أيضاً فعل الخليفتين أبي بكر وعمر حيث جمعا ما كتبه الناس من أحاديث النبي (ﷺ) ثم أحرقوها! ثم واصل عمر سياسة التشديد علىٰ الصحابة، فضرب بعضهم وحبس بعضاً آخر لمجرد أنه حدث حديثا عن النبي (ﷺ)! كما أصدر مرسوماً إلىٰ ولاته يأمر فيه بحرق كل ما كتب من السُنّة أو محوه! وهو مخالف لما وجهوا به موقف عمر يوم الوفاة وتجسيد حقيقي لشعار "حسبنا كتاب الله!" الذي رفعه الخليفة وكأنهم قد اتفقوا علىٰ أن يقبلوا منه القران دون السُنّة.

ويتضح من بعض الأحاديث أن قُريشاً كانت قد عقدت العزم علىٰ حذف السُنّة النبوية حتىٰ قبل وفاة النبي (ﷺ) مثل رواية أبي داود: عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله (ﷺ) أريد حفظه فنهتني قُريش وقالوا أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله (ﷺ) بشر يتكلم في الغضب والرضا؟! فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله (ﷺ) فأومأ بإصبعه إلىٰ فيه فقال: اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق[١] ! ورواه احمد أيضاً[٢].



وأما الموقف العملي للخلفاء من السُنّة فهو ما تبينه رواياتهم:

ـ بالنسبة إلىٰ موقف الخليفة أبي بكر فقد ذكر الذهبي[٣]: عن عائشة قالت: جمع أبي الحديث عن رسول الله (ﷺ) وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلب كثيراً! قالت فغمني فقلت: أتتقلب لشكوىٰ أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها فدعا بنار فحرقها، فقلت لم أحرقتها؟ قال خشيت أن

(١) ـ سُنن أبي داوود: ٢/١٧٦.

(٢) ـ مسند احمد: ٢/١٩٢.

(٣) ـ «**شمس الدّين الذَّهَبِيّ**» (٦٧٣ ـ ٧٤٨ هـ / ١٢٧٤ ـ ١٣٤٨م) مُحدث وإمام حافظ. أحاط بالتاريخ الإسلامي حوادث ورجالاً، وله معرفة واسعة بقواعد الجرح والتعديل، فكان مدرسة قائمة بذاتها. سُمي بالذهبي لأنه كان يزن الرجال كما يزن الجواهري الذهب.

أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت ولم يكن كما حدثني، فأكون قد نقلت ذلك [١].

ـ أما موقف أبي حفص عمر، فقد نقل ابن سعد: عن عبد الله بن العلاء قال سألت القاسم يملي عليَّ أحاديث فقال: إن الأحاديث كثرت علىٰ عهد عمر بن الخطاب، فأنْشد الناس أن يأتوا بها، فلما أتوه بها أمر بتحريقها [٢] !.

ـ ورواية ابن ماجة: عن قرظة بن كعب قال: بعثنا عمر بن الخطاب إلىٰ الكوفة وشَيَعنا، فمشىٰ معنا إلىٰ موضع يقال له صرار فقال: أتدرون لم مشيت معكم؟ قال: قلنا: لحق صحبة رسول الله (ﷺ) ولحق الأنصار قال: لكني مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به فأردت أن تحفظوه لممشاي معكم. إنكم تقدمون علىٰ قوم للقرآن في صدورهم هزيز كهزيز المرجل، فإذا رأوكم مدوا إليكم أعناقهم وقالوا أصحاب محمّد فاقِلوا الرواية عن رسول الله (ﷺ) ثم أنا شريككم[٣]. ومن الواضح أن المطلب الذي أراده عمر من هؤلاء الدعاة مهم للخليفة، وصعب علىٰ الصحابة، لأنه يخالف توجيهات النبي (ﷺ) ولذا خرج لتوديعهم مسافة طويلة بتواضع مشهود، ويفهم من قوله لهم [وأنا شريككم] أنهم كانوا يرون أن عدم التحديث عن النبي (ﷺ) إثم ومعصية لأنه كتمان لما سمعوه من النبي (ﷺ) ومخالفة لأمره إياهم بأن يبلغ الشاهد منهم الغائب! فأراد عمر أن يطمئنهم بأن كتمانهم ضرورة، وأنه لا إثم عليهم فيه! وإن يكن فيه إثم فهو شريكهم فيه!

ـ ويدل قول الصحابي قرظة: فما حدثت بشيء وقد سمعت كما سمع أصحابي... وإن كنت لأجلس في القوم فيذكرون الحديث عن رسول الله (ﷺ) واني لمن أحفظهم له، فإذا ذكرت وصية عمر سكتت. فلما قدم قرظة قالوا: حدثنا قال: نهانا عمر! هذا القول يدل علىٰ المنع الرسمي الذي تلقاه مباشرة من الخليفة فماذا يعني أمر الصحابة بالكتمان ونهيهم عن التبليغ الواجب سوىٰ قتل السُنّة التي أمروا بإحيائها؟! وبات نقل الحديث عن النبي (ﷺ) جرم وحرام وعقوبته الجلد بالسياط والإقامة الجبرية، ويشهد له:

ـ ما رواه الحاكم: "عن سعد بن إبراهيم عن أبيه، أن عمر بن الخطاب قال لابن مسعود

(١) ـ تذكرة الحفاظ: ١/٥.
(٢) ـ الطبقات الكبرى: ٥/١٤٠.
(٣) ـ سُنن بن ماجة: ١/١٢.

وابن أبي الدرداء وأبي ذر: ما هذا الحديث عن رسول الله؟ وأحسبه حبسهم بالمدينة حتىٰ أصيب... هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين وإنكار عمر ـ أمير المؤمنين ـ علىٰ الصحابة كثرة الرواية عن رسول الله (ﷺ) فيه سُنّة ولم يخرجاه" [١]. وقول الحاكم [كثرة الرواية] كلام منه لا دلالة في نفس الحديث عليه، فقد نهاهم عمر عن التحدث كلياً، ما هذا الحديث عن رسول الله !!".

ـ روىٰ المتقي عن ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف قال: والله ما مات عمر بن الخطاب حتىٰ بعث إلىٰ أصحاب الرسول (ﷺ) فجمعهم من الآفاق: عبد لله بن حذافة وأبا الدرداء وأبا ذر وعقبة بن عامر فقال: ما هذه الأحاديث التي قد أفشيتم عن رسول الله (ﷺ) في الآفاق؟ قالوا: أتنهانا؟ قال: لا أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت؟ فنحن أعلم نأخذ ونرد عليكُم. فما فارقوه حتىٰ مات[٢].

ـ وروىٰ الدارمي: ثنا الأوزاعي... قال: أتيت أبا ذر وهو جالس عند الجمرة الوسطىٰ وقد اجتمع الناس عليه يستفتونه فأتاه رجل فوقف عليه ثم قال: ألم تنه عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه وقال: أ رقيب أنت عليّ؟ لو وضعتم الصمصام علىٰ هذا وأشار إلىٰ قفاه، ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها عن رسول الله قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها[٣]. وقد بتره البخاري فقال: وإنما العلم بالتعلّم، وقال أبو ذر لو وضعتم الصمصامة علىٰ هذا وأشار علىٰ قفاه، ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله (ﷺ) قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها[٤].

ـ وروىٰ المتقي عن ابن عبد البر في العلم، وابن عساكر والدينوري: عن ابن سيرين عن عمر قال لأبي موسى: أما بلغني أنك تفتي الناس ولستَ بأمير؟ قال: بلىٰ قال: حول حارها من تولىٰ قارها. يقصد أنك لست الخليفة، ويحرم عليك الفتوىٰ[٥] في أمور الدين فالفتوىٰ للخليفة[٦]. وقال الذهبي: "إن عمر حبس ثلاثة: ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الأنصاري فقال قد أكثرتم الحديث عن رسول الله (ﷺ) [٧].

---

(١) ـ مستدرك الحاكم: ١/١١٠.

(٢) ـ كنز العمال: ٨/٢٨٥.

(٣) ـ سُنن الدارمي: ١/١٣٦.

(٤) ـ صحيح البخاري: ١/٢٥.

(٥) ـ «**الفَتْوى**»: جوابُ الفقيه عما يُشْكِلُ من المسائل الشرعية أو القانونية. وغير ملزمة لغير المقلد.

(٦) ـ كنز العمال: ١٠/٢٩٩.

(٧) ـ تذكرة الحفاظ /الذهبي: ١/٧.

ـ ولا أدلّ علىٰ ذلك من إقرار سيد رواتهم أبي هريرة بذلك إذ يقول: "لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربني بمخفقته"[١].

إن السبب الحقيقي وراء التغطية المشددة هو كتمان حقائق كثيرة بيّنها النبي (ﷺ) تتعلق بالبرنامج الحقيقي للإسلام والنهج السليم للمسلمين بعد وفاته بحيث لو كشف عنها لكان من المستحيل تمرير أي نهج سواه، كحدود معالم العقيدة والحلال والحرام والوصية والوصي وما ينبغي علىٰ المسلمين فعله ومن يتبعوه ومن الصالح من الصحابة ومن المذموم، والمتتبع النزيه للحديث والسيرة وأحداث الصراعات الدائرة في صدر الإسلام يستنبط بسهولة الأسرار الكامنة خلف اللغط الإعلامي وتناقض المواقف، وسرعان ما يقف علىٰ جوهر الخلاف المرير بين سلطة تحمل راية الإسلام ظاهراً، ومعارضة تحمل راية الحجة. ويزول العجب من غموض الموقف في معركة السنان والبيان.

لقد اختلقت السلطة المعاذير لتبرير موقفها من السُنّة تارة بادّعاء أن هدفها التثبت ومنع الكذب في التحديث عن النبي (ﷺ)، وأخرىٰ بالخوف من انشغال الناس بالحديث عن القرآن، وأخرىٰ بالخوف من اختلاط الحديث النبوي بالقرآن. لكن هذه الأعذار لا تبرر قتل السُنّة بالمرّة بتحريمها نقلاً وكتابة وهم يروون في الصحيح أن السُنّة هي عدل الكتاب وأحد الثقلين، وإندراسه يعني اندراس عدله لتلازمهما وعدم افتراقهما حتىٰ يردا عليه الحوض. ولم يكتف أبا بكر بحرق ما جمعه من مدونات الصحابة من السُنّة بل نهىٰ عن الحديث كلياً، وأمر المسلمين أن يكتفوا بحكم القرآن فقط، وهذا يكشف عن رفض السُنّة كلياً، بحجة أن فيها أحاديث مختلف فيها!

نقل الذهبي عن أبي بكر: جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله (ﷺ)، أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً. فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه[٢].

ومن العجيب نهيهم التحدث عن رسول الله من جهة ونقلهم كلاما ينسبوه إلىٰ النبي (ﷺ): "حدثوا عن أهل الكتاب ولا حرج" من جهة أخرى!! وهل يعني ذلك غير رفض سُنّة النبي (ﷺ) وترويج سُنّة اليهود النصارىٰ بدلها؟

وكيف نوفق بين فعلهم وما أثبتوه في البخاري وغيره بعد عهد طويل أنه (ﷺ)

---

(١) ـ تذكرة الحفاظ /الذهبي: ١/٧.

(٢) ـ كنز الحفاظ: ١/٢.

كان يوصي دائماً بأن يبلّغ الحاضر الغائب؟ وقد عقد البخاري باباً بإسم [ليبلّغ العلم الشاهد الغائب] [١] وأورد فيه ما يدل علىٰ وجوب تبليغ أحاديث النبي (ﷺ) وفيه أيضاً، قال: "اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مُبلّغ أوعىٰ من سامع" [٢]. وكذلك ما رواه في فضيلة رواية السُنّة، فعن المتقي[٣] وغيره وبطرق متعددة أحاديث في ذلك منها: "من حفظ علىٰ أمتي أربعين حديثاً من سنتي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي" ابن النجار عن أبي سعيد. قوله: "من حمل من أمتي أربعين حديثا بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما" عن أنس، وفيه أيضاً[٤]: "من تعلم أربعين حديثاً ابتغاء وجه الله تعالىٰ ليعلم به أمتي حلالهم وحرامهم، حشره الله يوم القيامة عالماً" أبو نعيم عن علي.

ومن الواضح أن هدف النبي (ﷺ) كان إيصال الأحاديث وما أوحاه الله إليه إلىٰ أمته، وأن يحفظ الصحابة والرواة هذه الأحاديث ويعلموها الناس فلماذا نقضت حكومة قُريش هذا الغرض النبوي بإصرارها علىٰ تغييب السُنّة ومنع تدوينها وحتىٰ التحدث بها، ومعاقبتها علىٰ ذلك؟! تفسير واحد فقط لا يحتمل سواه ألا وهو رفع الموانع عن طريق قُريش لحسم القضية لصالحها. إنها السلطة التي فقدت بظهور الإسلام ولابد أن ترجع الأمور إلىٰ ما كانت في عصر القبلية سيادة وحضارة. وقد أثبت الخليفة عمر بتصرفه هذا حقيقة عدم إيمانه بالسُنّة النبوية منذ عهد النبي (ﷺ) والذي أعلنه بشعاره المعروف "حسبنا كتاب الله"، فالعجب من دعاة متابعة السُنّة كيف ادّعوا ذلك وهم أول من قتل السُنّة بمنع روايته وتدوينه.

فمن العيب علىٰ من يرىٰ نفسه أولىٰ بخلافة المسلمين من غيره بادّعائه الإيمان بالنبي (ﷺ) منذ أول الدعوة والهجرة وسماع كل ما نزل من قرآن علىٰ عهد النبي مضافاً إلىٰ أحاديث النبي (ﷺ) أن يقف أيام خلافته موقف الجاهل بدينه فيسأل كعب الأحبار فيقول: ويحك يا كعب حدثنا من حديث الآخرة فيقول: نعم يا أمير المؤمنين إذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ... إلىٰ آخر حكايته[٥] وكعب لم يمض علىٰ إسلامه إلاّ أياماً معدودات، فكيف أصبح خليفة للمسلمين ومرجعاً لهم وهو لا يعلم شيئاً عن آخرته. وما

---

(١) ـ صحيح البخاري: ١/ ٣٤.
(٢) ـ صحيح البخاري: ١٩١/٢.
(٣) ـ كنز العمال: ١٥٨/١٠.
(٤) ـ كنز العمال: ١٠/ ص ١٤٦.
(٥) ـ تفسير القرطبي: ٤١٨/١٠.

فلسفة منع سُنّة النبي والسماح بالتحدث عن أهل الكتاب!! وقد توسلوا لتمرير هذه الخطيئة بذنب أكبر يؤكد الحدث حينما كذبوا علىٰ رسول الله (ﷺ) وروجوا رواية ذكرت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري تقول "قال (ﷺ) لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"[(١)]. وهم يعلمون جيداً أن الرسول (ﷺ) كان أول من حث الصحابة علىٰ تقييد العلم بالكتابة وأمرهم وجوباً ببث أقواله.

١٠ ـ اختلاق الأحاديث ضد القوميات حماية للقومية العربية:

يقرأ المتتبع لكتب الحديث مجموعات كبيرة من الأحاديث المنسوبة إلىٰ النبي (ﷺ) تمجد بقُريش وتذم الشعوب غير العربية وقبائل غير قرشية فلا يشك بعد اليقين بعدالة الإسلام وسماحة منهج الدين الحنيف في كونها من مجعولات العنصريين الذين تأسوا باليهود في قولهم "نحن أبناء الله وأحباؤه".

إن وجود هذه الأخبار في جملة التراث الديني لدليل علىٰ ما ذكرنا من سعي فئة عنصرية في حكر الإسلام وسلطانه لصالح قضيتها البعيدة كل البعد عن الإسلام، وإلاّ فالذي يقرأ قوله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ وقول النبي (ﷺ): لا فرق لعربي علىٰ أعجمي ولا لأحمر علىٰ أسود إلاّ بالتقوى. لا يمكن أن يصدّق ما ذكروه من سوء القول في الملل وفيما يلي نماذج من تلك الأخبار:

ـ عن أبي إدريس قال: "قدم علينا عمر بن الخطاب الشام فقال: إني أريد أن آتي العراق، فقال له كعب الأحبار: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من ذلك. قال وما تكره من ذلك؟ قال: بها تسعة أعشار الشر وكل داء عضال وعصاة الجن وهاروت وماروت وبها باض إبليس وفرخ"[(٢)].

ـ ونسبوا زيفاً إلىٰ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) قولهم: "لا تساكنوا الخوز ولا تزوجوا إليهم فإن لهم عرقاً يدعوهم إلىٰ غير الوفاء".

ـ ورووا أن كسرىٰ كتب إلىٰ بعض عماله: ابعث إليّ بشر طعام علىٰ شرّ دابة مع شرّ الناس، فبعث إليه برأس سمكة مالحة علىٰ حمار مع خوزي[(٣)].

ـ وكذا في حق الأكراد حيث نسبوا إليهم (عليهم السلام) قولهم: "لا تخالطوا الأكراد فإنهم حي من

---

(١) ـ صحيح مسلم: ٢٢٩/٨.
(٢) ـ تاريخ مدينة دمشق ابن عساكر: ١٥٩/١.
(٣) ـ معجم البلدان /الحموي: ٤٠٤/٢.

أحياء الجن كشف الله عنهم الغطاء". وقد فندنا هذه الروايات وغيرها في كتابنا [الكورد الشيعة في العراق].

ـ ورووا عن النبي (ﷺ) أنه قال: "لعن الله الأعجمين فارس والروم"[(١)].

ـ ورووا: "من أحسن منكم أن يتكلم بالعربية فلا يتكلمن بالفارسية فإنه يورث النفاق"[(٢)]

ـ ورووا عن النبي (ﷺ): "تاركوا الترك ولا تساكنوا الأنباط في ديارهم" [(٣)].

ـ بل اجتازوا الملل ولغاتها إلىٰ كل ما يمت لها بصلة، فاقرأوا ما روته قُريش عن النبي (ﷺ) قالوا: "أبصر رسول الله (ﷺ) رجلاً معه قوس فارسية، فقال: اطرحها، ثم أشار إلىٰ القوس العربية فقال: بهذه الرماح والقنا يمكّن الله لكم البلاد وينصركم علىٰ عدوكم"[(٤)]

ـ ثم تعدوا من طرحها إلىٰ لعنها فقالوا: "خرج الرسول (ﷺ) يتبع الجيش ـ الذي سار إلىٰ خيبر ـ وهو متوكئ علىٰ قوس، فمرّ به رجل يحمل قوساً فارسياً، فقال: ألقها، فإنها ملعونة، ملعون من يحملها، عليكُم بالقنا والقسي العربية فإن بها يعز الله دينكم ويفتح لكم البلاد" [(٥)].

ـ وقد رأىٰ العالم كيف قتلت القنا العربية المسلمين قبل غيرهم وكيف ألبست تلك السيوف المسلمين ثوب الذلّ ابتداء من أهل بيت النبي (ﷺ) فالصحابة فالتابعين وتابعي التابعين إلىٰ يومنا، ولنا في علي والحسين وآل الحسن وذريتهم خير شاهد ومن عمار وحجر وعبد الله بن الزبير وسعيد بن الجبير وأمثالهم خير دليل، فما قتل أحد منهم بقوس فارسية ولا بسيف رومي، وأي ذلّ للإسلام أكبر من أن يهتدوا بهدي كعب الأحبار وتميم الداري بدل سُنّة رسوله التي ماتت بدرة عربية، فلتفرح قُريش بفتحها المشرق والمغرب وهنيئا لها سيادتها الدنيوية التي اكتسبتها بذبح الإسلام.

هذه الأحاديث وأمثالها الكثير تتنافىٰ وثوابت الدين الحنيف المبني علىٰ المساواة والعدل، ومع ذلك روجوها من أجل إحياء الباطل النتن كما في الأخبار وملأوا بها كتب الحديث زورا تضليلاً للعباد حتىٰ باتت أساساً لتشييد فكرة العروبة السياسية التي اجتاحت الأمة.

١١ ـ الاستعانة بعلماء أهل الكتاب للتشويش علىٰ عقائد المسلمين:

كثر بين المسلمين الرواية عن أحبار اليهود الذين استسلم الكثير منهم اضطراراً

---

(١) ـ كنز العمال: ٩٣/١٢ ح ٣٤١٣٩.

(٢) ـ مستدرك الحاكم: ٨٧/٤.

(٣) ـ ذكر أخبار إصبهان: ٣٦١/٢.

(٤) ـ مجمع الزوائد: ٢٦٧/٥ ـ ٢٦٨.

(٥) ـ مجمع الزوائد: ٢٦٧/٥ ـ ٢٦٨.

فدخلوا فيه متظاهرين به وقد بقوا علىٰ ما كانوا عليه من العقائد السابقة. وقد ظن الكثير من الباحثين السابقين واللاحقين أن ظهور الأحبار في أوساط المحدثين كان ظهوراً عفوياً لكونهم علماء بالتوراة والإنجيل من جهة، وأن المسلمين كانوا يجهلون ما في كتب الأولين فدفعهم شوقهم الإنساني إلىٰ الالتفاف حول هؤلاء العلماء والاستماع إلىٰ قصصهم وحكاياتهم وما عندهم من الأصول والعقائد، يقول ابن خلدون: "إن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية وإذا تشوقوا إلىٰ معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون أهل الكتاب قبلهم... إلىٰ أن يقول: فلما أسلموا بقوا علىٰ ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل بدء الخليقة وما يرجع إلىٰ الحدثان والملاحم وأمثال ذلك وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم، فامتلأت التفاسير من منقولات عنهم في أمثال هذه الأغراض" [(١)].

وقد اعتقد معظم الباحثين أن دخول هؤلاء علىٰ خط الإسلام كان بكيد من الأحبار أنفسهم بعد أفول أديانهم بمجيء الإسلام فتظاهروا بالدين لدسّ عقائدهم ومفترياتهم بين المسلمين، يقول الشيخ أبو رية: "أخذ أولئك الأحبار يبثون في الدين الإسلامي أكاذيب وترهات يزعمون مرّة أنها في كتابهم أو من مكنون علمهم ويدّعون أخرىٰ أنها مما سمعوه من النبي (ﷺ) وهي في الحقيقة من مفترياتهم، وأنّىٰ للصحابة أن يفطنوا لتمييز الصدق من الكذب من أقوالهم وهم من ناحية لا يعرفون العبرية التي هي لغة كتبهم ومن ناحية أخرىٰ كانوا أقل منهم دهاء وأضعف مكراً وبذلك راجت بينهم سوق هذه الأكاذيب وتلقىٰ الصحابة ومن تبعهم كلما يلقيه هؤلاء الدهاة بغير نقد أو تمحيص معتبرين أنه صحيح لاريب فيه"[(٢)].

وأنا لا أكذّب هؤلاء الأعلام فيما قالوه، لا في أمية العرب ولا في كيد اليهود والنصارىٰ وإنما أحاسبهم علىٰ عدم إشارتهم إلىٰ الجهة التي استعانت بهؤلاء بل رغّبتهم في نشر تلك الترهات بين المسلمين وفي مساجد المسلمين وعلىٰ منابرهم ومنحتهم الحرية المطلقة في بث الأساطير والقصص والإسرائيليات في وقت كان التحدث إلىٰ الناس بأحاديث رسول الإنسانية (ﷺ) من الممنوعات كتابة ورواية، حتىٰ ضربوا علىٰ ذلك رواة وحبسوا آخرين

---

(١) ـ تاريخ ابن خلدون: ٤٣٩/١.

(٢)ـ أضواء على السنة المحمّدية: ص ١٤٧.

وقد تقدم البحث عن ذلك. فلقد أجمع المسلمون علىٰ أن الخليفتين أبابكر وعمر بن الخطاب منعا تدوين الحديث وأحرقا ما دوّناه منها وما دوّنته الصحابة بحجة الخوف علىٰ القرآن ولا نكير لأحد في منع الخليفة عمر بن الخطاب الصحابة من رواية الحديث النبوي واستمرار منع حكومة الخلافة للرواية قرابة قرن من الزمن، لكن الملفت للنظر أن السلطة المتشددة بشأن أحاديث الرسول والتي كانت جزء الوحي: ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحىٰ﴾ هي نفسها التي أجازت أحبار اليهود الذين دخلوا الإسلام مؤخراً في التحدث بإسرائيلياتهم بحرية مطلقة ونشر كلّ ما عندهم من القصص الخرافية والعقائد الباطلة، فما ترىٰ في كتب الحديث قديماً وحديثاً من الأخبار الكثيرة حول التجسيم والتشبيه والقدر السالب للاختيار والرؤية ونسبة المعاصي إلىٰ الأنبياء فكل ذلك من آفات اليهود والنصارى، وقد حسبها المسلمون حقائق وقصصاً صادقة فتلقوها بقبول حسن ونشرها السلف بين الخلف.

لقد بدأ هؤلاء الأحبار بالقصص لبث إسرائيلياتهم ضمن قصصهم واستغلوا اجتماع الناس لسماع تلك القصص فبدأوا بتلقينهم عقائد اليهود والنصارى؛ ذكر أحمد بن حنبل: "لم يكن يقص علىٰ عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا أبي بكر فكان أول من قص تميم الداري استأذن عمر بن الخطاب أن يقص علىٰ الناس قائماً فأذن له عمر"[١] فكان تميم يطرح الثقافة النصرانية في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رسمياً وبإذن الخليفة عمر بن الخطاب مرتين في الأسبوع وثلاث مرات في زمن عثمان. وكان كعب الأحبار هو الآخر قصاصاً إلىٰ جانب تصديه لبيان الأصول والأحكام، فكان يبث الفكرة اليهودية من خلال أقاصيصه وفتاواه، روىٰ الهيثمي: أن رجلاً من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل المسجد فإذا كعب يقص قال: من هذا؟ قالوا: كعب يقص قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: لا يقص إلاّ أمير أو مأمور أو مختال. فبلغ ذلك كعباً، فما رؤي بعد يقص قال رواه أحمد وإسناده حسن[٢]

ويبدو أن هذا الصحابي لم يكن يتجرأ بالتحدث علناً بحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليُسمع كعباً والآخرين، فنقل الحديث بهمس لمن وثق به فبلغ الحديث كعبا بالوساطة لذا لم ترد الرواية بالاستفاضة، بينما كان كعب الأحبار يسترسل في قصته جهاراً. والغريب أن قصصهم كانت تبث في مساجد المسلمين كما تدل الروايات وقد حرمت منابر تلك

(١) ـ مسند أحمد: ٣/٤٤٩.

(٢) ـ مجمع الزوائد: ١/١٩٠.

المساجد من نشر الحديث النبوي.

لم يكن كعب قاصاً حسب، بل أصبح مفتياً عاماً للمسلمين في بلاط الخليفة، ومستشاراً لهم في أمور دينهم وعقائدهم، أما كونه مستشارا في الإفتاء، فلما رواه مالك في الموطأ: أن رجلاً جاء إلىٰ عمر بن الخطاب فسأله عن جرادات قتلها وهو محرم، فقال عمر لكعب: تعال حتىٰ نحكم!! فقال كعب درهماً. فقال عمر لكعب: إنك لتجد الدراهم، لتمرة خير من جرادة[١]. وأما كونه واعظاً لهم، فلما رواه ابن رجب الحنبلي وغيره قالوا: قال عمر لكعب: خوفنا، قال: والله لتزفرن جهنم زفرة لا يبقىٰ ملك مقرب ولا غيره إلا خرّ جاثياً علىٰ ركبتيه يقول: ربّ نفسي نفسي، وحتىٰ نبينا محمّد وإبراهيم وإسحاق (عليهم السلام)، قال فأبكىٰ القوم حتىٰ نشجوا[٢].

ووا أسفاه علىٰ الإسلام إذا بلغ بهم الأمر أن يسفّه كعب الأحبار اليهودي أحلامهم دون أن يرد عليه أحد لا خليفتهم ولا عامتهم وهم يتلون كتاب الله ويعلمون أن المؤمنين ﴿مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ و﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ فكيف بنبيهم (صلى الله عليه وآله) صاحب المقام المحمود، وكيف اشغلهم بكاؤهم ونشيجهم عن السكوت عند قوله: "وحتىٰ نبينا محمّد وإبراهيم وإسحاق (عليهم السلام)" دون أن يذكر نبيه موسىٰ، مع علمهم بأن شأن نبينا (صلى الله عليه وآله) عند الله أجل من أن يفزعه بزفرة جهنم.

وأما كونه مستشاراً عاماً لهم في كل الأمور، فلما روي من أنه لما نزل عمر بن الخطاب الجابية أرسل رجلاً من جديلة إلىٰ بيت المقدس فافتتحه صلحاً، ثم جاءه عمر ومعه كعب، فقال يا أبا إسحاق أتعرف موضع الصخرة؟ فقال: أذرع من الحائط الذي يلي وادي جنهم كذا وكذا ذرعاً ثم احتفر فإنك تجدها وهي يومئذ مزبلة فحفروا فظهرت لهم، فقال عمر لكعب: أين ترىٰ أن نجعل المسجد أو قال القبلة؟ فقال اجعلها خلف الصخرة فتجمع قبلتين قبلة موسىٰ وقبلة محمّد (صلى الله عليه وآله). فقال: ضاهيت اليهودية، فبناها في مقدم المسجد[٣].

وأما الدليل علىٰ تعيينه كمدرس لعقائد المسلمين، فما نقله الطبري وغيره أن عمر قال لكعب: ما أول شيء ابتدأه الله من خلقه؟ فقال كعب: كتب الله كتاباً لم يكتبه بقلم

---

(١) ـ الموطأ: ١/ ٤١٦.

(٢) ـ التخويف من النار لابن رجب: ص ١١١.

(٣) ـ كنز العمال: ٥/٧٠٣ ح ١٤٢١٥.

ولا مداد لكنه كتب بإصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت: أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتي غضبي[١]. وقوله في مجلس آخر لكعب: ويحك يا كعب حدثنا من حديث الآخرة، قال: نعم، يا أمير المؤمنين، إذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق أحد من الخلائق إلاّ وهو ينظر إلىٰ عمله، ثم يؤتىٰ بالصحف التي فيها أعمال العباد فتنثر حول العرش... إلىٰ آخر الحديث[٢].

وواعجباه من خليفة المسلمين الذي عاشر نبي الإسلام من قبل الهجرة إلىٰ وفاته كيف يحتاج في معرفة حديث الآخرة إلىٰ كعب اليهودي الذي لم يصحب النبي (ﷺ) يوماً، بينما نراه يتعامل مع صحابة الرسول الذين يتحدثون بما سمعوه من نبي الإسلام (ﷺ) بدُرته وقد رووا أنه: "خرج يوماً من المسجد فإذا جمع علىٰ رجل، فسأل ما هذا؟ قالوا هذا أبي بن كعب كان يحدث الناس في المسجد فخرج الناس يسألونه. فأقبل عمر فجعل يعلوه بالدرة خفقاً، فقال: يا أمير المؤمنين انظر ماذا تصنع؟ قال فإني علىٰ عمد أصنع أما تعلم أن هذا الذي تصنع فتنة للمتبوع مذلة للتابع"[٣].

ولئن أراد عمر أن يبعد الأنظار بتوجيهه الغير المنطقي للضرب فإن أُبيا وأمثاله ممن تجرّأوا علىٰ خرق المنع علموا جيداً رسالة خليفتهم المقرونة بالدرة. وإلاّ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصيحة المؤمن لا يحتاج إلىٰ الضرب بالدرة ابتداءً، وليته فعل ذلك بكعب اليهودي وتميم الداري عند احتشاد الناس عليهما لسماع الأباطيل، حتىٰ في مجلسه الذي استمع هو فيه إلىٰ حديث الآخرة من كعب.

لم يكن كعب كذلك في عهد عمر خاصة، بل حافظ علىٰ جميع مناصبه في عهد عثمان أيضاً حتىٰ توفي عثمان ثم انتقل إلىٰ الشام ليكون مستشاراً خاصاً لمعاوية. ذكر الطبري وغيره أن أبا ذر قال لعثمان: لا ترضون من الناس بكف الأذىٰ حتىٰ يبذلوا المعروف وقد ينبغي للمؤدي الزكاة أن لا يقتصر عليها، يحسن إلىٰ الجيران والإخوان ويصل القرابات. فقال كعب ـ وكان جالسا في مجلس الخليفة ـ: من أدىٰ الفريضة قضىٰ ما عليه. فرفع أبو ذر محجنه فضربه فشجه، وقال له يا بن اليهودية ما أنت وما ههنا[٤].

ـ ولم يكن للصحابة الممنوعين من التحدث غير الاسترجاع في مقابل هذه السلطة

---

(١) ـ جامع البيان /الطبري: ٢٠٨/٧.

(٢) ـ تفسير القرطبي: ١٠/ ٤١٨.

(٣) ـ تاريخ المدينة لابن شبة: ٦٩١/٢.

(٤) ـ تاريخ الطبري: ٣٣٦/٣.

الممنوحة لليهود والنصارىٰ لبثّ سمومهم. وها هو ابن عباس الذي يلقبونه بحبر الأمة، يقف عاجزاً أمام هذه المؤامرة الرسمية علىٰ الإسلام ويستشيط غضباً ويسترجع، فقد روىٰ الطبري عن عكرمة قال: " بينا ابن عباس ذات يوم جالس إذ جاءه رجل فقال يا بن عباس سمعت العجب من كعب الحبر، يذكر في الشمس والقمر، قال وكان متكئاً فاحتفز ثم قال وما ذاك؟ قال: زعم يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في جهنم. قال عكرمة: فطارت من ابن عباس شفة ووقعت أخرىٰ غضباً، قال: كذب كعب كذب كعب كذب كعب ثلاث مرات، بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام، الله أجلّ وأكرم من أن يعذب علىٰ طاعته، ألم تسمع قول الله ﷻ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ إنما يعني دؤوبهما في الطاعة، فكيف يعذب عبدين ثنّىٰ عليهما أنهما دائبان في طاعته. قاتل الله هذا الحبر وقبح حبريته ما أجرأه علىٰ الله وأعظم فريته علىٰ هذين العبدين المطيعين لله. ثم استرجع مراراً ..."[١].

ألا تستغرب أيها المسلم من هذا الأمر؟ يمنع الخليفة عمر كل أصحاب الرسول (ﷺ) من رواية الحديث النبوي في المساجد وعلىٰ المنابر علناً وعلىٰ رؤوس الأشهاد، ويمنع من تدوينه ويحرق ما دوّن منه أيضاً، ويعاقب من روىٰ شيئاً منه، ومع ذلك يجيز لكعب الأحبار اليهودي الذي لم يسلم في حياة الرسول (ﷺ) ولا في عهد أبي بكر وأسلم في خلافة عمر، وأستاذه أبي مسلم الجيلي وأمثالهما من أهل الكتاب كوهب بن منبه وعبد الله بن سلام وتميم الداري وغيرهم بالتحدث كيفما شاءوا في مساجد المسلمين وعلىٰ منابرهم علناً، ثم يتلقىٰ المسلمون أحاديثهم وينسبونها إلىٰ رسول الله (ﷺ) لتدخل أباطيلهم في الحديث النبوي دون ردع من الدولة بل بإذنها. فاسمع هذا الحديث من أبي هريرة الصحابي الذي أسلم في عهد النبي (ﷺ) ينقله ابن كثير[٢]، عن الحسن قال: حدثنا أبو هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: "إن الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة". فقال الحسن وما ذنبهما؟ فقال: أحدثك عن رسول الله وتقول ما ذنبهما!!

كان أبو هريرة من تلامذة الحبر كعب ولا شك أن ما نسبه إلىٰ النبي (ﷺ) في هذه الرواية هو في الواقع ما بثه كعب بين المسلمين والدليل أنه لم ينقل هذا الحديث عن النبي (ﷺ) أحد غير أبي هريرة، سوىٰ ما نقلوه عن درست بن زياد عن يزيد الرقاشي عن

(١) ـ تاريخ الطبري: ١/ ٤٥.

(٢) ـ تفسير ابن كثير: ٤/٤٧٥.

أنس يرفعه إلىٰ النبي (ﷺ). وذكر ابن الجوزي انه من الموضوعات. فهل يلام من يقول إن خلافة الإسلام كانت غطاء تسترت بها الفئة التي كادت الإسلام لتعيد أيامها جاهلية كما كانت. وهل يكذّب من يقول إن اليهود والنصارىٰ أُقحموا في المؤامرة عمداً ليعينوا المتآمرين في تدمير الإسلام...؟

١٢ ـ استثناء الغناء العربي من حرمة الغناء:

كانت قُريش في الجاهليّة تغني، ويغنىٰ لها بالنصْب وهو نصب الأعراب ولا تعرف غيره حتىٰ قدم النضر بن الحارث وافداً علىٰ كسرىٰ فمرّ بالحيرة فتعلم ضرب العود وغناء العباد فعلَّم أهل مكة[١]. وفيه نزل قول الله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾.

وجاء الإسلام فحرّم الغناء في شرعه مطلقاً وحرّم ضرب الطبول والدفوف والمعازف وعدّه من مصاديق صوت الشيطان ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ ومن لهو الحديث بقوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ ومن مصاديق اللغو في قوله تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ وقوله ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ ومن زور القول في قوله تعالىٰ: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾.

وفي الحديث: "ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحرير والخمر والمعازف"[٢] ونهىٰ عن الغناء والاستماع إلىٰ الغناء[٣]. ومما يدل علىٰ حرمة الغناء والموسيقىٰ في الإسلام مطلقاً سواءً كان بفاحشة أو غير فاحشة وسواء كان الضرب بالدف أو الطبل أو سائر الأدوات ما رواه ابن ماجة: أن عمرو بن مرّة جاء إلىٰ النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله إن الله قد كَتب عليَّ الشقوة فما أراني أرزق إلاّ من دفي بكفي، فأذن لي في الغناء في غير فاحشة. فقال رسول الله (ﷺ): لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة عين، كذبت أي عدو الله لقد رزقك الله طيباً حلالاً فاخترت ما حرّم الله عليك... الخبر" [٤] وفي روايات الشيعة كم هائل من الحديث المحرّم للغناء مطلقاً اخترت منها هذا الرواية اللطيفة عن علي (عليه السلام): حيث "سمع (عليه السلام) رجلاً يطرب [يضرب] بالطنبور، فمنعه وكسر طنبوره، ثم استتابه فتاب. ثم قال: أتعرف ما

(١) ـ المثالب لهشام الكلبي: ٤٨.
(٢) ـ السُنن الكبرى: ٢٢١/١٠.
(٣) ـ الجامع الصغير: ٦٩٣/٢.
(٤) ـ سُنن ابن ماجة: ٨٧١/٢.

يقول الطنبور حين يضرب؟ قال: وصي رسول الله (ﷺ) أعلم. فقال: إنه يقول[١]:

ستندم ستندم أيا صاحبي ستدخل جهنم أيا ضاربي

وقد أفردنا كراساً لما ورد في حرمة الغناء مطبوع بعنوان [الغناء بين الكتاب والسُنّة والفتوى] فمن شاء فليراجع. ولم نجد فيما تفحصنا إذنا بالغناء لأحد عربياً أو غيره.

لكننا نرىٰ أتباع الخلفاء استثنوا غناء قُريش [النصب] من حرمة الغناء وأباحوه، بل نقرأ في كتبهم اشتراك الخليفة عمر بن الخطاب في استماعه، فقد روىٰ ابن عبد البر عن خوات بن جبير قوله: خرجنا حجاجاً مع عمر بن الخطاب، فسرنا في ركب كان فيهم أبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف فقال القوم غننا من شعر ضرار، فقال عمر: دعوا أبا عبد الله فليغن من بنيات فؤاده يعني من شعره، قال: فما زلت أغنيهم حتىٰ كان السحر، فقال عمر: ارفع لسانك يا خوات فقد أسحرنا[٢].

ـ وفي غريب الحديث للحربي: كان عبد الله بن الأرقم الزهري من المجتهدين يرفع عقيرته يتغنىٰ غناء النصب[٣].

ـ وفي شرح النهج: عن أسلم مولىٰ عمر بن الخطاب قال: مرّ بي عمر وأنا وعاصم نغني غناء النصب، فوقف وقال: أعيدا عليّ، فأعدنا عليه[٤] والنصْب: بسكون الصاد شبيه الحداء إلا أنه أرق منه كما في أسد الغابة[٥].

ـ ونقرأ أيضاً: أن أبا مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري وكان شهد بدراً وهو علىٰ راحلته وهو أمير الجيش رافعاً عقيرته يتغنىٰ النصب. وينقلون عن عبد الله بن الزبير أنه كان متكئاً قال: تغنىٰ بلال، فقال له رجل: تغني؟ فأستوىٰ جالساً ثم قال: وأي رجل من المهاجرين لم أسمعه يتغنىٰ النصب؟

ولا يخفىٰ أن المهاجرين كانوا من أهل مكة وكانت مكة قبل الإسلام مدرسة لغناء النصب، فحق لأهل مكة أن يتذكروا تراثهم لكن العجب من الفقهاء والخلفاء الذين أحلوا الغناء بعد تحريمه استناداً إلىٰ روايات ادّعىٰ رواتها فعل بعض المهاجرين للغناء فأفتوا بموجبها وهي غير تامة الحجيّة وتركوا الآيات وما وردت من الروايات فيه وراء ظهورهم، وبالعكس حاولوا أن يقحموا النبي (ﷺ) في هذا الميدان وادّعوا أنه كان يحب الغناء

(١) ـ مستدرك الوسائل ١٣/باب ٧٩ ص ٢٢٠ الرواية ١٥١٧٩.
(٢) ـ الاستيعاب لابن عبد البر: ٢/٤٥٦.
(٣) ـ غريب الحديث: ٣/٩٩٧.
(٤) ـ شرح نهج البلاغة: ٦/٣٣٦.
(٥) ـ أسد الغابة لابن أثير: ٢/١٦٢.

ويحضر مجالس اللهو افتراءً علىٰ رسول الله (ﷺ) وإليكم نماذج من مفترياتهم:

ـ رووا عن عائشة قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعات أو بغاث، قالت وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر أمزمور الشيطان في بيت رسول الله (ﷺ) وذلك يوم عيد. فقال رسول الله (ﷺ) يا أبا بكر إنّ لكل قوم عيدا وهذا عيدنا[1].

ـ وروىٰ الغزالي[2] في إحياء علوم الدين: إن رسول الله (ﷺ) كان جالساً وعنده جوار يغنين ويلعبن فجاء عمر فاستأذن فأسكتهن رسول الله (ﷺ) حتىٰ قضىٰ حاجته وخرج ثم عدن للغناء، ثم رجع عمر فأسكتهن فسألنه عن هذا الذي كلما دخل قال (ﷺ) اسكتن وكلما خرج قال عدن إلىٰ الغناء؟ فقال (ﷺ) هذا رجل لا يؤثر سماع الباطل.

إن جميع المسلمين علىٰ يقين بأن تقوىٰ رسول الله (ﷺ) لا يوازيها تقوىٰ عمر بن الخطاب، وحاشا رسول الله أن يحب الباطل كما جاء في الرواية بينما يكرهه عمر، ولا يشك من له أدنىٰ درجة من العلم في كون هذه الروايات من المجعولات التي افتعلتها قُريش لتحليل حرامها وتشويه الإسلام، وقد استند فقهائهم علىٰ استماع الخليفة عمر للغناء، وما نقل عن غناء بعض الصحابة فأفتوا بحلية الغناء والنصْب علىٰ الخصوص إحياءً لتراث الجاهليّة.

ـ وقد بات الغناء في قصور ملوك بني أمية وبني العباس جزءً من مراسم الخلافة وفيما يلي نموذج من خلاعة يزيد بن عبد الملك فقد إستولىٰ علىٰ عقله جارية يقال لها حبابة وكانت تغنيه: غنت له يوماً قول الشاعر:

صفحنا عن بني ذهل   وقلنـــا القـــوم أخوان

قال لحبابة غنيني بحياتي، فقالت يا أمير المؤمنين: هذا شعر لا أعرف أحداً يغني به إلاّ الأحول المكي. فوجّه يزيد إلىٰ صاحب مكة: إذا أتاك كتابي هذا تبعث إلىٰ فلان ابن أبي لهب

---

(١) ـ صحيح البخاري: ٣/٢.

(٢) ـ «مُحَمّد الغَزّالِي الطُوسِيْ النَيْسَابُوْرِي الصُوْفِيْ الشَافِعِي الأشْعَرِيْ» (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ ـ ١١١١م). من أعلام القرن الخامس، اختُلف في أصله بين عربي وفارسي وفي محل دفنه بين طوس وبغداد. كان فقيهاً وأصولياً وفيلسوفاً، صوفيّ الطريقةِ، شافعيّ الفقهِ أشعري العقيدة، ومن مؤسسي المدرسة الأشعرية في علم الكلام، ولد وعاش في طوس ثم نيسابور ورحل إلىٰ بغداد مدرّساً في المدرسة النظامية. وبعد سنوات اعتزل الدرس واعتكف للزهد متأثراً بالصوفية وخرج من بغداد خفيةً في رحلة طويلة بلغت ١١ سنة، تنقل خلالها بين دمشق والقدس والخليل ومكة والمدينة.

ألف دينار لنفقة طريقه واحمله إليّ علىٰ ما شاء من دواب البريد... ففعل. فلما قدم عليه قال: غنّ بشعر الفند الزماني فغناه فأجاد وأحسن وأطرب، فقال أعد، فأعاد فأجاد وأطرب يزيد، فقال له عمن أخذت هذا الغناء؟ قال: أخذته من أبي وأخذه أبي عن أبيه. فقال يزيد: لو لم ترث إلاّ هذا الصوت لكان أبو لهب (رضي الله عنه) ورثكم خيراً كثيراً، فقال: يا أمير المؤمنين إن أبا لهب مات كافراً مؤذياً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: قد أعلم ما تقول ولكني داخلني عليه رقة إذ كان يجيد الغناء[١].

فإذا كان هذا خليفتهم فعلىٰ تابعيه السلام وما أكثرهم في زماننا من الذين يترضون لعبد الرحمن بن ملجم ويزيد بن معاوية والحجاج، ولا تثريب عليهم ما داموا يوالون من يترضىٰ علىٰ أبي لهب. فالكل من شجرة الجاهليّة التي أثمرت أبا لهب وأبا سفيان رأسي الشرك ومعدني الجاهليّة والباطل.

١٣ ـ بغض غير العرب من المسلمين وعدم تقبلهم في المجتمع:

بعد وصول السلطة إلىٰ بني أمية، الأسرة القرشية المطعونة في نسبها كشفت قُريش عن حقيقتها فتسارعت في تبديل دين الله رسمياً مع الاحتفاظ بالعنوان وبدأت بإحياء الجاهليّة في قوانينها بنداً بنداً، فأعادت مجالس الفجور وحانات الخمور وأعواد المطربين وتسليط الأقوياء وإماتة القضاء وتحكيم الأهواء ونبذ الكتاب وسفك الدماء بالباطل وتحقير العباد وأكل المال بغير حق وكل أخلاق الجاهليّة، وشرع العمل بالقوانين الجديدة من بلاط الخلفاء ليكون ذلك إذناً عاماً بإباحتها في المجتمع وإثبات ذلك لا يحتاج إلىٰ مزيد من البحث بعد فضح التأريخ لوقائع حكومة الخلافة واعتراف علماء البلاط بوقوع الفسق والفجور في مجالس الخلفاء وبيوتهم، وليس هذا هو المقصود هنا، وإنما المقصود هو ذكر خصلة جاهلية سنّها بنو أمية قصمت ظهر الإسلام إلىٰ يومنا هذا وهي إحياء الغرور القومي القاضي بأفضلية العرب علىٰ العالمين، وعلىٰ ضوء هذه السُنّة السيئة عاملت حكومة التمييز العنصري المسلمين غير العرب، وفي التاريخ شواهد كثيرة تدل علىٰ ما قلنا، فقد بالغ معاوية في اضطهاد الموالي وإذلالهم وقد رام إن يبيدهم إبادة شاملة[٢].

ثم أخذت الحكومات التي تلت من بعده تشيع فيهم الجور والحرمان بالرغم من اشتراكهم في الميادين العسكرية وغيرها من أعمال الدولة، ويشهد له ما قاله شاعر الموالي

---

(١) ـ شذرات الذهب: ١/ ١٢٨ـ١٢٩.

(٢) ـ العقد الفريد: ٢/ ٢٦٠.

شاكيا مما ألم بهم من الظلم:

أبلـغ أمية عنـي إن عرضت لهـا   وابن الزبير وابلـــغ ذلك العربــا
إن المـوالي أضحـت وهـي عاتبـة   علىٰ الخليفة تشكوا الجوع والحربا

ومن الشواهد ما ذكره المؤرخون أنه انبرىٰ أحد الخراسانيين إلىٰ عمر بن عبد العزيز يطالبه بالعدل فيهم قائلاً له: "يا أمير المؤمنين عشرون ألفاً من الموالي يغزون بلا عطاء، ولا رزق، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمّة يؤدون الخراج"[١]. وأدت هذه السياسة العنصرية إلىٰ إشاعة الأحقاد بين المسلمين واختلاف كلمتهم، كما أدت إلىٰ تجنيد الموالي لكل حركة تقوم ضد الحكم الأموي، وكانوا بالأخير هم الذين أطاحوا بالأمويين ومحوا معالمهم وآثارهم.

وسار زياد علىٰ سيرة سيده، فقد ذكر ابن عساكر أنه أرسل إلىٰ الأحنف بن قيس بليل وهو جالس علىٰ كرسي في صحن داره، فقال: يا أبا بحر ما أرسلت إليك في أمر تنازعني فيه مخلوجة، ولكني أرسلت إليك وأنا علىٰ صريمة ـ أي علىٰ أمر أنا قاطع عليه وواثق به ـ فكرهت أن يروعك أمر يحدث لا تعلمه، قال فما هو؟ قال هذه الحمراء قد كثرت بين أظهر المسلمين وكثر عددهم وخفت عدوتهم والمسلمون في ثغرهم وجهادهم عدوهم وقد خلفوهم في نسائهم وحرمهم فأردت أن أرسل إلىٰ كل من كان في عرافة من المقاتلة فيأتوا بسلاحهم ويأتيني كل عريف بمن في عرافته من عبد أو مولىٰ فاضرب رقابهم فنؤمن ناحيتهم. قال الأحنف: ففيم القول وأنت علىٰ صريمة؟ قال: لتقولن. قال فإن ذلك ليس لك، يمنعك من الجهاد في ذلك خصال ثلاث، أما الأولىٰ فحكم الله في كتابه عن الله وما قتل رسول الله (ﷺ) من الناس من قال لا اله إلاّ الله وشهد أن محمّداً رسول الله، بل حقن دمه. والثانية أنهم غلّة الناس لم يغز غاز فخلف لأهله ما يصلحهم إلاّ من غلاّتهم وليس لك أن تحرمهم. وأما الثالثة، فهم يقيمون أسواق المسلمين أفنجعل العرب يقيمون أسواقهم قصابين وقصّارين وحجامين؟ قال: فوثب عن كرسيه ولم يُعلمه أنه قبل منه، وانصرف الأحنف. قال [الأحنف]: فما بتّ ليلة أطول منها أتسمّع الأصوات. قال فلما نادىٰ أول المؤذنين قال لمولىٰ له: إئتِ المسجد فانظر هل حدث أمر. فرجع فقال: صلىٰ الأمير ودخل وانصرف ولم يحدث إلاّ خير. قال المعافي: قول زياد للأحنف "تنازعني فيه مخلوجة" أي تعترضني فيه عارضة متعرجة ليست علىٰ سمت ولا استقامة فتقطعني عن الاستمرار

---

(١) ـ الطبري: ١٣٤/٨ والكامل: ١٩/٥.

فتجذبني عن الانحراف من المحجة إلىٰ الشبهة المؤدية إلىٰ الحيرة[١].

ومن الشواهد علىٰ عنصريتهم ما ذكروه من أن عبد الملك بن مروان بلغه أن علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) قد تزوج من أمة، فكتب إليه يعيبه في ذلك قائلاً: أما فقد بلغني تزويجك مولاتك، وقد علمت أنه كان في أكفائك من قُريش من تمجد به في الصهر وتستنجبه من الولد، فلا لنفسك نظرت ولا علىٰ ولدك أبقيت والسلام. فكتب إليه علي بن الحسين (عليه السلام) برسالة يبين فيها مباني الإسلام قائلاً: أما بعد: فقد بلغني كتابك تعنفني بتزويجي مولاتي، وتزعم أنه كان في نساء قُريش من أمجد به في الصهر واستنجِبه في الولد، وأنه ليس فوق رسول الله (صلى الله عليه وآله) مُرتقىٰ في مجد ولا مستزاد في كرم، وإنما كانت ملك يميني خرجت مني بأمر أراده الله (عز وجل) التمست فيه ثوابه، ثم ارتجعتها علىٰ سنته، ومن كان زكياً في دينه فليس يخلّ به شيء من أمره وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة، وأتم به النقيصة، وأذهب اللوم، فلا لوم علىٰ امرئ مسلم، إنما اللؤم لوم الجاهليّة، وقد أعتق رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمته وتزوجها وعنده نساء من قُريش، وفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أسوة حَسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر»[٢].

ومن الأمثلة علىٰ إحيائهم الحمية الجاهليّة والعنصرية البغيضة أيضاً مواقف الحجاج بن يوسف الذي كان يقول علىٰ المنبر حسب رواية عاصم: "وعذيري من هذه الحمراء يزعم أحدهم أنه يرمي بالحجر فيقول: إلىٰ أن يقع الحجر قد حدث أمر، فوالله لأدعهم كالأمس الغابر، قال: فذكرته للأعمش، فقال: أنا والله سمعته منه. ومراده بقوله لأدعنَّهم كالأمس الغابر أي لأتركنهم كاليوم الماضي معدومين هالكين. وعن الأعمش قال: سمعت الحجاج يقول علىٰ المنبر: هذه الحمراء هبر هبر، أما والله لقد قرعت عصاً بعصاً، لأذرنَّهم كالأمس الذاهب يعني الموالي. والهبر: الضرب والقطع، أي هؤلاء المسلمون غير العرب يستحقون القطع والضرب لو أريد قتلهم وهلاكهم لأتركنهم وأجعلنهم معدومين[٣].

وما زال العروبيون يتبعون خط الأسلاف في سياساتهم، فهم رغم دعوتهم لوحدة المسلمين والعرب تحت لوائهم إلاّ أن المشاهَد من سيرة الكثير منهم تذمّرهم الشديد من

---

(١) ـ تاريخ دمشق، ابن عساكر: ٢٤/٣٢٠.
(٢) ـ النظام السياسي في الإسلام، باقر القرشي: ٢٠٦ ومستدرك الوسائل/النوري: ١٤/١٨٧.
(٣) ـ سُنن أبي داود: ٢/٤٠٠، تاريخ دمشق: ١٢/ ١٦٢، البداية والنهاية: ٩/١٤٨ ١٤٩.

المسلمين غير العرب بل معاملتهم معاملة سلفهم معاوية وزياد، كما أنها بذرت روح الفرقة بين العرب ـ أيضاً وألّبت طائفة علىٰ طائفة؛

إن ما يجري اليوم في العراق من قتل وسفك للدم بسيف مجاهدي العروبة خير شاهد، فمن لم ينضو من العرب تحت راية شركهم وجهلهم تبرأوا منه وأخرجوه من ربقة العرب واتهموه بالصفوية تارة وبالشعوبية أخرىٰ وحكم عليه بالتكفير ووجوب القتل، كل ذلك خوفاً علىٰ كراسيهم المهزوزة من وحدة كلمة الناس وإبعاد الشعب عما يدور وراء الكواليس بينهم وبين أسيادهم اليهود تماماً كما فعل معاوية

يقول المؤرخون أن معاوية عمد إلىٰ إثارة الأحقاد القديمة بين الأوس والخزرج محاولاً بذلك التقليل من أهميتهم وإسقاط مكانتهم كما تعصب لليمانيين علىٰ المصريين وأشعل نار الفتنة فيما بينهم حتىٰ لا تتحد لهم كلمة تضر بمصالح الدولة، وكما فعل عماله كالحجاج وزياد بن أبيه مما أدّىٰ إلىٰ انتشار الضغائن بين المسلمين. وكان معاوية بن أبي سفيان جعل الشرف في العطاء ألفي درهم.

١٤ ـ محاولة إحياء نظام العبودية:

بعد تسلّم العائلة الأموية قيادة حكومة قُريش الجاهليّة بدأ مؤشر سرعة التقهقر التكتيكي نحو الجاهليّة بالارتفاع، ولم يبق خط أحمر يعيق الطغيان العروبي بعد إخضاع المسلمين لقانون وجوب إطاعة السلطان برّاً أو فاجراً، فالدين هو ما عليه الخليفة لا ما أراده الكتاب والسُنّة، ولهذا باتت أحكام الإسلام الجاهلي البديل الرسمي لما كان يعرف بالإسلام المحمّدي، ومن تلك الأحكام التي أرادوا إحياءها العبودية القرشية، وأبرز شاهد علىٰ محاولتهم تلك ما وقع في عهد أمير الفاسقين يزيد، فقد نقل المؤرخون خبر هجوم مسرف بن عقبة[1] علىٰ مدينة رسول الله (ﷺ) وقالوا: لمّا قتل أهل الحرّة وظفر بالمدينة

---

(١) ـ «**مسلم بن عقبة**»؛ أمير جيش يزيد بن معاوية في وقعة الحرة؛ صحابي حسب التصنيف السنّي! تجاوز التسعين؛ أباح المدينة المنورة لجُنده ثلاثة أيام فدخل جنده المدينة قتلوا ونهبوا الأموال وسبوا الذرية واستباحوا الفروج، ووقعوا علىٰ نساء وبنات الصحابة والتابعين وحملت في تلك الأيام ألف امرأة زوج! وثمانمائة حرة وولدن! كان يقال للمولودين **أولادُ الحرة**! وافتض فيها ألف عذراء وبلغ القتلىٰ من وجوه الناس ١٧٠٠ من الأنصار و١٣٠٠ من قريش! قُتل من الموالي ٣٥٠٠ رجل! ومن النساء والصبيان والعبيد عشرة آلاف!! وكان يعطي في قتل الرجل أربعين ديناراً! وأخذ "**مسرف بن عقبة**" علىٰ

أخذ الناس بالبيعة ليزيد بن معاوية علىٰ أنهم عبيد قن ليزيد[١]؛

ـ قال الذهبي: قتل يوم الحرّة من حملة القرآن سبعمائة.

ـ وقال الحلبي في سيرته: وجالت الخيل في مسجد الرسول وراثت بين القبر الشريف والمنبر واختفت أهل المدينة حتىٰ دخلت الكلاب للمسجد وبالت علىٰ منبره ولم يرض أمير ذلك الجيش من أهل المدينة إلاّ بأن يبايعوا ليزيد علىٰ أنهم خول أي عبيد له إن شاء باع أو شاء أعتق، حتىٰ قال له بعض أهل المدينة البيعة علىٰ كتاب الله وسنة نبيه فضرب عنقه[٢].

هذه هي الجاهليّة وتلك هي السيوف العربية التي زعموا زوراً أن الرسول (ﷺ) قال فيها: "أن بها يعز الله دينكم" حصدت خلال ثلاثة أيام في مدينة الرسول أكثر من اثني عشر ألفاً من بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين وعامة الناس[٣].

ويزول العجب لو علمنا أن الجاهليّة قد انتصرت علىٰ الإسلام في صدره الأول وأن المتقنع بثوب الخلافة الإسلامية أيام هذه الأحداث الدامية كان ابن الجاهليّة والشرك الذي تمثل للمرة الثانية بأبيات ابن الزبعرى. تلك الأبيات التي افتخر بها المشركون بانتصارهم علىٰ النبي (ﷺ) في أحد وأنهم اخذوا منه ثأر بدر. لقد تمثل خليفة المسلمين يزيد بن معاوية بهذه الأبيات مرتين: مرّة عندما قدّموا له رأس الحسين[٤] بن علي (عليه السلام)، وهذه

أهل المدينة البيعة ليزيد علىٰ أنهم عبيده إن شاء عتق وإن شاء قتل فبايعوا علىٰ انهم خول ليزيد يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم بما شاء وانهم اعبد له من قن في طاعة الله ومعصيته! ومن تلكأ أمر بضرب عنقه؛ قتل بعض الصحابة والتابعين صبراً!

(١) ـ تاريخ دمشق: ٤٥/ ١٨٢ وأخبار الدولة العباسية: ١٣٦ والمنمق لمحمّد حبيب البغدادي: ٣١٦ وتاريخ الإسلام /الذهبي: ٥/ ٣٠ والسيرة الحلبية: ١/ ٢٦٨ وغيرها.

(٢) ـ السيرة الحلبية: ١/٢٦٨.

(٣) ـ فيض القدير /المناوي: ١/ ٥٨.

(٤) ـ «**الحُسين بن علي بن أبي طالب**» (عليه السلام)؛ **أمه**: فاطمة الزهراء (عليها السلام)؛ سبط النَبيّ الأمين ﷺ وثاني أبناء علي وفاطمة الزهراء (عليهما السلام) وثالث ائمة أهل البيت (عليهم السلام) وأحد "أصحاب الكساء الخمسة" ولد في المدينة المنورة ٣ أو ٥ شعبان سَنة ٤ هـ؛ تولىٰ الإمامة والخلافة بعد أخيه الإمام الحسن المجتبىٰ (عليه السلام)؛ شملته آيات: التطهير والإطعام والمودة والمباهلة وذي القربىٰ وخير البرية؛ وما ورد في حقّه عن النَبيّ ﷺ "ابناي هذان ـ الحسن والحسين ـ إمامان قاما أو قعدا"، "انهما سيدا شباب أهل الجنة"؛ أسماه النبي ﷺ حسيناً بعد ولادته، وقال: "حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْه، أَحَبَّ الله مَنْ أَحَبَّ حُسَيْناً" ـ الطبقات الكبرى، ج١٠، ص٣٨٥. وأخبر أنه سوف يُقتل علىٰ يد جمعٍ من أمته. بقي ملتزماً بالصلح بعد استشهاد الحسن

المرّة عندما وصله خبر استباحة جيشه مدينة الرسول (ﷺ) والأشعار هي:

ليتَ أشياخي ببدر شهــــدوا	جزعَ الخزرجِ من وقعِ الأسل
لأَ هلّوا واسَتهَلّـــــــوا فَرحاً	ثم قـالوا يا يزيــد لا تشــل
قد قتلنا القِــرْمَ من ساداتِهم	وعَدلنـــاهُ ببَـــدرٍ فَاعتـــدل
لَعبتْ هاشِـــــم بالمُلك فلا	خَبَرٌ جـاء ولا وحـــــي نزل

وهل من دليل أوضح من هذا علىٰ إثبات حقيقة عودة الجاهليّة إلىٰ المجتمع العربي تحت اسم الإسلام واستخدام سيف الإسلام، وهل من منكر لحكومتها باسم الخلافة قرونا متطاولة، حتىٰ إذا فقدت الخلافة وإسلامها المزيف رونقها دخل رهبانها صومعة الدجل ليصهروا دينهم وفقاً لمتطلبات الزمن في قالب فكري جديد باسم العروبة بهدف الإبقاء علىٰ تراث السلف أصولاً وفروعاً.

١٥ ـ تسنين قانون ضريبة العشور والگمارك:

وهي من سُنن الطواغيت، قال الطبري في تاريخه[١]: إن الضحاك أول من وضع العشور، وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالىٰ ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾ انهم كانوا يأخذون العشور من أموال المارة[٢]، وقال ابن منظور في شرح قوله (ﷺ): "إن لقيتم العشار فاقتلوه" أي إن وجدتم من يأخذ العشر علىٰ ما كان يأخذه أهل الجاهليّة[٣].

جاء الإسلام فوضع حداً لهذا الابتزاز، فقال (ﷺ): "ليس علىٰ المسلمين عشور إنما العشور علىٰ اليهود والنصارىٰ" فكانت تؤخذ من تجار أهل الذمة وأهل الحرب عندما يجتازون بها حدود الدولة الإسلامية. وقوله (ﷺ): إن صاحب المكس في النار[٤]، إلاّ أن الخلافة القرشية عادت وأحيت هذه السُنّة الميتة كما ابتدعت الگمارك والمكوس، ذكر ابن سعد في ترجمة زياد بن أبي زياد أنه كان كاتباً لعمر بن الخطاب علىٰ العشور، وكان يقول أنا أول من عشر في الإسلام[٥].

ثم بدأت حكومة الخلافة بالتوسع في مواردها حتىٰ شملت مهور النساء وميراث

(عليه السلام)، ودعا الشيعة إلىٰ الصبر والتريّث لحين موت معاوية. استشهد في «واقعة الطف» «بكربلاء» يوم عاشوراء ١٠ محرم سنّة ٦١ هـ. واحتُز رأسه الشريف ورؤوس جميع إخوته وأقربائه وأصحابه وطيف بها مع السبايا من أهلِه وعيالِه من آل بيت محمد ﷺ من كربلاء إلىٰ الكوفة ومنها إلىٰ دمشق.

(١) ـ تاريخ الطبري: ١/١٣٥.

(٢) ـ البداية والنهاية: ١/٢١٤.

(٣) ـ لسان العرب: ٤/٥٧٠.

(٤) ـ مسند أحمد: ٤/١٠٩.

(٥) ـ الطبقات الكبرى: ٦/١٣٠.

الموتى، فقد ذكر المؤرخون أن الوليد بن يزيد الخليفة ولّي عشور المدينة وسوقها ابن حرملة وهو مولىٰ عثمان بن عفان، فكان إذا تزوج رجل امرأة أخذ ضريبة من مهرها، وإن مات أحد أخذ الضريبة من ميراثه، فقالوا فيه[١]:

ولما وليتَ السوق أحدثتَ سُنة ... وحيدية يعتادُها كل ظالمِ

وشاركتَ نِسوانا لنا في مهورها ... ومَن ماتَ منّا مِن غني وعادمِ

وقد استقرت السيرة في بلاد المسلمين علىٰ أخذ العشور والگمارك خلافاً للشرع الإسلامي وإحياءً للسنة الجاهليّة.

١٦ ـ إباحة الخمور ومجالس اللهو:

كانت مجالس الخمور واللهو من مزايا المجتمع الجاهلي جاء الإسلام فحرّمها، ولما تقلّدت قُريش الحكومة باسم الإسلام شرعت في إحياء السُنن الجاهليّة سَنة بعد سَنة ومن جملتها تحليل المسكرات، وأول من حلل النبيذ فشربه وروج له هو الخليفة عمر بن الخطاب، فقد عرف عمر بمعاقرته للخمر قبل الإسلام، فعن عبد الله بن عمر عن عمر أيام خلافته قال: إني كنت أشرب الناس لها في الجاهليّة[٢]، وإنها ليست كالزنا[٣] وبعد إسلامه أبدل الخمرة بالنبيذ الشديد، ويعتذر بقوله: "إنا نشرب هذا الشراب الشديد لنقطع به لحوم الإبل في بطوننا أن تؤذينا، فمن رابه من شرابه شيء فليمزجه بالماء" وشرب النبيذ حتىٰ آخر حياته.

- قال عمر بن ميمون: شهدت عمر حين طعن أتي بنبيذ شديد فشربه[٤]، كان يشرب وهو يعلم بتحريمها، حتىٰ أنه حدّ شاربها الذي شرب من نبيذه هو، قال الشعبي: شرب أعرابي أداوة عمر فأغشي عليه، فحده عمر، ثم قال إنما حده للسكر لا للشرب. وهذا يعني أن عمر يبيح المحرمات لنفسه دون غيره.
- وأخرج الجصاص أن أعرابياً شرب من شراب عمر فجلده عمر الحد، فقال الأعرابي إنما شربت من شرابك، فدعا عمر شرابه فكسره بالماء ثم شرب منه ثم قال من رابه من شرابه شيء فليكسره بالماء[٥]. ومن المعلوم أن المسكر حرام في الإسلام خمراً كان أو نبيذاً، فعن أبي حنيفة بسنده عن رسول الله (ﷺ) قال: "حرّمت الخمرة لعينها القليل

(١) ـ البدء والتاريخ: ٦/٤٩.
(٢) ـ سُنن البيهقي الكبرى: ١٠/٢١٤.
(٣) ـ أخرج ذلك ابن الجوزي في سيرة عمر: ص ٩٨ وكنز العمال: ٣/١٠٧.
(٤) ـ العقد الفريد: ٣/٤١٦.
(٥) ـ أحكام القرآن: ٤/٥٦٥.

والكثير منها والمسكر من كل شرب" وقال (ﷺ): "إن القوم سيفتنون بعدي بأموالهم ويمنّون بدينهم علىٰ ربهم، ويتمنون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الساحبة فيستحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع"[١]، وجاء عن أم المؤمنين عائشة: "ستشرب أمتي من بعدي الخمر يسمونها بغير اسمها يكون عونهم علىٰ شربها أمراؤهم"[٢]

ـ وقد كتب عمر إلىٰ عماله أن يزقوا الناس الطلاء ما ذهب ثلثه[٣]، وأنه أتي لعمر بطلاء ذهب ثلثه فأدخل عمر فيه إصبعه ثم رفع يده فتبعها يخطط، فقال هذا الطلاء، هذا مثل طلاء الأيل فأمرهم عمر أن يشربوه، فقال له عبادة بن الصامت أحللتها والله، فقال عمر كلا والله اللهم إني لا أحل لهم شيئاً حرمته عليهم ولا أحرم عليهم شيئاً احللته لهم.

ـ وفي خلافة أمية بات المجال واسعاً بعد إخضاعها البلاد والعباد لإحياء كل سُنن أجدادهم ومنها رواج صنع الخمور وبيعها علناً في الأسواق وكان الخليفة أول من يؤم الفاسقين في هذه المجالات، فما من خليفة من خلفاء قُريش إلاّ وكان بلاطه نادياً كبيراً للخمر والخمارين وفيما يلي الشواهد علىٰ ذلك؛

ـ فأول خليفة شرب الخمر علناً كان معاوية بن أبي سفيان، ذكر أحمد بن حنبل عن عبد الله بن بريدة قال دخلت أنا وأبي علىٰ معاوية فأكلنا ثم أتينا بشراب فشرب معاوية ثم ناول أبي ثم قال: ما شربته منذ حرمه الرسول (ﷺ) [٤] قال الهيثمي في المجمع بعد ذكر الرواية رجاله الصحيح وفي كلام معاوية شيء تركته"[٥]. والذي تركه هو قوله: "ما شربته منذ حرمه رسول الله (ﷺ)". الذي هو اعترافه بشرب الخمر المحرم.

ـ وقبل خلافته؛ كان أميراً علىٰ الشام من قبل عمر وعثمان، يتاجر ببيع الخمور وتصدير خمور الشام، قال ابن عساكر وهو يتجنب التصريح باسم معاوية ويعبر عنه بفلان قال: "إن عبادة بن الصامت مرت عليه قطارة وهو بالشام تحمل الخمر، فقال: ما هذه، أزيت؟ قيل، لا بل خمر تباع لفلان، فأخذ شفرة من السوق فقام إليها فلم يذر فيها رواية إلاّ بقرها، وأبو هريرة إذ ذاك بالشام. فأرسل فلان إلىٰ أبي هريرة فقال: ألا تمسك عنا أخاك عبادة بن الصامت أما بالغدوات فيغدو إلىٰ السوق فيفسد علىٰ أهل

(١) ـ كنز العمال: ١٩٥/١٦ شرح النهج: ٢٠٦/٩
(٢) ـ الإصابة: ٥٤٦/٣.
(٣) ـ الموطأ: ٢/ ١٨٠ في جامع تحريم الخمر.
(٤) ـ مسند أحمد: ٣٤٧/٥.
(٥) ـ مجمع الزوائد: ٤٢/٥.

الذمة متاجرهم وأما بالعشي فيقعد في المسجد ليس له عمل إلاّ شتم أعراضنا وعيبنا فأمسك عنا أخاك. فأقبل أبو هريرة يمشي حتىٰ دخل علىٰ عبادة، فقال يا عبادة: مالك ولمعاوية، ذره وما حمل، فإن الله يقول: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾. قال يا أبا هريرة لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله (ﷺ)، بايعنا علىٰ السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلىٰ النفقة في العسر واليسر وعلىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن نقول في الله لا تأخذنا في الله لومة لائم، وعلىٰ أن ننصره إذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأهلنا ولنا الجنة، ومن وفى، وفىٰ الله له بالجنة مما بايع عليه رسول الله (ﷺ) ومن نكث فإنما ينكث علىٰ نفسه، فلم يكلمه أبو هريرة بشيء، فكتب فلان إلىٰ عثمان بالمدينة: أن عبادة بن الصامت قد أفسد عليّ الشام وأهله فإما أن يكفّ عبادة وإما أن أخلي بينه وبين الشام. فكتب عثمان إلىٰ فلان أن أرحله إلىٰ داره من المدينة، فبعث به فلان حتىٰ قدم إلىٰ المدينة فدخل علىٰ عثمان الدار وليس فيها إلاّ رجل من السابقين بعينه ومن التابعين الذين أدركوا القوم متوافرين فلم يفج عثمان به إلا وهو قاعد في جانب الدار فالتفت إليه فقال: ما لنا ولك يا عبادة؟ فقام عبادة قائماً وانتصب لهم في الدار فقال: إني سمعت رسول الله (ﷺ) أبا القاسم يقول: سَيلي أموركم بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكُم ما تعرفون فلا طاعة لمن عصىٰ فلا تعتلّوا بربكم فوالذي نفس عبادة بيده أن فلان لمن أولئك فما رجع عثمان بحرف" [١].

ـ وأكمل نموذج في هذا المضمار من بين الخلفاء الملقبين بإمرة المؤمنين هو الوليد بن عبد الملك بن مروان أبو يزيد الناقص، فقد ذكر صاحب تاريخ الخميس وغيره أنه: "أذن للصبح مرّة وعنده جارية يشرب الخمر معها... وحلف أنْ لا يصلي بالناس غيرها فخرجت وهي سكرانة فلبست ثيابه وتنكرت وصلت بالناس" وقد لامه بعض الأعيان علىٰ ذلك فخرج هو وصلىٰ بهم صلاة الصبح ست عشرة ركعة"[٢] وذكر السيد المرتضىٰ في أماليه: "أنه عزم علىٰ أن يبني فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمور ويشرف علىٰ الطواف" [٣]. وذكر السيد أيضاً: أن يزيد بن الوليد لما ولي قال: نشدت الله رجلاً سمع شيئاً من الوليد إلا أخبر به، فقام ثور بن يزيد فقال: اشهد لسمعته وهو يقول:

(١) ـ تاريخ دمشق: ١٩٧/٢٦.
(٢) ـ تاريخ الخميس: ٣٥٧/٢.
(٣) ـ أمالي المرتضى: ١/ ٨٩.

أسقياني وابن حـــرب واسترانا بـــإزار | واتركا من طلب الجنة يسعىٰ في خسار
سأسوس الناس حتىٰ يركبوا دين حمار

ـ قال الجاحظ: "كان يزيد لا يمسي إلاّ سكراناً، ولا يصبح إلاّ خموراً، وكان عبد الملك بن مروان يسكر في كل شهر مرّة حتىٰ لا يعقل في السماء هو أو الدماء، وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوماً ويدع يوماً، وكان سليمان بن عبد الملك يشرب في كل ثلاث ليال ليلة، وكان هشام يشرب في كل جمعة، وكان يزيد بن الوليد والوليد بن يزيد يدمنان اللهو والشراب، فأما يزيد بن الوليد فكان دهره بين حالتي سكر وخمار، ولا يوجد أبداً إلاّ ومعه إحدىٰ هاتين، وكان مروان بن محمّد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت(١).

والنموذج العباسي لا يختلف في أصول دينه عن سلفه الأموي فقد ذكر السيوطي(٢): إن الخليفة محمّد المهدي ابن المنصور كان صاحب جوار وغناء وشرب وله:

ربّ تمم لي نعيمي بأبي حفص نديمي | إنما لـذة عيـــشي في غناء وكـــروم
وجـوار عطـــرات وسـماع ونعيـم

وذكر المسعودي انه: كان في صيد فجاع فدخل خباء أعرابي فقال: يا أعرابي هل عندك قرىٰ فإني ضيفك؟ قال: أراك طريراً عميماً فإن احتملت الموجود قرّبنا لك ما يحضرنا. قال: هات ما عندك فأخرج له خبز ملّة فأكلها فقال طيب، هات ما عندك، فأخرج إليه لبناً في كرش، فسقاه فشرب وقال: طيب، هات ما عندك، فأخرج له فضلة نبيذ في ركوة، فشرب الأعرابي واحدً وسقاه، فلما شرب قال المهدي: أتدري من أنا؟ قال: لا والله. قال: أنا من خدم الخاصة. قال: بارك الله في موضعك وحياك من كنت. ثم شرب الأعرابي وسقاه، فلما شرب قال له يا أعرابي أتدري من أنا؟ قال: نعم. ذكرت إنك من خدم الخاصة. قال لست كذلك. أنا أحد قواد المهدي. قال: رحبت دارك وطاب مزارك. ثم شرب الأعرابي قدحاً وسقاه. فلما شرب الثالث، قال: يا أعرابي أتدري من أنا؟ قال: نعم، زعمت أنك أحد قواد المهدي. قال: قلت كذلك، قال: فمن أنت؟ قال: أنا أمير المؤمنين. فأخذ الأعرابي ركوته فوكأها، فقال المهدي: أسقنا قال: لا والله لا تشرب منها جرعة فوقها. قال: ولِمَ؟ قال: سقيتك قدحاً فزعمت أنك من خدم الخاصة، فاحتملناها لك، ثم سقيناك آخر، فزعمت أنك أحد قواد المهدي فاحتملناها لك. ثم سقيناك الثالث فزعمت أنك أمير المؤمنين، ولا

(١) ـ التاج في أخلاق الملوك /الجاحظ: ١٥١.
(٢) ـ تاريخ الخلفاء: ٢٧٦.

والله ما آمن أن نسقيك الرابع فتقول إنك رسول الله، فضحك المهدي"[١].

تلك هي سُنّة الخلافة المزيفة التي أرست دعائمها قُريش لتعيد جاهليتها الأولىٰ حيث غلَّفت طواغيتها في ثوب الخلافة الإسلامية لتصيب ثلاثة أهداف برمية واحدة:

ـ **الأول:** الهيمنة علىٰ المسلمين وإخضاعهم لسلطتها باسم الدين وتحت شعار وجوب متابعة خليفة المسلمين.

ـ **الثاني:** تشويه صورة الإسلام المحمّدي الذي حرم الخمر والميسر وكل آثام الجاهليّة وتضعيفها وتضييع أحكامها.

ـ **الثالث:** نتيجة الهدفين السابقين وهي إيجاد الأرضية المناسبة لسوق الجماهير المغلوبة علىٰ أمرها بيسر نحو هاوية الحضارة الجاهليّة وهو الذي أوجب علىٰ كل من تسلم مقام الخلافة تولي ارتكاب الإثم علانية ليسهل علىٰ الأمة متابعة سننهم السيئة.

١٧ ـ سوق المجتمع الإسلامي نحو فحشاء الجاهليّة:

توجب الحكمة قبل الدين علىٰ قائد الأمة التقيّد بالمبدأ الذي آمن به ورفع شعاره وعلىٰ هذا كان المؤمل من خلفاء المسلمين أن يكونوا القدوة الحسنة للناس في امتثالهم لأحكام دينهم الذي علىٰ أساسه انتخبوا قادة وحفظة للمبادئ لكي يهتدي الناس بهديهم إلىٰ سامي أخلاق الإسلام. لكننا نجد الأمر بعكس ذلك في سيرة خلفاء قُريش وقد قدمنا مجموعة من قبائح السُنن التي امتهنها الخلفاء، تلك السُنن التي تذكرنا بالجاهليّة الأولىٰ وهي التي دعتنا إلىٰ القول بالضرس القاطع بعد إسهام القادة في تولي كبرها بوقوع مؤامرة كبرىٰ علىٰ الإسلام. فبعد أن ذكرنا شربهم للخمر وأكلِهم السحت وفعلهم للغناء وسفكهم للدماء عدوانا واستعبادهم الخلق وظلمهم الناس جهارة وتضييعهم الكتاب والسُنّة وإحيائهم تراث اليهود والنصارى، نذكر هنا سُنّة جاهلية أخرىٰ حاربها الدين وحرمها أشد التحريم وهي الفحشاء والزنى. إلاّ أن الجاهليّة أبت إلاّ ترويجها، وكان للحكومة ورجالاتها قدم السبق في ذلك، ويكفي في إثبات ذلك ما ذكره المؤرخون من الأعداد المهولة من الجواري والراقصات في بلاط خلفائهم وانهماكهم في الشهوات.

كانت القلوب المريضة مع تظاهر أصحابها بالإسلام تتوق لما تعودت عليها من قبل ولضعف الرادع بات أصحابها لا يتورعون عن ارتكاب الإثم علنا منذ الصدر الأول وما

(١) ـ مروج الذهب: ٣ /٢٤٣.

قضية خالد بن الوليد عنا ببعيد، فقد اجمع المؤرخون علىٰ أن هذا القائد الإسلامي قتل إمرءاً مُسلماً وزنىٰ بامرأته، وكان هذا بُعَيد وفاة الرسول (ﷺ) بأيام، فما عسانا ننتظر في زمن همش فيه الإسلام وتفرعنت الجاهليّة؟ لقد غزىٰ القائد الأموي مسلم بن عقبة مدينة رسول الله (ﷺ) باسم الإسلام وتحت لوائه حسب زعمهم وبأمر من خليفة قرشي فانظر ماذا كتب علماء الإسلام ومؤرخيهم عن بطولات هذا القائد وجيشه:

ـ قال الذهبي وابن عساكر: "افتض منها ألف عذراء" [١]؛

ـ قال ابن كثير وابن خلكان: "وحبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج" [٢]؛

ـ قال السيوطي: "ألف بكر من بنات المهاجرين والأنصار" [٣].

ترىٰ هل وقع ذلك بسبب رغبة قُريش في الانتقام من الإسلام وممن بقي متمسكاً به، أو أنه قانون الجاهليّة الجديد القاضي بإحياء دين الاغتصاب والزنا وإشاعة الفاحشة في المجتمع وكان لابد من تطبيقه رسمياً من قبل قائد[٤] يرفع لواء الإسلام وبأمر من خليفة المسلمين يزيد بن معاوية؟

لا شكّ أن يزيد قد اتبع سُنّة في أعماله وتصرفاته لم تكن سُنّة الرسول قطعاً، ولم يكن مبتدعاً لها ومن اليقين أن سيرته تلك لم تكن من وحي الإسلام، وإنما سُنّة أبيه تاجر الخمور وجده أبي سفيان قائد الشرك في الجاهليّة فلقد كان أبوه اول من عمد في إشاعة الدعارة والمجون في الحرمين للقضاء علىٰ قدسيتهما، قال العلائلي: وشجع الأمويون حياة المجون في مكة والمدينة إلىٰ حد الإباحة، فقد استأجر طوائف من الشعراء والمخنثين من

---

(١) ـ سير أعلام النبلاء: ٣/٣٢٣ وتاريخ دمشق: ٥٨/١٠٨.

(٢) ـ ابن كثير: ٨/٢٢١ وفيات الأعيان: ٦/٢٧٦

(٣) ـ تاريخ الخلفاء /السيوطي: ١٩٥.

(٤) ـ **مسلم بن عقبة**؛ أمير جيش يزيد بن معاوية في وقعة الحرة؛ صحابي حسب التصنيف السنّي! تجاوز التسعين؛ أباح المدينة المنورة ثلاثة أيام فدخل جنده المدينة قتلوا ونهبوا الأموال وسبوا الذرية واستباحوا الفروج، ووقعوا علىٰ نساء وبنات الصحابة والتابعين وحملت في تلك الأيام ألف امرأة من غير زوج! وثمانمائة حرة وولدن! كان يقال للمولودين **أولادُ الحَرَّة**! وافتض فيها ألف عذراء وبلغ القتلىٰ من وجوه الناس ٧٠٠ وقيل ١٧٠٠ من الأنصار و١٣٠٠ من قريش! قُتل من الموالي وحدهم ٣٥٠٠ رجل! ومن النساء والصبيان والعبيد عشرة آلاف!! وكان يعطي في قتل الرجل أربعين ديناراً! وأخذ "**مسرف بن عقبة**" علىٰ أهل المدينة البيعة ليزيد علىٰ أنهم عبيده إن شاء عتق وإن شاء قتل فبايعوا علىٰ انهم خول ليزيد يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم بما شاء وانهم اعبد له من قن في طاعة الله ومعصيته! ومن تلكأ أمر بضرب عنقه؛ وقتل بعض الصحابة والتابعين صبراً!

بينهم عمر بن أبي ربيعة لأجل أن يمسحوا عاصمتي مكة والمدينة بمسحة لا تليق ولا تجعلهما صالحين للزعامة الدينية[(١)].

لقد كان معاوية خليعاً مسلوب الحياء، يقول مولاه خديج: إشترىٰ معاوية جارية بيضاء جميلة فأدخلتها عليه مجردة وبيده قضيب، فجعل يهوىٰ إلىٰ متاعها ـ يعني فرجها ـ ويقول هذا المتاع لو كان لي متاع، أذهب بها إلىٰ يزيد..."[(٢)]. وقصره مليء بالجواري المتبرجات. فقد كان المنهج مرسوماً من قَبْل، والمؤامرة مبيتة من صنمهم الأكبر والمخطِط لأساس التغيير أبي سفيان الذي كشف عن حقيقة مبدأ الانقلابيين الجدد في محضر عثمان بقوله له: "بأبي أنت، أنفق ولا تكن كأبي حجر، وتداولوها يا بني أمية تداول الولدان الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة"[(٣)]

وما زالت سُنّة الجاهليّة سارية في بلاد المسلمين وبين أهل الإسلام المتابعين لإسلام أبي سفيان، وها يَسمع الجميع اتهامهم القائل بشرعية زواج المتعة بأنهم أولاد زنا في حين ملأت فواحشهم ودور الدعارة في بلدانهم تحت ظل حكوماتهم وتسفرهم العلني أركان البلاد الإسلامية، ففساد الجاهليّة هي الحلال وحلال محمّد هو الحرام والإسلام هو ما عليه أنصار الجاهلية أما غيرهم فهم كفار مشركون يجب تكفيرهم وقتلهم.

١٨ ـ ترك القنوت لتذكير قنوت السُنّة بالدعاء علىٰ المشركين والمنافقين:

الثابت في سيرة النبي (ﷺ) أنه كان يقنت في صلاته، أي يرفع يديه أثناء الصلاة ويدعو الله تعالىٰ. وقد يدعوا علىٰ أعداء الله ورسوله من المشركين والمنافقين، وقد يلعنهم في قنوته ويسميهم بأسمائهم...! وكان ذلك ثقيلاً عليهم، خاصة علىٰ رؤساء قُريش. لهذا سعىٰ القوم في إيجاد حلّ لمشكلة الملعونين بعد وفاة الرسول (ﷺ) فإن بقاء القنوت يحافظ لا محالة علىٰ جانب من تاريخ زعماء قُريش لذا عقدوا العزم علىٰ تضييع القنوت ليضيع معه قنوت السُنّة المذكّر بلعن أقطاب من السلف، بسوق الوارد علىٰ الاحتمال وتوجيهه ومن ثم إثبات سنتهم. فمن أساليبهم في علاج هذا المشكل:

ـ تخطئة النبي (ﷺ) فيما فعل: بوضع أحاديث تفيد بأن النبي (ﷺ) قد اعترف بخطئه في

(١) ـ حياة الإمام الحسين /القرشي: ١٤٧/٢.

(٢) ـ البداية والنهاية: ١٤٩/٨ وتاريخ دمشق: ٢٣٨/١٢.

(٣) ـ شرح نهج البلاغة: ٤٥/٢ و٥٣/٩، والسقيفة وفدك /الجوهري: ٤٠.

لعن الذين لعنهم ودعا عليهم، لأنه بشر!! فقد روىٰ البخاري: عن أبي هريرة أنه سمع النبي (ﷺ) يقول: اللهم فأي ما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة[١]، وروىٰ مسلم: عن أبي هريرة أيضاً: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: اللهم إنما محمّد بشر يغضب كما يغضب البشر، وإني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفني، فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة[٢].

ـ وروىٰ ابن الأثير[٣]: " عن أبي السوار عن خاله قال: رأيت رسول الله (ﷺ) والناس يتبعونه فاتبعته معهم واتىٰ عليّ رسول الله فضربني ضربة إما قال بعسيب أو قضيب أو سواك أو شيء كان معه، فوالله ما أوجعتني، قال فبتّ بليلة فقلت ما ضربني رسول الله (ﷺ) إلاّ لشيء علّمه الله (ﷻ) بي، قال: وحدثتني نفسي أن آتي رسول الله (ﷺ) إذا أصبحت ونزل جبريل علىٰ النبي (ﷺ): إنك راع فلا تكسر قرن رعيتك، فلما صلينا الغداة أو قال اصبحنا، قال رسول الله (ﷺ) والله ما أضربكم في معصية ولا خلاف، اللهم إن ناساً يتّبعوني وإنه لا يعجبني أن يتّبعوني اللهم فمن ضربت أو سببت فاجعلها له كفارة وأجرا أو مغفرة ورحمة" [٤].

وروايات أخرىٰ من هذا القبيل رواها مسلم ثم روتها سائر كتبهم الحديثية مثل: مسند احمد وسُنن الدارمي وسُنن البيهقي وغيرها تصور النبي (ﷺ) معترفاً بأنه سباب لعان فحاش، مؤذ للناس يضربهم بالسوط ويهينهم من غير جرم ارتكبوه.

حيرت هذه الروايات فقهائهم لأن لعن الذين لعنهم النبي (ﷺ) ما دام بأمر من الله تعالىٰ فهو طاعة وليس معصية، فلا يحتاج لعنه إلىٰ توبة. وقد نصت بعض روايات اللعن والدعاء علىٰ أن النبي (ﷺ) قال: والله ما أنا قلته ولكن الله قاله[٥]. أما إذا كان اللعن بسبب غضب وخطأ بشري كما تقول الروايات، فهو معصية كبيرة توجب خروج

---

(١) ـ صحيح البخاري: ١٥٧/٧.

(٢) ـ صحيح مسلم: ٢٦/٨.

(٣) ـ «**ابن الأثير**»: عز الدين الجزري الموصلي الشيباني (٥٥٥ ـ٦٣٠ هـ)، من أبرز مؤرخي المسلمين السُنّة، عاصر دولة صلاح الدين الأيوبي، ورصد أحداثها ويعد كتابه «الكامل في التاريخ» مرجعاً لتلك الفترة من التاريخ الإسلامي. من مؤلفاته الأخرى: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، واللباب في تهذيب الأنساب.

(٤) ـ أسد الغابة: ٣٣٩/٥.

(٥) ـ مسند أحمد: ٤٨/٤ و٥٧، ٤٢٠ و٤٢٤ ومجمع الزوائد: ٤٦/١٠ وكنز العمال: ١٢/ ٦٨ ومستدرك الحاكم: ٨٢/٤

صاحبها عن العدالة، بل تجعله هو ملعوناً!! وقد نصت رواياتهم علىٰ ذلك أيضاً. منها أن لعن المؤمن كقتله، ومنها أن اللعن إذا خرجت من فيّ صاحبها نظرت فإن وجدت مسلكاً في الذي وجهت إليه وإلاّ عادت إلىٰ الذي خرجت منه. ولأجل الخلاص من هذا التناقض حاولوا إيجاد المخرج منه، ومن تلك المخارج:

- محاولة البيهقي لدفع التناقض: حاول البيهقي أن يجد حلاً يحفظ كرامة نبيه كما حفظت هذه الروايات كرامة الملعونين!! فقال في سننه: "باب ما يستدل به علىٰ أنه جعل سبه للمسلمين رحمة وفي ذلك كالدليل علىٰ أنه له مباح"[1]. ويعني: أن اعتراف النبي بأنه لعن أناساً بغير حق، أمر ثابت، ولا يمكن انسجامه مع عصمة النبي (صلى الله عليه وآله) إلاّ بالقول بأن الله قد أحلّ لنبيه هذه المحرمات. وبقيت علىٰ أمته حراماً.
- وكأن البيهقي غفل بإثباته صدور اللعن والسب والضرب عن النبي (صلى الله عليه وآله) بغير حق أن ذلك لا يليق بشخص عادي فضلاً عن نبي، بل نسي أنه أساء بهذا الاستنتاج إلىٰ الله تعالىٰ إذ كيف يجوز علىٰ الله (سبحانه وتعالى) أن يحلل لنبيه هذا السلوك الشائن.
- بعد ادعائهم خطأ النبي (صلى الله عليه وآله) بثوا بعض الروايات التي تؤكد تلك الأخطاء وتثبت عدم رضا الله (سبحانه وتعالى) مما قام به النبي (صلى الله عليه وآله)، فلامه ثم علمه قنوتاً خاصاً. ومنها يظهر أن القوم لا يهمهم الطعن في شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) بقدر اهتمامهم بتنزيه الكفار والمنافقين من قُريش الذين لعنهم رسول الله (صلى الله عليه وآله). فقد روىٰ البيهقي: "عن خالد بن أبي عمران قال: بينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدعو علىٰ مضر ـ يعني قُريش ـ إذ جاءه جبرئيل فأومأ إليه أن أسكت فسكت، فقال: يا محمّد إن الله لم يبعثك سباباً ولا لعاناً! وإنما بعثك رحمة ولم يبعثك عذاباً، ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون. ثم علمه هذا القنوت: "اللهم إنا نستعينُك ونستغفِرُك ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع ونترك من يكفرك. اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعىٰ ونحفد ونرجو رحمتك ونخشىٰ عذابك ونخاف عذابك الجد، إن عذابك بالكافرين ملحق" [2].
- حاولوا الاستفادة من آيات قرآنية يخطئون بها النبي وينزهون طغاة قُريش ومنافقيها، فقد ذكر الترمذي عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم أحد: اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام اللهم العن صفوان بن

---

(١) ـ سُنن البيهقي: ٦٠/٧.

(٢) ـ سُنن البيهقي: ٢١٠/٢.

أمية قال فنزلت﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ فتاب عليهم فأسلموا وحسن إسلامهم.... قال هذا حديث حسن غريب"[١]. وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله (ﷺ) كان يدعو علىٰ أربعة نفر فانزل الله ﷻ.﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ فهداهم الله للإسلام ـ قال الترمذي ـ هذا حديث حسن غريب صحيح.

أما البخاري[٢]: فانه ذكر الروايات ولم يسم الملعونين: فعن انس: شُج النبي (ﷺ) يوم أحد، فقال: كيف يفلح قوم شَجوا نبيهم؟ فنزلت: ليس لك من الأمر شيء...وعن الزهري حدثني سالم عن أبيه انه سمع رسول الله (ﷺ) إذا رفع رأسه من الركعة الأخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فانزل الله عزوجل... ليس لك من الأمر شيء إلىٰ قوله فانهم ظالمون. وعن سالم عن أبيه انه سمع رسول الله (ﷺ) إذا رفع رأسه عن الركوع في الركعة الآخرة من الفجر يقول: "اللهم العن فلاناً وفلاناً بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فانزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾"[٣]، والمرة الوحيدة التي سمىٰ فيها بعض الملعونين روايته عن حنظله بن أبي سفيان: "قال سمعت سالم بن عبد الله يقول كان رسول الله (ﷺ) يدعوا علىٰ صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحرث بن هشام فنزلت: ليس لك من الأمر شيء إلىٰ قوله فانهم ظالمون"[٤].

أما مسلم فبعد ذكره روايات اللعن قال: بلغنا انه ترك ذلك لما انزل: ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون. ثم روىٰ عن أبي هريره رواية تنفي أن النبي ترك لعن الكفار من صلاته إلىٰ آخر حياته.

ـ التكتيم الإعلامي علىٰ سوابق المشركين والمنافقين بل ادعاء العفو العام عنهم علىٰ لسان نبيه (ﷺ) لمجرد قولهم لا إله إلا الله.. وبذلك غيّبوهم كما غيّبوا أصل القنوت، ولولا آيات القرآن لكان اختفىٰ كل تأريخهم!! وهذه ظاهرة ذات دلالة علىٰ وجود موقف مقصود مدروس في التغطية علىٰ تاريخ القرشيين، أعداء الله ورسوله.

---

(١) ـ سُنن الترمذي: ٢٩٥/٤.
(٢) ـ صحيح البخاري: ٣٥/٥ باب ليس لك...
(٣) ـ صحيح البخاري: ١٧١/٥ باب ليس لك...
(٤) ـ صحيح البخاري: ٣٥/٥.

ـ روىٰ أحمد: "قام رسول الله (ﷺ) وأصحابه يتحدثون بينهم، فجعلوا يذكرون ما يلقون من المنافقين فأسندوا أعظم ذلك إلىٰ مالك بن دخشم، فانصرف رسول الله (ﷺ) وقال: أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ فقال قائل: بلا وما هو من قلبه؟ فقال رسول الله (ﷺ): من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فلن تطعمه النار أو قال: لن يدخل النار"[١].

ـ وفي رواية أخرىٰ له: اكتفت في شرط دخول الجنة بشهادة التوحيد فقط دون النبوة، قال: ذكر المنافقين وما يلقون من أذاهم وشرهم حتىٰ صيروا أمرهم إلىٰ رجل منهم يقال له مالك بن الدخشم وقالوا: من حاله ومن حاله، ورسول الله (ﷺ) ساكت، فلما أكثروا قال رسول الله (ﷺ): أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟ فلما كان في الثالثة قالوا إنه ليقوله، قال: والذي بعثني بالحق لئن قالها صادقاً من قلبه لا تأكله النار أبداً !! قالوا فما فرحوا بشيء قط كفرحهم بما قال[٢].

وعلىٰ هذا دخل النفاق كله الجنة فلا سوء سابقة لأحد الجاهليين فكلهم في الجنة ولا يجوز التعرض لذكرهم.

أما النبي (ﷺ) ففي نظرهم أنه قد أخطأ التقدير بادئ الرأي ثم اعترف بذلك فهو بشر عادي يخطأ ويصيب وهو دين **محمّد بن عبد الوهاب** إلىٰ اليوم، فمن لم يتبعه فهو مشرك؛ قال جميل صدقي الزهاوي: "كان يأمر من حج حجة الإسلام قبل اتباعه أنه يحج ثانية قائلاً: إن حجتك الأولىٰ غير مقبولة لأنك حججتها وأنت مشرك" ويقول لمن أراد أن يدخل دينه: "اشهد علىٰ نفسك أن كنت كافراً واشهد علىٰ والديك أنهما ماتا كافرين" وكان يكفّر كل من لا يتبعه وإن كان من أتقىٰ المسلمين ويسميهم مشركين ويستحل دماءهم وأموالهم ويثبت الإيمان لمن تبعه وإن كان افسق الناس، فكان ينتقص النبي (ﷺ) بعبارات مختلفة منها قوله فيه أنه [طارش] وقوله: "إني نظرت في قصة الحديبية فوجدت فيها كذا وكذا من الكذب" وكان بعض أتباعه يقول بحضرته: "إن عصاي هذه خير من محمّد لأني أنتفع بها ومحمّد قد مات فلم يبق فيه نفع". وهو يرضىٰ بكلامه "وكان يكره الصلاة علىٰ النبي (ﷺ) وينهىٰ عن ذكرها ليلة الجمعة، وعن الجهر بها علىٰ المنابر ويعاقب من يفعل ذلك عقاباً شديداً ويلبس علىٰ أتباعه قائلاً: إن ذلك كله محافظة

(١) ـ مسند أحمد: ٣/١٣٥.
(٢) ـ مسند أحمد: ٤/٤٤.

علىٰ التوحيد"[١] إلىٰ آخر ما ذكره الزهاوي.

ـ لذا قررت الخلافة وأتباعها التخلص من القنوت في كل فريضة وحصره بعضهم في صلاة الفجر والوتر، بينما ذهب آخرون إلىٰ أنها بدعة ونفىٰ أن يكون النبي قد قنت، ورووا فيها عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال: صليت خلف رسول الله (ﷺ) فلم يقنت!! وصليت خلف أبي بكر فلم يقنت، وصليت خلف عمر فلم يقنت، وصليت خلف عثمان فلم يقنت، وصليت خلف علي فلم يقنت، ثم قال يا بني أنها بدعة"[٢]. وما صار القنوت بدعة إلاّ لأنه يذكّر الأجيال بلعن الرسول (ﷺ) رجالاً وطوائف من قُريش تتباهىٰ بها دعاة الجاهليّة.

١٩ ـ تعيين المنافقين رسمياً في مناصب الدولة الإسلامية:

وأول من فتح هذا الباب وأعطىٰ مناصب الدولة للمنافقين هو الخليفة عمر بن الخطاب مبرراً ذلك بقوله إن مسألة الدين أمر بين الإنسان وربه... والمنافق إثمه عليه!! فقد روىٰ المتقي الهندي: عن عمر قال: نستعين بقوة المنافق، وإثمه عليه[٣] وعن الحسن أن حذيفة قال لعمر: إنك تستعين بالرجل الفاجر!! فقال عمر: إني لأستعمله لأستعين بقوته ثم أكون علىٰ قفائه[٤]. هذا مع أنهم يروون عن الخليفة قول النبي (ﷺ): "من استعمل فاجراً وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله"[٥].

وقد حاول اتباعه تبرير هذا الفعل، فقد روىٰ البيهقي عن عبد الملك بن عبيد قال: قال عمر (رضي الله عنه): "نستعين بقوة المنافقين وإثمهم عليهم" وهذا منقطع، فإن صحّ فإنما ورد في منافقين لم يعرفوا بالتخذيل والإرجاف، والله أعلم[٦].

وهذا عذر غير موجه مع الأخذ بالاعتبار ما رواه البخاري، من أن المنافقين في زمن الخليفة عمر كانوا ـ بسبب بسط أيديهم ـ وقحين متجاهرين حتىٰ أن حذيفة بن اليمان صاحب سر النبي (ﷺ) أطلق صيحة التحذير من خطرهم فقال: "إن المنافقين اليوم شرّ منهم علىٰ عهد النبي (ﷺ) كانوا يومئذ يسرّون واليوم يجهرون"[٧]. ويكفيه نقداً تعيينه معاوية والياً علىٰ الشام وكان أكثر من ولاته تعديا علىٰ مقدرات الإسلام.

---

(١) ـ الفجر الصادق: ١٢ـ ١٣.
(٢) ـ السُنن الكبرى، النسائي: ١/٢٢٧، وصحيح ابن حبان: ٥/ ٣٢٨.
(٣) ـ كنز العمال: ٤/٦١٤.
(٤) ـ كنز العمال: ٥/٧٧١.
(٥) ـ كنز العمال: ٥/٧٦١.
(٦) ـ سُنن البيهقي: ٩/٣٦.
(٧) ـ صحيح البخاري: ٨/١٠٠.

أما عثمان بن عفان فقد خصص الولاية لآل أمية وآل أبي معيط، فقد عين الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخاه من أمه والياً علىٰ الكوفة، وكان فاسقاً سكيراً، وممن طردهم رسول الله (ﷺ) وهو الذي نزل فيه: ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا... ﴾. وهو الذي صلىٰ بالناس صلاة الصبح أربعاً ثم التفت فقال: أزيدكم؟[١]، وتقيأ في المحراب وقرأ بهم في الصلاة:

علق القلب الربابا عندما شابت وشابا[٢]

فإن تعجب فلا تعجب من الوليد وليكن عجبك فيمن يصلي خلف أمثال الوليد من أراذل المجتمع في كل عصر الذين يتظاهرون بالدين ويتزاحمون وقت الفجر خلف أصنامهم من الظالمين طمعاً في حطام الدنيا، ولولا هذه الحُثالات لما قامت للظلم جمعة ولا جماعة ولا حكومة لكن إبليس صدق ظنه ليملأن جهنم حطباً من البشر.

كما عين عثمان أخاه من الرضاعة عبد الله بن أبي سرح والياً علىٰ مصر وكان عبد الله من المنافقين أسلم وارتد وافترىٰ علىٰ رسول الله (ﷺ) ونزل القرآن بكفره، وممن أباح النبي (ﷺ) دمه[٣]، كما عين مروان بن الحكم طريد رسول الله وهو ابن عم عثمان وزيراً ومستشاراً له وهو "الملعون بن الملعون علىٰ لسان نبيه (ﷺ)"[٤]. وقد شغل أيضاً منصب ولاية المدينة، ومن ولاته أيضاً يعلي بن أمية وهو أحد المناوئين للإسلام، وأدنىٰ الحارث بن الحكم وزوجه ابنته عائشة وأغدق عليه العطايا من بيت مال المسلمين.

وفي عهد معاوية ويزيد ومن أعقبهما حبست الولاية علىٰ كلّ أفاك أثيم أمثال زياد بن أبيه وعمرو بن العاصي ابن النابغة والحجاج بن يوسف ابن المتمنية وعبد الله بن زياد ومن لف لفهم من أعداء الدين وبذلك تمكن المتآمرون علىٰ الإسلام من تحميل سنتهم الجاهليّة بسيف الجلادين علىٰ المسلمين، وإلباسها ثوب الإسلام بشراء ذمم تجار الروايات ووعاظ السلاطين ليشهدوا زوراً علىٰ أن هذا الباطل هو سُنّة رسول ربّ العالمين، فصفق لذلك عبيد الدينار وأومأ بالتسليم تجار الدين، ويظن الجميع أ نهم قد أحسنوا صنعاً، وما ذلك إلاّ لعدم إيمانهم بالله واليوم الآخر، وقد نسوا أو تناسوا قول النبي (ﷺ) كما في كتبهم: " من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمّر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً" [٥].

---

(١) ـ السُنن الكبرى، البيهقي: ٣١٨/٨، ومروج الذهب، المسعودي: ٣٣٥/٢.
(٢) ـ الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني: ١٧٦/٤.
(٣) ـ العقد الفريد: ٢/ ٢٧٢.
(٤) ـ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ٢/ ٤٧٩.
(٥) ـ مسند أحمد: ٦/١ مستدرك الحاكم: ٩٣/٤

٢٠ ـ محاولات فاشلة لتحويل قبلة المسلمين نحو بيت المقدس:

ألف) ـ محاولة كعب الأحبار: جاء فيما جرىٰ من قصة الصخرة بين عمر وكعب لما افتتحت إيليا وأرضها علىٰ يدي عمر في ربيع الآخر سَنة ١٦ للهجرة، دخل عمر بيت المقدس دعا كعب الأحبار وقال له: أين ترىٰ أن نجعل المصلى؟ فقال كعب الأحبار: إلىٰ الصخرة، فقال له عمر: ضاهيت والله اليهودية يا كعب ـ وفي رواية ـ يا بن اليهودية خالطتك يهودية، أبنيه في صدر المسجد[١]. وفي رواية: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة أي أن تكون الصخرة قبلة.

ب) ـ تحويل الحَجاج قبلة واسط: أشار الجاحظ إلىٰ ذلك في المفاضلة بين بني هاشم وبني أمية فقال: "وتفخر هاشم بأنهم لم يهدموا الكعبة، ولم يحولوا القبلة، ولم يجعلوا الرسول دون الخليفة"[٢]، ويفصل هذا أيضاً بعض رسائله فيقول: "حتىٰ قام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد وعاملهما الحجاج ومولاهما يزيد بن أبي مسلم فأعادوا علىٰ البيت بالهدم وعلىٰ حرم المدينة بالغزو، فهدموا الكعبة واستباحوا الحرمة، وحولوا قبلة واسط"[٣].

ـ ويؤيد ذلك ما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد قال: "كان أسد بن عمرو علىٰ قضاء واسط فقال: رأيت قبلة واسط رديَّة جداً وتبين ذاك لي فتحرفت فيها، فقال قوم من أهل واسط هذا رافضي، فقيل لهم: ويلكم هذا من أصحاب أبي حنيفة، كيف يكون رافضياً"[٤]

٢١ ـ توهينهم العلني للأنبياء والمقدسات:

ما انفك رجال السلطة عن محاولة توهين الدين وتحقيره أمام الملأ بغية إيجاد الأرضية لأجواء جاهليتهم وتحييد المزاحم، ووقائعهم في ذلك كثيرة سواء من الخلفاء أو ولاتهم أو أتباعهم، لذا نقدم هنا نماذج للاستدلال علىٰ ذلك لا للحصر، فمن ذلك:

ـ "خطب خالد القسري ـ من ولاة الوليد بن عبد الملك ـ يوماً فقال: إن إبراهيم الخليل استسقىٰ الله فسقاه الله ملحاً أجاجاً ـ يقصد زمزم ـ وإن أمير المؤمنين استسقىٰ الله فأسقاه عذباً نقاخاً"[٥]، ويقصد العين التي أجراها لسليمان بن عبد الملك بمكة قبل

---

(١) ـ أضواء على السنة المحمّدية: ص ١٦٦.
(٢) ـ آثار الجاحظ: ٢٠٥.
(٣) ـ رسائل الجاحظ: ٢/ ١٦.
(٤) ـ تاريخ بغداد: ٧/ ١٨.
(٥) ـ الأغاني، أبي الفرج الإصفهاني: ١٩/٦٠.

أن يحج إليها وأجراها إلىٰ المسجد الحرام[١].

ـ روي أنه حبس بعض التابعين فأعظم الناس ذلك وأنكروه فبلغه ذلك، فخطب فقال: قد بلغني ما أ نكرتم من أخذي عدو أمير المؤمنين ومن حاربه، والله لو أمرني أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبة حجراً حجراً لنقضتها، والله لأمير المؤمنين أكرم علىٰ الله من أنبيائه[٢].

ـ وقد ذاع وشاع ما فعله الحجاج بالكعبة أيام ابن الزبير إذ رمىٰ بمنجنيقه الكعبة بكيزان النار حتىٰ احترقت الستارات كلها وهو يرتجز[٣]:

أما تراها ساطعاً أنوارها والله فيما يزعمون جارها

ـ وذكر ابن خلدون أن الوليد بن يزيد الخليفة قد نسب إليه من الشنائع مثل رميه المصحف بالسهام حين استفتح فوقع علىٰ قوله ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ قال وينشد له في ذلك بيتين تركتهما لشناعة مغزاهما[٤].

وقد ذكر السيد المرتضىٰ في أماليه البيتين[٥]، وهما:

أ توعـــد كـل جبارٍ عنيـدٍ فـهـا أنـا ذاك جبارٌ عنيدُ

فإن لا قيتَ ربكَ يومَ حشرٍ فقُل يا ربّ مزقني الوليدُ

وأمثال هذه الإجتراءات العلنية من الخلفاء والولاة كثيرة جدا نكتفي منها بما قدمناه روماً للاختصار.

(١) ـ اليعقوبي: ٣/٣٨.
(٢) ـ الأغاني، أبي الفرج الإصفهاني: ١٩/٦٠.
(٣) ـ فتوح أعثم: ٦/٢٧٦.
(٤) ـ تاريخ ابن خلدون: ٣/٢٢٠.
(٥) ـ أمالي المرتضى: ١/٨٩.

اختلاق
الأحاديث لصالح العرب

٢٢ ـ اختلاق أحاديث لصالح العرب:

قال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١).

وأعظم فرية افترتها العروبة الأموية علىٰ الله تعالىٰ ورسوله دعوىٰ تفضيل العرب عامة وقُريش خاصة علىٰ بقية شعوب الأرض، وأقوىٰ الأدلة علىٰ افترائها الكذب هو شهادة الله ﷻ الواردة في الآية المتقدمة الصريحة بأنه (ﷻ) هو الذي جعل الناس شعوباً وقبائل للتعارف والتآلف وإنه لا فضل لشخص علىٰ شخص ولا لشعب علىٰ شعب إلاّ بتقوىٰ الله فأقرب الناس إلىٰ الله أكثرهم التزاماً بقانونه وأشدهم حرصاً علىٰ طاعته، والمؤمنون في شرعه هم ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(٢).

وقد أوضح رسوله الكريم هذا المعنىٰ بقوله المعروف: «ألا لا فضل لعربي علىٰ أعجمي ولا لعجمي علىٰ عربي ولا لأحمر علىٰ أسود ولا لأسود علىٰ أحمر إلاّ بالتقوى، أبلغت؟ قالوا بلغ رسول الله (ﷺ)» (٣). وقوله (ﷺ) يوم فتح مكة: «إن العربية ليست بأب والد ولكنها لسان ناطق فمن قصر به عمله لن يبلغه حسبه»(٤).

وأبت الحمية الجاهليّة إلاّ عبادة الهوىٰ فرفضت القرآن ورمت السُنّة وراء ظهرها وادعت غير الذي بينه الله تعالىٰ ورسوله تأسياً باليهود الذين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه ونحن شعب الله المختار. فكذب عبيد الهوىٰ علىٰ رسول الله (ﷺ) ولفقوا من الأحاديث المنسوبة إلىٰ النبي (ﷺ) ما شاءوا وروجوها بين المسلمين ليل نهار حتىٰ صدقهم المغفلون.

لقد كانت أكذوبة العروبيين هذه أمضىٰ سلاح استخدموه في سعيهم لإماتة الحق وإحياء غرور الجاهليّة مستغلين انتماء النبي (ﷺ) للعرب فأخذوا بهذه المفتريات وحرّفوا

---

(١) ـ القرآن الكريم، سورة الحجرات: ١٣.
(٢) ـ القرآن الكريم، سورة الأنفال: ٢ ـ ٤.
(٣) ـ مسند أحمد: ٥/٤١١، والأوسط /الطبراني: ٥/ ٨٦، والعهود المحمّدية /الشعراني: ٨٧٣ ومسند ابن المبارك: ١٠٦، وغيرها.
(٤) ـ الكافي، الكليني: ٨/٢٤٦.

القرآن بقولهم إن آية ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ نزلت في العرب خاصة[١]، وضيعوا أقوال النبي (ﷺ) بين التأويل والتضعيف، ونظراً لأهمية هذا الموضوع وتأثير هذه الفرية علىٰ الواقع الإسلامي، آثرنا تفصيل القول فيه بعرض ما روجوه من أحاديث مفتعلة وتفنيدها متناً وسنداً ليقف القارئ علىٰ حقيقة ما يقال في كذب هذه المقولة وعدم صحة رواية واحدة من تلك الروايات التي سودوا بها كتبهم والتي يدعون أنها جاءت عن النبي (ﷺ) في فضل العرب وقُريش وفيما يلي عرضاً لتلك الأخبار:

الحديث الأول

قال رسول الله (ﷺ):

"يا سلمان! لا تبغضني فتفارق دينك، قلت: بأبي وأمي كيف أبغضك وبك هداني الله! قال: "تبغض العرب فتبغضني" [٢]

نقل هذا الحديث عن أبي بدر السكوني عن قابوس ابن أبي ظبيان عن أبيه أبي ظبيان حصين بن جندب الجنبي عن سلمان الفارسي، وقد ذكره أحمد في مسنده والترمذي في سننه والحاكم في المستدرك وأبو داود في مسنده والطبراني في الكبير والمتقي الهندي في كنز العمال.
وقد ناقش كثير من العلماء هذا الحديث سنداً ومتناً: أما سنداً ففيه ضعف من جهتين:

- **الجهة الأولى:** في شبهة عدم نقل أبي ظبيان حصين ابن جندب عن سلمان، فقد ادعىٰ البعض عدم سماعه من سلمان الفارسي، قال البخاري كان يحيىٰ ينكر أن يكون أبو ظبيان حصين بن جندب سمع من سلمان[٣]، وفي هامش سير أعلام النبلاء بعد تضعيف قابوس قال وأبوه حصين بن جندب لم يسمع من سلمان[٤]. ونقل الألباني عن الترمذي قوله في جامعه "وسمعت محمّد بن إسماعيل يقول أبو ظبيان لم يدرك سلمان. مات سلمان قبل علي" [٥].

- **الجهة الثانية:** ما ذكر من القدح في قابوس ابن أبي ظبيان: فقد قيل فيه الكثير ومن جملة تلك الأقوال:

---

(١) ـ كنز العمال: ٢/٥٠٧.
(٢) ـ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج ١ ص ٥٣٩.
(٣) ـ التاريخ الصغير، البخاري: ج١/ ٢٤٠.
(٤) ـ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ١/٥٣٩ هـ٣.
(٥) ـ ضعيف سُنن الترمذي، ناصر الألباني ص٥٢٤.

١ ـ قال البخاري: "قال احمد بن عبد الله عن جرير قال: أتينا قابوس بعد فساده"[١]

٢ ـ قال الرازي: "قال عبد الله وسألت يحيىٰ بن معين عن قابوس فقال ضعيف الحديث"[٢].

٣ ـ قال ابن سعد في الطبقات: "قابوس فيه ضعف لا يحتج به"[٣].

٤ ـ قال احمد بن حنبل في العلل: "سألت يحيىٰ عن قابوس بن أبي ظبيان فقال ضعيف الحديث" وفيه أيضاً: "قال أبي وسئل جرير عن شيء من حديث قابوس فقال نفق قابوس نفق"[٤].

٥ ـ قال العقيلي في كتاب الضعفاء: "عن عبد الله بن احمد قال سألت عن قابوس ابن أبي ظبيان فقال ضعيف الحديث"[٥].

٦ ـ وقال ابن حبان[٦]: "كان رديء الحفظ يتفرد عن أبيه بما لا أصل له ربما رفع المراسيل وأسند الموقوف، كان يحيىٰ بن معين شديد الحمل عليه" وأيضاً: "أخبرنا الهمداني قال: حدثنا عمرو بن علي قال: ما سمعت عبد الرحمن يحدث عنه بشيء قط ويعني قابوس".

٧ ـ قال الذهبي[٧]: "قال أبو حاتم لا يحتج به" ونقل عن النسائي قوله: "ليس بالقوي".

٨ ـ وقال عبد الله بن عدي في الكامل[٨]: إلا أن ابن أبي ليلىٰ جلده الحد.

ـ أما بالنسبة إلىٰ متن الحديث:

فلا شك أن مضمون هذا النص والنصوص المشابهة له والتي سنأتي علىٰ ذكر بعضها مخالف لثوابت الدين الحنيف المعضودة كتاباً وسنة، كما أنه مخالف للعقل، فالعقل أيضاً لا يساعد علىٰ قبول مثل هذا المعنىٰ بعد أن أكّد الدين قانونه الثابت في منزلة الملل والشعوب المصرح به في الكتاب العزيز بقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ وفي الحديث الشريف الثابت في كتب الفريقين: "لا فضل لعربي علىٰ عجمي، إنما الفضل بالتقوى". هذه النصوص تعكس بوضوح أفضلية الأتقىٰ من أية ملّة كان المتقي.

(١) ـ التاريخ الكبير، البخاري: ١٩٣/٧.
(٢) ـ الجرح والتعديل، الرازي: ٧/ ١٤٥.
(٣) ـ الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٦/ ٣٤٠.
(٤) ـ كتاب العلل، أحمد بن حنبل: ٣/ ٣٨٩ التسلسل ٤٠١٨ و٤٠١٩.
(٥) ـ كتاب الضعفاء، العقيلي: ٣/ ٤٩٠.
(٦) ـ كتاب المجروحين، لابن حبان: ٢/ ٢١٦.
(٧) ـ ميزان الاعتدال، الذهبي: ٣/ ٣٦٧.
(٨) ـ الكامل، عبد الله بن عدي: ٦/ ٤٨.

ونكتفي هنا بذكر الطعن في خصوص متن هذا الحديث من قبل علماء المذهب، من حيث كونه من المنكرات المخالفة، ليتبين مضافاً إلىٰ ضعف سنده وانحصار روايته بواحد كونها من المجعولات. فقد قال الرازي[١]، في الجرح والتعديل: "حدثنا عبد الرحمن قال سألت أبي عن أبي بدر شجاع بن الوليد أحب إليك أو عبد الله بن بكر السهمي؟ فقال: عبد الله أحب اليّ لأن أبا بدر روىٰ حديث قابوس في العرب وهو حديث منكر".

ومن تمعن في الأحاديث الصحيحة المشهورة الواردة في فضائل أهل البيت (عليهم السلام) أو بعض الخواص من الصحابة أو المؤمنين بشكل عام ثم تتبع الأحاديث الواردة في نفس الصفة والمنسوبة إليه (صلى الله عليه وآله) يجد بأدنىٰ تأمل تلاعب بعض الرواة في المضامين واستغلالها لصالح فرد أو فئة ونذكر من باب المثال الرواية المتقدمة الرابطة بين بغض العرب وبغض النبي (صلى الله عليه وآله). وكلمة العرب المقرونة بأل الجنس وحصر الحكم فيهم دون غيرهم لا يتلاءم ومضمون الحديث بل ويتناقض وما نقل عنه (صلى الله عليه وآله) من قوله: "اللهم العن رعلاً وذكوان وعصية عصت الله ورسوله وهذه ثلاث قبائل من العرب"[٢]، فمن قال مثلاً اني أبغض الأعراب وهم فئة من العرب ممن ذمهم الله تعالىٰ بقوله ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ﴾ أو أكره الذين مردوا علىٰ النفاق وأكره الظالمين منهم وأكره الفاسقين منهم فابغضهم لعدم إيمانهم ونفاقهم وظلمهم وفسقهم ـ ويشمل ذلك شطر كبير من العرب ـ فهو بغض لله جائز من جهة وبغض للنبي لأنهم ضمن جنس العرب حسب الرواية من جهة أخرىٰ وهذا أمر مشكل يقتضي تقييد اطلاق الحديث للقطع بكون المنافقين والفاسقين والظالمين من مبغوضي الله ورسوله.

وصياغة الحديث بالإطلاق من غير مقيد داخلي أو خارجي بعيد الصدور من النبي (صلى الله عليه وآله) كل البعد ولا يدعي ذلك إلا المتعصب المتشبث بالتحريف المتعمد لتعميم أفضلية العرب علىٰ سائر الملل تلبية لنزعة عنصرية. فأي دليل يحفظه هؤلاء لحكمهم علىٰ من أبغض ظالمي آل محمّد (صلى الله عليه وآله) والمفسدين والمنافقين من العرب وما أكثرهم بالخروج من الدين.

(١) ـ الجرح والتعديل، الرازي: ٤/ ٣٧٩.

(٢) ـ مسند أحمد٤/ ٥٧ وسُنن النسائي٢/٢٠٣.

الحديث الثاني

قال رسول الله (ﷺ):

"أحبوا العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي".

ذكره الحاكم في المستدرك[١] والطبراني في الأوسط والكبير[٢] والسيوطي في الجامع الصغير[٣] والمتقي في الكنز[٤] وغيرهم. وسند الجميع ينتهي إلىٰ: العلاء بن عمرو الحنفي عن يحيىٰ بن يزيد[بريدة] الأشعري عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس.

ـ ما قيل في سند هذا الحديث:

١ ـ قال الهيثمي[٥]: "فيه العلاء بن عمرو وهو مجمع علىٰ ضعفه".

٢ ـ وقال الطبراني[٦]: "لم يرو هذا الحديث عن ابن جريج إلا يحيىٰ بن زيد تفرد به العلاء بن عمرو".

٣ ـ وقال الفتني[٧]: "فيه ضعيف عن ضعيف، فيه يحيىٰ بن يزيد يروي المقلوبات".

٤ ـ قال العقيلي[٨]: "منكر لا أصل له".

٥ ـ وقال ابن الجوزي[٩]: "قال العقيلي: لا أصل له. وقال ابن حبان: يحيىٰ بن يزيد يروىٰ المقلوبات عن الإثبات فبطل الاحتجاج به".

٦ ـ وقال الذهبي[١٠]: "هذا موضوع. قال أبو حاتم: هذا كذب".

٧ ـ ونقل المناوي عن الذهبي قوله: "ومحمّد بن الفضل متهم" [١١].

٨ ـ وقال ابن حزم في معرض رده للرواية التي ذكرت قول جبرائيل: "يا محمّد إن الله تعالىٰ يقول لك اقرأ علىٰ أبي بكر الصديق السلام... قال: فلا يحل الاحتجاج به لأنه من طريق العلاء بن عمرو الحنفي وهو هالك مطروح" [١٢].

هذا فيما يخص سند الحديث؛ وأما بالنسبة إلىٰ المتن مع فرض احتمال صدوره وإن كنا

---

(١) ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم ٤/٨٧.
(٢) ـ المعجم الأوسط، الطبراني ٥/٣٦٩.والكبير، الطبراني ١١/ ١٤٨.
(٣) ـ الجامع الصغير، السيوطي ١/ ٤٠ ح ٢٢٥.
(٤) ـ كنز العمال، الهندي ١٢/٤٤ ح ٣٣٩٢٢.
(٥) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي ١٠/ ٥٢.
(٦) ـ المعجم الأوسط، الطبراني ٥/٣٦٩.
(٧) ـ تذكرة الموضوعات، الفتني ص: ١١٢.
(٨) ـ ضعفاء العقيلي، العقيلي: ج٣ ص ٣٤٨.
(٩) ـ الموضوعات، ابن الجوزي: ج٢ ص ٤١.
(١٠) ـ ميزان الاعتدال، الذهبي: ج٣ ص١٠٣.
(١١) ـ فيض القدير، المناوي: ١/ ٢٣٢.
(١٢) ـ المحلى، ابن حزم الأندلسي: ٩ /١٤١.

في شكّ منه مريب: فإن كان المراد عدم جواز بغضهم بالمطلق دون تمييز بين صالحهم وطالحهم كما عليه المتعصبون من الملل الأخرىٰ من كراهة العرب لكونهم عرب للعصبية العنصرية فله وجه فيكون الأمر فيه خاص بالمؤمنين الصالحين منهم إذ ما من ملّة إلا وفيها الصالح والطالح ولا يختص هذا بالعرب بل يجب علىٰ مؤمني كل ملّة حبّ مؤمني الملل الأخرى.

أما إذا أصرّ المتعصبون علىٰ قولهم إن المراد منه وجوب حب جميع العرب بصالحهم وطالحهم وجعل الحديث فضيلة تميّز العرب عن غيرهم بمزية لم يسبقهم ولا يلحقهم فيها أحد من العالمين فهو ما لا يمكن قبوله وهذا الظاهر العام من الحديث هو الذي يدعو إلىٰ الشك في صدوره من نبي بعث إلىٰ الخلق أجمعين وكيف يمكن الجمع بين هذا الحديث الضعيف وقوله في الرواية الصحيحة المشهورة "أيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد فلا فضل لعربي علىٰ أعجمي إلا بالتقوى"، أو قوله (ﷺ) "إن أنسابكم هذه ليست بمسبة علىٰ أحد". انظر إلىٰ ألفاظ الحديث: **أحبوا العرب**: أي؛ كل من انتسب إلىٰ العرب ودخل في زمرتهم مطلقاً، **لثلاث**: أي أمرت بهذا الحب المطلق لأسباب ثلاث:

- **الأول**: "**لأني عربي**" ولا ريب أنه (ﷺ) كان من العرب، ولكن السؤال هو: هل يعقل هذا المعنى؟ إذ يترتب علىٰ القول به وجوب حب أبي لهب لأنه من العرب بل هو عم النبي (ﷺ)، وحب مشركي قُريش وعبدة الأصنام لكونهم من سادة العرب وحب من انقلب على عقبيه من العرب بعد وفاته صلوات الله عليه وآله، وحب الظالمين له ولعترته من بعده إلىٰ يوم الدين لأنهم عرب فهل يقبل هذا أقل الناس عقلاً فضلا عن الحكماء؟

- **الثاني**: "**والقرآن عربي**"، ولا أدري هل عصم القرآن العربي أمة العرب عن الزلل وألبسهم ثوب العصمة ليستحقوا بذلك الحصانة دون سواهم أم أن القرآن من دفته إلىٰ دفته سلط جمال نور آياته علىٰ العرب فرداً فرداً ففضلوا بذلك علىٰ العالمين فيجب أن نحب العرب كل العرب قبل الإسلام وبعد الإسلام وعليه لابد أن نصلي علىٰ الذين جعلوا القرآن عضين ونمدح الذين قالوا إن هذا إلا إفك مفترىً ونحمد من قال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول بشر ولا فرق بين مؤمنهم والسماعين للكذب والأكالين للسحت والذين لم يحكموا بما أنزل الله منهم فكلهم من يعرب يجب حبهم لأن القرآن

عربي. ولماذا لا نعتبر نزول القرآن بلسان عربي حجة عليهم بما علم الله من شدة تعصبهم وهو القائل تعالىٰ اسمه: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[١].

إن القرآن يفضل كل من آمن به سواء كان عربياً أم أعجمياً فهو هدىٰ للمؤمن من أية ملّة كان كما أنه علىٰ الذين لا يؤمنون به عمىٰ وضلالة وأن كان الكافر به سيداً قرشياً ولعمري أن الفضيلة كل الفضيلة للأعاجم الذين آمنوا بالله ورسوله وكتابه الذي أنزل بغير لغتهم ولم تدفعهم عصبيتهم إلىٰ إنكاره ورده كما فعل بعض أهل لسان القرآن. فكيف نعقل مقولة تفضيل العرب لكونهم عرباً علىٰ العالمين بسبب نزول القرآن بلغتهم وهذا هو الله (ﷻ) يصرح في الآية المتقدمة بأن هذا القرآن هدىٰ وشفاء للمؤمنين به دون المنحرفين عنه كائناً من كانوا.

ـ **الثالث:** هو [**كلام أهل الجنة عربي**] وهذا مما لم يثبت بدليل صحيح. كما لن نجد رواية صحيحة تؤيد هذه المقولة، بل المؤيدات كلها من أعاجيب الكلام المنسوب إلىٰ النبي (ﷺ) مثل الحديث القائل:

ـ "أبغض الكلام إلىٰ الله الفارسية وكلام الشياطين الخوزية وكلام أهل النار البخارية وكلام أهل لجنة العربية".

ـ وقول: "من أحسن منكم أن يتكلم بالعربية فلا يتكلمن بالفارسية فإنه يورث النفاق".

ـ وقول: "من تكلم بالفارسية زادت في خبثه ونقصت من مروءته".

ـ ونسبوا إلىٰ عمر قوله: "ما تعلم الرجل الفارسية إلاّ خبث ولا خبث إلاّ نقصت مروءته". وهي شاهدة علىٰ ما ندعيه من وضع مثل هذه الأحاديث من قبل المتعصبين.

الحديث الثالث

عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال:

"تعلموا العربية فإنها كلام الله الذي تكلم [يكلم] به خلقه".

وسند الرواية التي رواها الشيخ الصدوق في كتاب الخصال كالآتي: حدثنا أبي (رضي الله عنه) قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا أحمد ابن محمّد بن عيسى، عن أحمد بن محمّد

(١) ـ القرآن الكريم، سورة فصلت: ٤٤.

بن أبي نصر البزنطي، عن رجل من خزاعة، عن أسلمي، عن أبيه عن أبي عبد الله (عليه السلام). ولم أجد في الكتب الحديثية الشيعية غير هذا الحديث، نقله الشيخ الصدوق في كتابه الخصال[١] ومن ثم نقله الآخرون عنه مثل؛ الحر العاملي في وسائل الشيعة[٢] والفصول المهمة[٣] والمجلسي في بحار الأنوار[٤] والفيض الكاشاني في تفسيريه الصافي[٥] والآصفي[٦] والحويزي في تفسير نور الثقلين[٧] ومصدر الجميع واحد وهو ما رواه الصدوق في الخصال.

ولا يخفىٰ علىٰ الخبير الإشكال السَندي في هذه الرواية من جهة جهالة الرجل الخزاعي وكذا من ينقل عنه [الأسلمي]، فرواية الخصال كما تقدم منقولة عن البزنطي عن رجل من خزاعة عن أسلمي بينما نرىٰ الحر العاملي الذي نقل الرواية عن الخصال يذكر [أسلمي] تارة وأخرىٰ يذكر المسلمي أو سليمان بدل أسلمي، ففي الوسائل طبعة أهل البيت ج٥/٨٤ الحديث ٥٩٨٩ عن الخصال جاء [عن أسلمي عن أبيه] كما في الأصل. لكنه في ج١٧/٣٢٧ الحديث ٢٢٦٨٠ قال [عن المسلمي عن أبيه]. وفي الطبعة الإسلامية ج٤/٨٦١ الحديث ٢ عن أسلمي [سليمان] عن أبيه.

وعند البحث عن [أسلمي] وجدنا عدداً ممن يلقبون بهذا اللقب من جملة أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) بين ثقة وغيره مثل إبراهيم ابن أبي حجر الأسلمي وأسعد بن عمرو الأسلمي وبريد [بريدة] بن عامر الأسلمي وبشار الأسلمي وسعيد بن سفيان الأسلمي ومحمّد بن بشر الأسلمي وغيرهم، وكذا لقب [المسلمي] كعمرو بن عبد الحكيم المسلمي الكوفي وعمرو بن الحاكم المسلمي وخلاد بن عامر المسلمي وخباب ابن المسلمي وغيرهم، وبهذا يشكل البت في شخص الراوي الذي ذكره الصدوق في روايته.

علىٰ أننا لم نَأل جهداً في البحث عمن روىٰ عنهم البزنطي لعلنا نقف علىٰ أثر لهذا الرجل الخزاعي الذي ينقل عن أسلمي لكننا لم نظفر علىٰ شيء. هذا إذا أغمضنا إجلالاً، عما قيل في أحمد بن محمّد بن عيسىٰ الأشعري من شدة تعصبه في العروبة وأن له كتابا في فضائل العرب كما في رجال النجاشي[٨] وأنه ورد في سند رواية مخالطة الأكراد

---

(١) ـ الخصال/ الشيخ الصدوق: ص ٢٥٨.

(٢) ـ وسائل الشيعة: ٥/٨٤ ح٥٩٨٩ وج ٦/٢٢٠ ح٧٧٨٠.

(٣) ـ الفصول المهمة، الحر العاملي: ١/ ٦٧٨.

(٤) ـ بحار الأنوار: ١/٢١٢ ح٧ و٧٣/١٢٧ ح١٠.

(٥) ـ تفسير الصافي، الفيض: ج٣/ ٤.

(٦) ـ تفسير الأصفى، الفيض: ج١/ ٥٦١.

(٧) ـ تفسير نور الثقلين، الحويزي: ج٢/ ٤٠٩.

(٨) ـ رجال النجاشي: ص ٨٢.

ومعاملتهم وأنهم حي من أحياء الجن كشف الله عنهم الغطاء. وكذا سعد بن عبد الله ابن أبي خلف القمي الناقل عن الأشعري الذي له هو الآخر كتاب في فضل العرب. فيكفي في سقوط الرواية عن الاعتبار ضعفها بالمجهولين الخزاعي وأسلمي الواردين في سندها.

وهكذا الكلام في متن الرواية، فهو مع معارضته للثوابت الشرعية لم يعضده ولو حديث واحد يعتد به.

والكلام فيه كالكلام في الحديث السابق، ولم يثبت بدليل صحيح أن لسان أهل الجنة العربية، ولم نجد غير هذا الحديث في كتب الشيعة وإنما كثر أمثالها في الكتب الروائية السنية وكلها لا تغني ولا تسمن من جوع والعجب ممن قال إن الروايات وإن كانت ضعيفة فهي إذا ضم بعضها إلىٰ بعض أحدثت قوة، وهم عند تعرضهم لأسانيدها يرمون رواتها بالكذب تارة والوضع أخرىٰ والتدليس ثالثة والضعف رابعة وهكذا، وهل هذا إلا مصداقاً للقول المشهور "إكذب إكذب حتىٰ يصدقك الناس". علماً أنهم لم يتعاملوا مع حديث غدير خم الخاص باستخلاف أهل البيت (عليهم السلام) وأنهم عدل الكتاب وا نهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليه الحوض والذي ورد بعشرات الأسانيد الصحيحة في الصحاح والمسانيد معاملتهم لهذه الأحاديث الضعيفة المخالفة للعقل والنقل.

الحديث الرابع

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): **"من أحب العرب فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغض العرب فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله"**

رواه بهذا النص عبد الله بن عدي في الكامل[1]، ولم أقف علىٰ من ذكره بهذه الزيادة غيره. بسنده إلىٰ عبد الرحمن بن قيس الزعفراني عن محمّد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله). وهناك رواية مماثلة من غير زيادة "ومن أبغضني فقد أبغض الله" سنذكرها بعد هذه، وفي السند ضعاف، منهم عبد الرحمن بن قيس الزعفراني.

ـ قال ابن عدي نفسه[2] في أبي معاوية عبد الرحمن بن قيس الزعفراني: وعامة ما يرويه لا يتابعه الثقات عليه.

ـ وفي العلل[3] قال عبد الله بن أحمد: سألت أبي عن عبد الرحمن بن قيس الزعفراني فقال

(١) ـ الكامل، عبد الله بن عدي: ج٤ /٢٩٢.
(٢) ـ الكامل، عبد الله بن عدي: ج٤ /٢٩١.
(٣) ـ العلل، أحمد بن حنبل: ١/ ٣٨٤ ت ٧٤٨.

ليس بشيء، كان جارا لحماد بن مسعدة يحدث عن ابن عون، قال رأيته بالبصرة وقدم علينا إلىٰ بغداد وكان واسطياً ولم يكن بشيء، حديثه حديث ضعيف ثم خرج إلىٰ نيسابور ولم يكن بشيء، متروك الحديث.

ـ وفي الضعفاء والمتروكين[١] قال النسائي: عبد الرحمن بن قيس الزعفراني متروك الحديث بصري خرج إلىٰ نيسابور.

ـ قال الرازي في الجرح والتعديل[٢] حدثنا عبد الرحمن قال سئل أبو زرعة عن عبد الرحمن بن قيس فقال: كان كذاباً.

ـ قال عنه ابن حبان[٣]: كان يقلب الأسانيد وينفرد عن الثقات بما لا يشبه حديث الإثبات، تركه ابن حنبل. ثم قال بعد ذكر رواية له: روىٰ عنه ابن عائشة فلست أدري أوضعها أو أقلب عليه، وأيما كان من ذلك فهو ساقط الاحتجاج به لما أتىٰ مما لا أصل له في الروايات علىٰ الأحوال كلها.

ـ نقل الخطيب في تاريخ بغداد[٤]، عن محمّد بن يحيىٰ قال: سألت عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبي معاوية الزعفراني عبد الرحمن بن قيس فقال: كان عبد الرحمن بن مهدي يكذبه ونقل أيضاً عن سعيد بن عمرو البرذعي قال: سألت أبا زرعة قلت: عبد الرحمن بن قيس؟ قال: كذاب. وعن عبد المؤمن بن خلف النسفي عن أبي علي صالح بن محمّد قال: الزعفراني كان يضع الحديث.

ـ كما ضعفه العقيلي[٥]

ـ وقال عنه السمعاني[٦]: "كان ممن يقلب الأسانيد".

ـ وفي السند محمّد بن عمرو وهو الآخر لم يسلم من قدح، قال الشوكاني[٧]: "قد تكلم فيه غير واحد".

ـ قال الهيثمي[٨]: اختلف في الاحتجاج به.

ـ وقال الرازي[٩]: "سئل يحيىٰ بن معين عن محمّد بن عمرو، فقال: ما زال الناس يتقون

---

(١) ـ الضعفاء والمتروكين، النسائي: ص ٢٠٦.
(٢) ـ الجرح والتعديل، الرازي: ٥/ ٢٧٨.
(٣) ـ كتاب المجروحين، ابن حبان: ٢/ ٥٩.
(٤) ـ تاريخ بغداد: ١٠/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠.
(٥) ـ ضعفاء العقيلي: ٢/ ٣٤٢ التسلسل ٩٤١.
(٦) ـ الأنساب، السمعاني: ٣/ ١٥٣.
(٧) ـ نيل الأوطار، الشوكاني: ٥/ ٢٤٩.
(٨) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ٢/ ٣٣.
(٩) ـ الجرح والتعديل: ٨ ص٣٠ ـ ٣١ ت ١٣٨.

حديثه. قيل له ما علة ذلك قال: كان محمّد بن عمرو يحدث مرة عن أبي سلمة بالشيء رأيه، ثم يحدث به مرة أخرىٰ عن أبي سلمة عن أبي هريرة ".

ـ ونقل محمّد بن سورة[١]: عن علي المديني قوله: سألت يحيىٰ بن سعيد عن محمّد بن عمرو قال تريد العفو أو تشدد، فقال لا بل أشدد، قال ليس هو ممن تريد.

ـ ونقل العقيلي[٢] عن يحيىٰ قوله: "لم يكونوا يكتبون حديث محمّد بن عمرو حتىٰ اشتهاها أصحاب الأسناد فكتبوها".

ـ **أما متن الرواية**: فبعده عن الواقع أظهر من أن يحتاج إلىٰ مزيد بيان ولا شك في أن الذي نسجه لإطفاء غائلة تعصبه العروبي، أخذه من قول رسول الله (ﷺ) في علي (عليه السلام): "من أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله ". المذكور في الكتب الروائية لأغلب المذاهب الإسلامية وبأسانيد متعددة ومنها:

١ـ أمالي الشيخ الطوسي ص ٣٠٩ الحديث ٦٢٣.

٢ـ الأحكام للإمام يحيىٰ بن الحسين ٢/٥٥٥.

٣ـ المعجم الكبير للطبراني ١/ ٣١٩ و٢٣/ ٣٨٠ عن أم سلمة.

٤ـ كنز العمال للمتقي ١١/٦١٠ الحديث ٣٢٩٥٣ عن عمار بن ياسر وفي ١١/٦٢٢ الحديث ٣٣٠٢٤ عن أبي رافع وأم سلمة.

٥ـ الكامل لعبد الله بن عدي ٤/ ٣٤٩ عن يعلي بن مرة الثقفي.

٦ـ مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٠٨ و١٢٩ و١٣٢.

٧ـ لسان الميزان لابن حجر ٦/ ١٢٠ الحديث ٤١٣ عن ابن مسعود مرفوعا.

٨ـ تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢/٢٤٠ و٢٧٠ و٢٧١ و٢٨٤.

٩ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣/ ٣٤.

الحديث الخامس

قال رسول الله (ﷺ):

"حُب قُريش إيمان وبغضهم كفر وحب العرب إيمان وبغضهم كفر فمن أحب العرب فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني"

ـ **سند الرواية:** الطبراني: حدثنا أبو مسلم قال حدثنا معقل بن مالك الباهلي قال حدثنا

(١) ـ علل الترمذي، ص ٣٩ التسلسل ٤٠٥٨.

(٢) ـ ضعفاء العقيلي: ٤ ص١٠ ـ ١١ ت ١٦٦٧.

الهيثم بن جماز عن ثابت عن أنس. وذكرت الرواية في الكتب التالية:

١ـ المعجم الأوسط للطبراني ج٣ / ٧٦.

٢ـ الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ج ١ / ٥٦٧ الحديث ٣٦٦٦.

٣ـ كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٢ / ٤٥ الحديث ٣٣٩٢٥

٤ـ مجمع الزوائد للهيثمي ج ١ / ٨٩ وج١٠ / ٢٧ و٧٣

٥ـ ضعفاء العقيلي للعقيلي ج ٤ / ٣٥٥.

ـ مناقشة السند:

ـ قال الهيثمي[١]: "رواه البزاز والطبراني وفيه الهيثم بن جماز، ضعفه أحمد ويحيىٰ بن معين والبزاز وفي مكان آخر قال: وهو متروك.

ـ قال العقيلي[٢]: "الهيثم بن جماز حديثه غير محفوظ، حدثنا محمّد حدثنا عباس قال: سمعت يحيىٰ قال: الهيثم بن جماز ضعيف".

ـ وضعفه أيضاً ابن حزم[٣] وقال: ضعيف؛ وكذا علي بن الجعد[٤].

ـ قال ابن أبي شيبة[٥]: وسمعت علياً وسئل عن الهيثم بن جماز فقال: كان عند أصحابنا ضعيفاً.

ـ قال الآجري[٦]: قلت لأبي داود: الهيثم بن جماز؟ فقال: ضعيف.

ـ قال عمرو بن أبي عاصم[٧]: الهيثم هذا متروك فلا يستشهد به.

ـ وفي تاريخ ابن معين[٨] قال ليس بشيء وفي مكان آخر قال ضعيف.

ـ قال الرازي[٩]: سئل احمد بن حنبل عن الهيثم بن جماز، فقال: منكر الحديث.

ـ وذكر ابن حبان في المجروحين[١٠] إن الهيثم بن جماز: غفل عن الحديث والحفظ واشتغل بالعبادة حتىٰ كان يروي المعضلات عن الثقات توهماً فلما ظهر ذلك منه بطل الاحتجاج به.

---

(١) ـ مجمع الزوائد:ج١/٨٩ج١٠ص٥٧، ص٧٣

(٢) ـ ضعفاء العقيلي، العقيلي: ج ٤ /٣٥٥.

(٣) ـ المحلى، ابن حزم: ٢ /٣٥.

(٤) ـ مسند ابن الجعد: ص ٤٨٨.

(٥) ـ سؤالات ابن أبي شيبة: ص ١٧١.

(٦) ـ سؤالات الآجري: ج٢ ص٥٩ ت١١٢٣.

(٧) ـ كتاب السنة، ابن أبي عاصم: ص ٣٨٥.

(٨) ـ تاريخ ابن معين: ص٢٢٣ ت ٨٤٤.

(٩) ـ الجرح والتعديل، الرازي: ٩ /٨١.

(١٠) ـ المجروحين، ابن حبان: ٣ /٩١.

ـ وفي السند أيضاً معقل بن مالك وهو الآخر لم يسلم من القدح فقد ذكر الهيثمي[(١)] قول الأزدي انه متروك.

ـ قال الذهبي[(٢)]: قال الأزدي وغيره منكر الحديث. وكيف كان فما قيل في شيخه الهيثم بن جماز كاف في سقوط الرواية سيما مع انفراده بها وعدم وجود مؤيد لها مضافا إلىٰ مخالفتها لروايات قوية.

علماً أن الرواية مسبوكة صدراً وعجزاً علىٰ غرار ما جاء في علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ أما صدره فمن قوله (صلى الله عليه وآله): "**حب علي إيمان وبغضه كفر** [أو نفاق]" رواها القندوزي في ينابيع المودة ١/١٧٣، وزيد بن علي في مسنده ص٤٥ بلفظة نفاق بدل كفر، وبلفظ النفاق جاء أيضاً في كنز العمال ١١/ ٦١٤ ح٣٢٩٨١ عن الديلمي عن أبي ذر وكذا في كشف الخفاء للعجلوني ١/ ٢٠٤. أما عجزه فمن حديث سلمان إذ قال له رجل ما أشد حبك لعلي؟ قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول "**من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني**"[(٣)]. وما جاء في حق الحسنين[(٨)]: "**من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني**"[(٤)].

وقد نسج علىٰ هذا المنوال أحاديث كثيرة منها علىٰ سبيل المثال: "حب الأنصار إيمان وبغضهم نفاق" وفي بعضها كفر، ثم: "حب العرب إيمان وبغضهم نفاق" وفي بعضها كفر، ثم: "حب قُريش إيمان وبغضهم كفر"، ثم: "حب بني سليم إيمان وبغضهم نفاق"، ثم انتقلت إلىٰ الأفراد مثل: "حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما نفاق". ثم: "إن الله أمرني أن أتخذ أبا بكر وزيراً وعمر مشيراً وعثمان سنداً وعلياً ظهراً هؤلاء أربعة أخذ الله ميثاقهم في أم الكتاب فهم خلائف نبوتي وعقدة ذمتي وحجتي علىٰ أمتي لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فاجر ردي ".

---

(١) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ٨/ ١٣٢.

(٢) ـ ميزان الاعتدال: ٤/١٤٧ تسلسل ٨٦٦٥.

(٣) ـ رواه الخوارزمي في المناقب ص٦٩ ح٤٤ والسيوطي في الجامع الصغير: ج٢ ص٥٥٤ ح٨٣١٩٤، والمتقي في كنز العمال: ج١١ ص٦٠١ ح٣٢٩٠٢، والحاكم في المستدرك: ج٣ ص١٣٠ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وغيرهم أيضاً.

(٤) ـ رواه احمد بن حنبل في الفضائل: ص٢٠ عن أبي هريرة والصنعاني في المصنف ٣/٤٧٢ ح٦٣٦٩ وابن راهويه في مسنده: ج١ ص٢٤٨ وأبي يعلي في مسنده: ج١١ ص٧٨ والطبراني في المعجم الكبير ٣/٤٧ ح٢٦٤٥ ـ ٢٦٤٨، والسيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٥٤ ح٨٣١٨ وغيرهم.

ولا أدري لماذا اختلف المهاجرون والأنصار علىٰ الخلافة مع وجود مثل هذا الحديث ولماذا تشكلت السقيفة ولماذا تنازعوا وقالوا منا أمير ومنكم أمير ولماذا قال الخليفة الثاني كانت خلافة أبي بكر فلتة ولماذا وقعت تلك الأحداث التي مزقت شمل المسلمين إلىٰ يومنا هذا، فهذه الروايات بمجموعها تدل علىٰ حملة استنساخ واسعة لمضمون واحد يرجع في الأصل إلىٰ حديث صحيح واحد لا نراه إلا ما ورد في فضل أهل البيت (عليهم السلام).

الحديث السادس

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): **"لا يبغض العربَ إلّا منافق "**

عن إسماعيل بن عياش عن زيد بن جبيرة عن داود بن الحصين عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه: وذكره أحمد في المسند[١] وابن عدي في الكامل[٢] وغيرهما.

في سند الرواية زيد بن جبيرة المجمع علىٰ ضعفه وقد قيل فيه:

١ـ قال أبو نعيم الإصبهاني[٣]: منكر الحديث متروك.

٢ـ وقال ابن حبان[٤]: منكر الحديث يروي المناكير عن المشاهير فاستحق التنكب عن روايته.

٣ـ وعن ابن عبد البر[٥]: أجمعوا علىٰ أنه ضعيف.

٤ـ وقال ابن عدي[٦]: منكر الحديث، عامة ما يرويه عن من روىٰ عنهم لا يتابعه عليه أحد.

٥ـ وقال البخاري[٧] في التاريخ الكبير والضعفاء الصغير: منكر الحديث.

وفي السند أيضاً داود بن الحصين المدني مولىٰ عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي، وهو أيضاً مختلف فيه كثيراً بين من وثقه وبين من ضعفه، وفيما يلي بعض الأقوال التي ذكرت في قدحه:

ـ نقل الرازي عن علي بن المديني قوله: "سمعت سفيان بن عيينة يقول كنا نتقي حديث داود بن الحصين"[٨].

ـ وقال الفتني في تذكرة الموضوعات: "متهم بالوضع"[٩].

---

(١) ـ مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ١ /٨١.

(٢) ـ الكامل ـ عبد الله بن عدي: ٣ /٢٠٣.

(٣) ـ الضعفاء، الإصبهاني: ص٨٤ ت ٧٧.

(٤) ـ كتاب المجروحين، ابن حبان: ١ /٣٠٩.

(٥) ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر: ٣ /٣٤٦.

(٦) ـ الكامل، ابن عدي: ٣ /٢٠٢ـ٢٠٤.

(٧) ـ التاريخ الكبير: ٣ /٣٩٠ تسلسل ١٢٩٩ والضعفاء الصغير: ص٥٠ تسلسل ١٢٥.

(٨) ـ الجرح والتعديل، الرازي: ١ /٤٠.

(٩) ـ تذكرة الموضوعات، الفتني: ص ٢١٨.

ـ وقال الذهبي انفرد بأشياء[١] ونقل عن أبي حاتم قوله: لولا أن مالكاً روىٰ عنه لترك حديثه. وقال: انه رميَ بالقدر[٢] وعن ابن حبان انه يذهب مذهب الشراة أي؛ «**الخوارج**»[٣]

ـ وقال الرازي: سئل أبو زرعة عن داود بن الحصين فقال: هوَ لين[٤].

ـ وذكر سليمان بن خلف الباجي انه: سئل علي بن المديني عن داود بن الحصين فقال: ما روىٰ عن عكرمة فمنكر الحديث. ونقل قول أبي حاتم: لين ليس بالقوي ولولا أن مالكا روىٰ عنه لترك حديثه[٥].

ـ وفي سند هذا الحديث أيضاً إسماعيل بن عياش وفيه هو الآخر كلام، فقد ضعفه النسائي[٦]، ونقل الطبسي عن الجوزجاني قوله: كان إسماعيل أروىٰ الناس عن الكذابين، وعن ابن خزيمة انه لا يحتج به[٧].

ـ كما ضعفه ابن حزم[٨]، وقال الخطيب البغدادي كان إسماعيل قد قدم بغداد علىٰ أبي جعفر المنصور وولاه خزانة الكسوة وحدث ببغداد حديثا كثيراً، ثم نقل عن عمير بن بحير قوله: سألت محمّد بن إسماعيل البخاري عن إسماعيل بن عياش فقال: إن حدث عن أهل بلده فصحيح وإذا حدث عن غير أهل بلده ففيه نظر، كما نقل عن عبد الرحمن بن يوسف بن خراش قوله: إسماعيل ضعيف الحديث[٩].

ومما تقدم يظهر انه حديث من ضعيف عن ضعيف عن ضعيف ولا اعتبار به. وهذا الحديث هو تحوير من الحديث الوارد في حق علي بن أبي طالب (عليه السلام) والذي رواه المحدثون من الفريقين بطرق متعددة: "**يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**".

---

(١) ـ ميزان الاعتدال، الذهبي: ٢/٥ ت ٢٦٠٠

(٢) ـ ميزان الاعتدال، الذهبي: ٢، ٦.

(٣) ـ «**الخوارج**»: فرقة ظهرت في النصف الأول من القرن الأول الهجري، وبالتحديد أثناء حرب صفين التي دارت رحاها بين أمير المؤمنين عليٍّ (عليه السلام) ومعاوية بن أبي سفيان. وكان ظهورهم العلني بعد رفع جيش معاوية المصاحف بمشورة عمرو بن العاص؛ بعد أن تيقن الهزيمة. فكرهوا الحكم والتحكيم وقالوا: «لا حُكم الّا لله» وكفَّرو علياً (عليه السلام) وخرجوا عن إمرته وخلافته، وكفّروا معاوية ومن رضي بالتحكيم. وسُمِّي الخوارج بأسماءٍ، منها: الحرورية، والشراة، والمارقة، ولهم عدّة فِرَق، هي: الأزارقة، والنجدية، والصفرية، والإباضية.

(٤) ـ الجرح والتعديل، الرازي: ٣ /٤٠٩.

(٥) ـ التعديل والتجريح، الباجي: ٢ /٥٨٣.

(٦) ـ الضعفاء والمتروكين، النسائي: ص ١٥١.

(٧) ـ النفي والتغريب، الطبسي: ص ٦٧.

(٨) ـ المحلى، ابن حزم: ١/٢٦٥ و٤/ ١٥٤.

(٩) ـ تاريخ بغداد: ٦ /٢١٩ تسلسل ٣٢٧٦.

ذكر هذا الحديث في كثير من كتب الرواية السنية نذكر منها:

١ ـ صحيح مسلم: ج١/٦٠ عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش عن علي.

٢ ـ مسند أحمد: ١/ ٩٥ و١٢٨ عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش عن علي

٣ ـ سُنن ابن ماجة: ١/ ٤٢ الحديث ١١٤، أيضاً عن زر بن حبيش.

٤ ـ سُنن الترمذي: ٥/ ٣٠٦ الحديث ٣٨١٩ قال حديث حسن صحيح.

٥ ـ سُنن النسائي: ٨/١١٥ـ١١٦.

٦ ـ مسند أبي يعلي: ١٢/ ٣٣١ ح ٦٩٠٤ عن مساور عن أمه عن أم سلمة.

٧ ـ مجمع الزوائد للهيثمي: ٩ / ١٣٣، عن ابن عباس وعن عمران بن حصين.

٨ ـ المعجم الأوسط للطبراني: ٣٣٧/٢ و٨٧/٥ عن عمران بن حصين وعن ابن عباس.

وغيرها من الكتب المعتمدة عندهم فضلا عن أسانيدها في كتب الشيعة. وربما كانت هذه الرواية وغيرها مما نذكر هي من مصاديق ما اشتهر عن الأمويين من وضع أحاديث لتضييع ما ورد من فضائل في حق علي بن أبي طالب وأهل البيت (عليهم السلام).

الحديث السابع

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): **"من لم يعرف حق عترتي والأنصار والعرب فهؤلاء أحد ثلاثة إما منافق وإما لزنية وإما حملته أمه علىٰ غير طهر"** ذُكر الحديث في:

ـ كنز العمال ١٠٤/١٢ الحديث ٣٤١٩٩.

ـ نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص ٢٣١.

ـ كشف الخفاء للعجلوني ٥٤/١ الحديث ١٣٣.

ـ ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ١٠٠.

ـ الكامل لابن عدي ٣/ ٢٠٣.

ـ طبقات المحدثين باصبهان عبد الله بن حبان ٤١٥/٣.

وأسانيد الجميع تنتهي إلىٰ: إسماعيل بن عياش عن زيد بن جبيرة الأنصاري عن داود بن حصين عن رافع مولىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن علي (عليه السلام).

ـ **مناقشة السند:** في سنده كما ذكر كل من:

١ ـ إسماعيل بن عياش: وهو الذي ولاه أبو جعفر المنصور خزانة الكسوة ببغداد، ضعفه النسائي وابن حزم وابن خراش قال عنه الجوزجاني: كان أرْوىٰ الناس عن

الكذابين وقال ابن خزيمة: لا يحتج به. راجع ترجمته في الحديث السادس.

٢ ـ زيد بن جبيرة: منكر الحديث، متروك، يروي المناكير عن المشاهير، مجمع علىٰ ضعفه، استحق التنكب عن روايته، وعامة ما يرويه عمن روىٰ عنهم لا يتابعه عليه أحد. ترجمناه في الحديث السادس فراجع.

٣ ـ داود بن حصين: متهم بالوضع، ينفرد بأشياء، رمي بالقدر، وقال ابن حبان: انه يذهب مذهب الشراة ـ يعني الخوارج ـ وقال أبو زرعة: لين، وقال المديني: ما رواه عن عكرمة فمنكر الحديث، وقال أبو حاتم: لولا أن مالكا روىٰ عنه لتركت حديثه. وتقدمت ترجمته في الحديث السادس.

وبهذا يتبين ضعف هذا الحديث الذي يرويه ضعيف عن ضعيف عن متهم بالوضع وكفىٰ بذلك دليلا علىٰ وهنه سنداً.

ـ **أما المتن:** فقد روي الحديث بمضامين مختلفة نذكرها للتبيين:

١ـ ورد الحديث في كتب الشيعة بالنص الآتي: "**من لم يحب عترتي فهو لأحد ثلاث...**" و "**من لم يعرف حق عترتي من الأنصار والعرب فهو لأحد ثلاث...**". ويؤيد هذا المضمون روايات كثيرة وبأسانيد مختلفة عن طرقهم، كما ذكر النص الثاني "من لم يعرف حق عترتي من الأنصار والعرب" في بعض كتب السُنّة أيضاً مما يؤيد ما ذكرته الشيعة. فقد قال القندوزي[١]: وأخرج أبو الشيخ والديلمي: "من لم يعرف حق عترتي من الأنصار والعرب فهو... الخ". ونقل المرعشي عن أبي الشجاع شيرويه بن شهريار الديلمي الحنفي[٢] قال: "وعن النبي (ﷺ): **من لم يعرف حق عترتي من الأنصار والعرب فهو...**"[٣]

٢ ـ وروي في بعض كتب أهل السُنّة ثم نقله بعض الشيعة عنهم بالنص التالي: "**من لم يعرف حق عترتي والأنصار فهو لأحد ثلاث...** الخ". نقل ذلك المرعشي عن السيوطي في كتابه "إحياء الميت" المطبوع بهامش الإتحاف ص١١١: قال: أخرج ابن عدي والبيهقي في شعب الإيمان عن علي قال: قال رسول الله (ﷺ): من لم يعرف حق عترتي والأنصار فهو لإحدىٰ ثلاث...الخ" [٤].

٣ ـ وورد في كتب السُنّة أيضاً بالنص المذكور في العنوان بزيادة والعرب في متن الحديث

(١) ـ ينابيع المودة، القندوزي: ٢ /٤٥٩.
(٢) ـ في فردوس الأخبار ص٥٣.
(٣) ـ شرح إحقاق الحق، المرعشي: ٢٤ /٣٧٨.
(٤) ـ شرح إحقاق الحق، المرعشي: ٩ /٥١٧.

"من لم يعرف حق عترتي والأنصار والعرب" وقد ذكرنا من نقل ذلك منهم الحديث بهذا النص. **أما النص الأخير** فيشكل قبوله للوهن الشديد في سنده وفقدان المؤيد الصحيح، بل يغلب علىٰ الظن أن إضافة كلمة العرب في النص هو من حشو أحد الرواة سيما مصدره الأول عن رافع وهو: داود بن حصين المتهم بالوضع. **والنص الثاني** أيضاً يبعده قوة النص الأول، فالحديث وارد أساساً في فضل العترة النبوية ولو تتبعنا تعامل الرسول (صلى الله عليه وآله) في أحاديثه الواردة في فضل أهل بيته وعترته ووقفنا علىٰ سعيه الدؤوب في تحديدهم وعدم إشراك أحد معهم فيما يقول عنهم كما يؤيده الكثير من روايات الفضل مثل حديث الكساء حيث لم يسمح لأم سلمة الدخول معهم وقوله لها مكانك أنت بخير أو إلىٰ خير لعلمنا أن هذا الحديث أيضاً مثل بقية أحاديث الباب لا سيما وأن الحديث بنصه الأول المروي في كتب الشيعة يؤيده في مضمونه الكثير من الروايات المشابهة ونذكر للتأييد بعض تلك الروايات:

ـ منها ما ورد في علي (عليه السلام) من أنه "**لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق**" أو "**لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**". وهي صحيحة ذكرها؛ أحمد في المسند[١] ومسلم في الصحيح[٢] وابن ماجة في سننه[٣] والترمذي[٤] والمتقي في كنزه[٥] وابن عساكر في تاريخه[٦] وابن كثير[٧] والمزي[٨] وذكرها أيضاً النسائي[٩] وغيرهم كثير فضلاً عن كتب الحديث عند الشيعة.

ـ ومنها قوله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): "**لا يبغضك من العرب إلا دعي ولا من الأنصار إلا يهودي ولا من سائر الناس إلا شقي**" ذكره؛ أبو بكر أحمد بن مردويه في مناقب علي[١٠] والخوارزمي في المناقب[١١] والجويني في فرائد السمطين[١٢].

ـ ونقل الأميني ذلك عن الدارقطني وشيخ الإسلام الحموي في فرائده بإسنادهما عن أنس وفيه: قال النبي (صلى الله عليه وآله) للسائل الذي سأل عن بغض علي (عليه السلام): "**يا أخا**

(١) ـ مسند أحمد، احمد بن حنبل: ٦/٢٩٢.
(٢) ـ صحيح مسلم: ١ /٦١.
(٣) ـ سُنن ابن ماجة: ١/ ٤٢.
(٤) ـ سُنن الترمذي: ٥ /٣٠٦.
(٥) ـ كنز العمال، المتقي الهندي: ١١ /٦٣٢.
(٦) ـ تاريخ دمشق، ابن عساكر: ٤٢ /٢٧٩.
(٧) ـ البداية والنهاية، ابن كثير ـ ٧ /٣٩١.
(٨) ـ تهذيب الكمال، المزي: ١٥ /٢٣٢.
(٩) ـ سُنن النسائي: ٨ /١١٦.
(١٠) ـ مناقب علي، أبن مردويه: ٢٧٢.
(١١) ـ المناقب، الخوارزمي: ٢٣٢.
(١٢) ـ فرائد السمطين، الجويني: ١ /١٨٠.

الأنصار: لا يبغضه من قُريش إلا سفحي ولا من الأنصار إلا يهودي ولا من العرب إلا دعي ولا من سائر الناس إلا شقي" ثم قال الأميني: "ضعفه السيوطي بإسماعيل بن موسىٰ لكونه شيعياً وقد ذكره ابن حبان في الثقاة وقال النسائي لا بأس به وعن أبي داود انه صدوقاً في الحديث وروىٰ عنه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد وأبو داود والترمذي وابن ماجة وابن خزيمة والساجي وأبو يعلي وغيرهم ولم يذكر غمز فيه عن أحد هؤلاء الأعلام".

ـ ومنها قوله (ﷺ) في أهل بيته: "**لا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد ولا يبغضهم إلا شقي الجد رديء الولادة**" رواه الخوارزمي في المناقب[١] وابن الدمشقي في جواهر المطلب[٢]. وغيرهما مضافا إلىٰ كتب الشيعة.

ـ ومنها ما عن أم سلمة من قوله (ﷺ): "ما يبغضكم إلا ثلاثة..."

ـ ومنها ما رواه جابر عن علي (عليه السلام) من أنه: "لا يبغضه إلا ثلاثة".

هذه الروايات وغيرها كلها مؤيدة للنص الأول وهي تدل علىٰ أن أصل الحديث هو ما ورد في حق أهل البيت (عليهم السلام) دون إشراك للأنصار أو العرب في هذه الفضيلة.

الحديث الثامن

قال رسول الله (ﷺ): "**والذي نفسي بيده ما أنزل الله وحياً قط علىٰ نبي بينه وبينه إلا بالعربية ثم يكون هو بعد يبلغه قومه بلسانه**" رواه الطبراني في المعجم الأوسط[٣] عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن حكي عن أبيه عن العباس بن الفضل عن سليمان بن أرقم عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة.

ورواه ابن عدي في الكامل[٤] عن إبراهيم بن علي العمري عن عبد الغفار بن عبد الله بن الزبير عن العباس بن الفضل الأنصاري. ولم يرو هذا الحديث عن الزهري إلاّ سليمان بن أرقم وتفرد به العباس بن الفضل.

ـ **في سنده:** سليمان بن أرقم، المجمع علىٰ ضعفه وفيما يلي بعض أقوال العلماء فيه:

١ ـ قال ابن حبان[٥]: كان ممن يقلب الأخبار ويروي عن الثقات الموضوعات.

(١) ـ المناقب، الخوارزمي: ص٢٩٧ ح٢٩١.
(٢) ـ جواهر المطلب؛ ابن الدمشقي: ١/ ١٧٤.
(٣) ـ المعجم الأوسط، الطبراني: ٥/ ٤٧.
(٤) ـ الكامل، عبد الله بن عدي: ٣/ ٢٥١.
(٥) ـ كتاب المجروحين، ابن حبان: ١/ ٣٢٨.

٢ ـ قال النسائي[(١)]: ضعيف.
٣ ـ قال البخاري في تأريخيه[(٢)]: تركوه.
٤ ـ قال احمد بن حنبل: وسليمان لا يسوى شيئاً لا يروىٰ عنه الحديث[(٣)].
٥ ـ قال الفتني: متروك[(٤)]، وفي مكان آخر: يروي الموضوعات.
٦ ـ قال ابن حجر: متروك[(٥)].
٧ ـ قال الهيثمي: ضعيف، متروك[(٦)].
٨ ـ قال ابن حزم: سليمان مذكور بالكذب[(٧)].
٩ ـ قال ابن عبد البر: متروك الحديث عند جميعهم[(٨)].
١٠ ـ قال الدار قطني: سليمان بن أرقم متروك[(٩)].
١١ ـ قال ابن عدي: سليمان المذكور في هذا الإسناد هو سليمان بن أرقم أبو معاذ متروك الحديث والحديث منكر عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة بهذا الإسناد[(١٠)].
١٢ ـ نقل العقيلي عن محمّد بن عبد الله الأنصاري قوله: كنا ونحن شباب نُنهىٰ عن مجالسته، وذكر منه أمراً عظيماً[(١١)].
١٣ ـ قال الذهبي: سليمان بن أرقم واه وعن ابن معين قوله: سليمان لا يساوي فلساً[(١٢)]
١٤ـ وفي سؤلات الآجري لأبي داود، سأله عن سليمان قال: متروك الحديث[(١٣)].

وكفىٰ بما قدمنا التطويل في سقوط اعتبار هذا الحديث من جهة سليمان ابن أرقم. وفي السند أيضاً العباس بن الفضل الأنصاري وهو الآخر فيه كلام؛

ـ قال أبو داود: العباس بن الفضل ليس بشيء[(١٤)].

ـ نقل الرازي عن عبد الرحمن قال سألت أبي عن العباس بن الفضل الأنصاري، فقال منكر الحديث ضعيف الحديث. وعنه أيضاً: سئل أبو زرعة عن العباس بن الفضل

---

(١) ـ الضعفاء والمتروكين، النسائي: ١٨٥.
(٢) ـ الكبير، البخاري: ٤ /٢، والصغير ٢ /١٨٠.
(٣) ـ العلل، أحمد بن حنبل: ٢ /٦٧.
(٤) ـ تذكرة الموضوعات/الفتني: ١١٣ و١٥٧.
(٥) ـ تلخيص الحبير، ابن حجر: ٢ /٣٣٠.
(٦) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ٢ /٦٩ و١١٢.
(٧) ـ المحلى، ابن حزم: ٨ /٦.
(٨) ـ التمهيد، ابن عبد البر: ٦ /٩٦.
(٩) ـ علل الدار قطني: ٩ /١٠٨.
(١٠) ـ الكامل، عبد الله بن عدي: ٥ /٤.
(١١) ـ ضعفاء العقيلي: ٢ /١٢١.
(١٢) ـ تنقيح التحقيق، الذهبي: ٣٥٣/١.
(١٣) ـ سؤالات الآجري لأبي داود: ٢ /١٩٥.
(١٤) ـ سؤالات الآجري لأبي داود: ٢ /٢٧٤.

الأنصاري، فقال: لا يصدق[١].

ـ قال ابن حبان: وقع المناكير في أحاديثه، فلما كثر ذلك في روايته بطل الاحتجاج بأخباره[٢].

ـ **وأما متن الحديث وموضوعه**، فالجعل فيه واضح المعالم إذ لم ينقل من نبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء كلام بهذا المعنى، وهذا هو التعصب الأعمىٰ وعبادة الهوىٰ تسلب من المبتلى بها اللب وتسهل عليه اقتحام المهالك، وكأن واضع هذا الحديث أراد بهذه الكذبة الواضحة ترويج مذهبه العروبي ظنّاً منه أنه يؤدي حقا من زكاة القومية وإن كانت صدقته هذه علىٰ حساب الدين والسُنّة النبوية.

لقد ابتلي الإسلام والمسلمون منذ صدر الإسلام بالكثير من أشباه هذا البطل القومي والذين كانوا السبب في تضعيف المسلمين وتشتيت شملهم بل وفي ضياع الإسلام، فما كان ظلم قُريش وعدائها لأهل بيت النبوة صلوات الله عليهم إلا علىٰ هذا الأساس بعد دركهم أن إسلام محمّد (ﷺ) سوف يهمّش دور العنصريين من العرب وهم أسياد الجزيرة بعد أن أزال الفوارق بين الملل وأعلن قانون "**لا فضل لعربي علىٰ أعجمي إلا بالتقوى**"، وهو ما حملهم بادئ الرأي إلىٰ الاستغناء عن سنته صلوات الله وسلامه عليه بشعارهم المعروف "**حسبنا كتاب الله**" وبِسنِّ قانون حرمة كتابة الحديث مع علمهم أن كلام النبي (ﷺ) هو من وحي السماء "وما ينطق عن الهوى".

فلا يضير الذين لا يؤمنون بالسُنّة المحمّدية أن ينسبوا إليه ما شاءوا من أقوال ما دامه يخدم مصالح قومهم، فليكن الله عربياً وأنبياؤه عرباً وأولياءه وأحباءه العرب وكتبه السماوية بلغة العرب بل لا يتكلم (سبحانه وتعالى) بغير العربية ولا يدخل جنته غير العرب ولا سيادة إلا للعرب أما باقي خلق الله فهم العبيد ونستجير بالله من طيش الفكر وغلبة الهوى.

الحديث التاسع

قال رسول الله (ﷺ): "**إن الله تعالىٰ إذا رضي أنزل الوحي بالعربية وإذا غضب أنزل الوحي بالفارسية**" ذكره عبد الله بن عدي في الكامل[٣] والفتني في تذكرة الموضوعات[٤] وابن الجوزي في الموضوعات[٥].

---

(١) ـ الجرح والتعديل، الرازي: ٦ /٢١٣.

(٢) ـ كتاب المجروحين، ابن حبان: ٢ /١٨٩.

(٣) ـ الكامل، عبد الله بن عدي: ٥ /١٠.

(٤) ـ تذكرة الموضوعات، الفتني: ١١٣.

(٥) ـ الموضوعات، ابن الجوزي: ١ /١١٠.

ـ **أما السند:** ذكره ابن عدي كالآتي: حدثنا عمران بن موسىٰ وأحمد بن حفص قالا حدثنا موسىٰ بن السندي قال حدثنا أبو عبد الرحمن الحراني وهو عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي قال حدثنا عمر بن موسىٰ بن وجيه عن القاسم عن أبي أمامة.

واختلاق هذا الحديث لا يحتاج إلىٰ بيان، لكننا نسرد بعض الكلام فيه سنداً ومتنا للتنوير ليس إلا، وليعلم أن هذه الرواية جاءت محورة معكوسة في لسان وضاعين آخرين نذكرها للاستئناس، فقد ذكر ابن الجوزي في الموضوعات[1] طريقين للحديث:

ـ **الأول:** عن إسماعيل بن أحمد السمرقندي أنبأنا إسماعيل بن مسعدة قال حدثنا حمزة بن يوسف قال أنبأنا أبو أحمد بن عدي الحافظ قال حدثنا إبراهيم بن علي الغمري قال حدثنا عبد الغفار بن عبد الله بن الزبير قال حدثنا العباس بن الفضل قال حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله (ﷺ): "**إن كلام الله [الذين] حول العرش بالفارسية الدرية وأن الله (ﷻ) إذا أوحىٰ أمرا فيه كون [لين] أوحاه بالفارسية الدرية وإذا أوحىٰ أمراً فيه شدة أوحاه بالعربية** ".

ـ **الثاني:** عن محمّد بن عبد الملك بن خيرون أنبأنا إسماعيل بن مسعدة قال أنبأنا عمر الفارسي أنبأنا أبو أحمد بن عدي حدثنا عمران بن موسىٰ حدثنا موسىٰ بن السندي حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرايقي حدثنا عمر بن موسىٰ بن وجيه عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله (ﷺ): "**إن الله (ﷻ) إذا غضب أنزل الوحي بالعربية وإذا رضي أنزل الوحي بالفارسية**".

ـ قال ابن عدي في الحديث الذي رواه بسنده انه: منكر جداً.

ـ وقال الفتني أيضاً أن الحديث: باطل لا أصل له.

ـ وأما ابن الجوزي فقال بالنسبة إلىٰ سنده بطريقيه: هذا حديث موصول ففي طريقه الأول جعفر بن الزبير وفي طريقه الثاني عمر بن موسى، قال يحيىٰ بن معين: كلاهما ليس بثقة.

ـ وقال النسائي والدار قطني: كلاهما متروك.

ـ وقال أبو حاتم بن حسان الحافظ: كان عمر في عداد من يضع الحديث، قال وهذا الحديث باطل لا أصل له.

---

(١) ـ المصدر السابق.

ـ ونقل ابن عساكر عن أحمد بن عدي قال: هو بيّن الأمر في الضعفاء وهو في عداد من يضع الحديث[١].

ـ وقال البخاري: منكر الحديث[٢].

ـ **أما بالنسبة إلىٰ متن الحديث**، فظهور آثار أنامل الوضع فيه واضح بكلتا صيغتيه، وأن الله (سبحانه وتعالى) أجل عن وصف هذا المتطفل الذي اكتفىٰ بلصق ما سطّره بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هرباً من المطالبة بتوضيح لهذا الغيب الذي لم يعهد الإخبار به من كتاب منزل أو نبي مرسل ظنّاً منه أن الإشاعة قد تنطلي علىٰ كثير من المغفلين وتمهد لإيجاد أرضية لاستقطاب من اغتر بمثله للالتفاف حول دين العروبة الذي نشأ من تعلق الأهواء بالقومية، هذا الدين الذي رفع علم استقلاله مقابل دين الإسلام وإن تبجح أنصاره باسم الإسلام وسعوا في تذويب الإسلام فيه كما تدل شعاراتهم التي غلّفت بقالب الحديث النبوي كما يتّضح في الروايات الكثيرة التي نذكرها لاحقاً.

الحديث العاشر

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "أحبوا العرب وبقاءهم، فان بقاءهم نور في الإسلام، وإن فناءهم ظلمة في الإسلام" وفي نص آخر: "أحبوا العرب وبقاءهم وصلاحهم فإن صلاحهم نور في الإسلام...". ذكره المتقي في الكنز[٣] والعجلوني[٤] وابن حبان[٥] والحافظ الأصبهاني[٦]. والجميع بإسنادهم عن أبي الزفر عن أحمد بن يونس عن محمّد بن عبد الصمد بن جابر الضبي عن أبيه عبد الصمد بن جابر عن عطاء ابن أبي ميمونة عن أبي هريرة.

ـ **وفي السند**: محمّد بن عبد الصمد،

ـ قال الرازي[٧]، حدثنا عبد الرحمن قال سألت أبي عنه فقال لا أعرفه والأحاديث التي رواها عن أبيه مناكير.

ـ وقال الذهبي: صاحب مناكير، ولم يترك حديثه[٨].

وفي السند أيضاً أبوه عبد الصمد بن جابر؛

---

(١) ـ تاريخ دمشق، ابن عساكر: ٤٥ /٣٥٠.
(٢) ـ التاريخ الكبير، البخاري: ٦ /١٩٧.
(٣) ـ كنز العمال: ١٢ /٤٣ الحديث ٣٣٩١٧.
(٤) ـ كشف الخفاء، العجلوني: ١ /٥٤.
(٥) ـ طبقات المحدثين باصبهان: ٢٧٣/٤ ت ٦٦٣.
(٦) ـ ذكر أخبار إصبهان، الإصبهاني: ٢ /٣٤٠.
(٧) ـ الجرح والتعديل، الرازي: ٨ /١٦.
(٨) ـ ميزان الاعتدال، الذهبي: ٣ /٦٢٨.

ـ قال الهيثمي: ضعيف[١].

ـ قال ابن حبان: يخطئ كثيراً[٢].

ـ وسئل يحيىٰ بن معين عنه فقال: ضعيف.

ـ وقال ابن حجر: صاحب مناكير ولم يترك حديثه[٣].

وفي السند أيضاً؛ عطاء بن أبي ميمون، قال عنه؛

ـ أحمد بن حنبل: كان يرىٰ القدر[٤]، وكذلك ابن سعد في الطبقات[٥].

ـ ونقل ابن عدي، عن أحمد بن محمّد، قال: سمعت يحيىٰ بن معين يقول عطاء بن أبي ميمون قدري وابنه قدري[٦].

ـ وقال العقيلي في الضعفاء، عن حماد بن يزيد: "كان عطاء بن أبي ميمون ممن ألقىٰ إلىٰ الحسن ذلك الرأي ـ يعني القدرـ"[٧].

وأما مضمون الحديث، فيبدو ـ والله العالم ـ أنه تحريف من الرواية التي رواها الرامهرمزي بسنده عن عطاء عن أبي هريرة قال: "قال رسول الله (ﷺ): **جند الله أهل المعروف وبقاؤهم نور في الإسلام وفناؤهم ظلمة**" [٨]. وأي كان فضعف سند الحديث وتعدد مضمونه يسقطانه عن الاعتبار فلا يمكن الاحتجاج به في موضوع تفضيل العرب.

الحديث الحادي عشر

عن النبي (ﷺ):"من سب العرب فأولئك هم المشركون "

ذكره: عبد الله بن عدي في الكامل[٩]، والمتقي في الكنز[١٠]، والسيوطي في الجامع الصغير[١١]، والخطيب في تاريخ بغداد[١٢]، والعقيلي في الضعفاء[١٣]. وهو حديث يتيم لم يرو إلا عن معمر بن محمّد عن مكي بن إبراهيم عن مطرف بن مقبل عن ثابت عن أنس عن عمر بن الخطاب.

---

(١) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ٥ /٣١٠.

(٢) ـ المجروحين، ابن حبان: ١٥٠/٢.

(٣) ـ لسان الميزان، ابن حجر: ٥ /٢٥٩.

(٤) ـ العلل، أحمد بن حنبل: ٣ /٧٧.

(٥) ـ الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٧ /٢٤٥.

(٦) ـ الكامل، عبد الله بن عدي: ٥ /٣٦٨.

(٧) ـ ضعفاء العقيلي: ٣ /٤٠٣.

(٨) ـ الحد الفاصل، الرامهرمزي: ص ٣٣٤.

(٩) ـ الكامل، عبد الله بن عدي: ٦ /٣٧٩.

(١٠) ـ كنز العمال، الهندي: ١٢ /٤٤ ح٣٣٩١٩.

(١١) ـ الجامع الصغير/السيوطي:٦٠٨/٢ ح٨٧٣٣

(١٢) ـ تاريخ بغداد/ البغدادي: ٢٩٣/١٠.

(١٣) ـ ضعفاء العقيلي: ٤ /٢١٧.

ـ قال الذهبي: "موضوع، قال معمر خصني مكي بهذا الحديث"[١] وحق أن يكون كذلك إذ لا وجود للخبر قبل نقل معمر، ولم يعتمد بعده إلا من ذكره إما استئناساً، أو رغبة في تكديس الضعاف لتكون بمجموعها حسناً، وكأن الخير في كثير من نجواهم.

ـ وقال ابن عدي: "حديثه عن ثابت عن أنس عن عمر منكر".

ـ وقال العقيلي: "مطرف بن مقبل عن ثابت منكر الحديث لا يتابع علىٰ حديثه".

ـ وقال المناوي في شرح الحديث من الجامع الصغير: "ظاهر صنيع المصنف إن البيهقي خرجه وأقرّه، والأمر بخلافه فإنه عقبه بيان حاله فقال: تفرد به مغفل هذا وهو منكر بهذا الإسناد، وفي كلام الذهبي إشارة إلىٰ أن هذا الخبر موضوع فانه قال في الضعفاء والمناكير: مطرف بن مغفل عن ثابت له حديث موضوع ثم ساق هذا الخبر بعينه"[٢]

الحديث الثاني عشر

قال النبي (ﷺ): **"إن جبريل أتاني فقال: يا محمّد! إن الله أمرني أن آتىٰ مشارق الأرض ومغاربها وبرها وبحرها وسهلها وجبلها فآتيه بخير أهل الدنيا فوجدت خير أهل الدنيا العرب، ثم أمرني أن آتيه بخير العرب فوجدت خير العرب مضر"**

لم أجد نص هذا الحديث بعد بذل الجهد والبحث في كتب الرواية للمذاهب الإسلامية إلاّ في كنز العمال[٣] مختصراً السند بقوله: "الديلمي ـ عن ابن عباس". والذي يبدو أن هذا النص عبارة مصاغة علىٰ غرار فقرة مشابهة من رواية مفصلة أخرىٰ سنأتي علىٰ ذكرها لاحقاً، أراد صائغها إفراد الجزء الذي يخدم قضية العروبة المراد ترويجها وهي: أن العرب أمّة حضت بالإنتجاب الإلهي وعليه فهم شعب الله المختار، وهذا هو ما أدعاه بنو إسرائيل من قبل مع فارق أن أولئك قد أيّدهم الله تعالىٰ بقوله ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[٤]. ولم يأت مثل هذا النص في حق العرب، فبذلوا الجهد في خلقه من خلال السُنّة باعتبار أن السُنّة أيضاً وحي إذ لا ينطق النبي عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحى، لهذا نرىٰ السعي في هذا المجال واضح من خلال الروايات الكثيرة المبثوثة في كتب الحديث.

إن هذا التفاخر لم يكن مختصاً بالعرب بل هو دأب المغرورين من البشر في كل

(١) ـ ميزان الاعتدال، الذهبي:٤/١٢٦ت٨٥٨٣

(٢) ـ فيض القدير، المناوي: ٦ /١٨٩.

(٣) ـ كنز العمال، الهندي: ١٢ /٤٦ ح ٣٣٩٢٨.

(٤) ـ القرآن الكريم، سورة البقرة /٤٧.

أمة عاشت الأماني والأحلام، ولو رجعنا قليلاً إلىٰ الوراء لرأينا وجود مثل هذا التنازع والمباهاة في أمم سبقتنا، فاقرأ قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[١].وقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[٢].

والسؤال عن هذا النص هو: ما الحكمة في نزول جبرئيل لإخبار النبي (ﷺ) بأن العرب هم خير أهل الدنيا أو أن مضر هم خير العرب؟ وما هي الثمرة المترتبة علىٰ هذا الإخبار؟ وإذا كان الأمر محفوفاً بحكمة ربانية لابد من معرفتها وترتيب الأثر عليها فلماذا لم يصغ ذلك في آية مختصرة لا تتعدى: وفضلت العرب علىٰ العالمين لأنهم خير من في الأرض، أو ينقل ذلك لنا برواية صحيحة متواترة أو مشهورة لنتلافىٰ مؤونة مناقشة هذه الروايات الهزيلة التي يشهد رواتها بضعف بعضها ووضع البعض الآخر وخصوصا هذا الحديث الذي لم ينقل إلا بطريق الديلمي عن ابن عباس دون أثر لبقية سلسلة السَند.

ولم أجد من بين أصحاب الكتب المعروفة من أشار إلىٰ هذا الحديث، وإعراضهم عن ذكره دليل علىٰ وهنه وعدم أصالته.

الحديث الثالث عشر

قال النبي (ﷺ): **"خير الناس العرب وخير العرب قُريش وخير قُريش بنو هاشم[٣] وخير العجم فارس وخير السودان النوبة وخير الصبغ الأصفر وخير المال الغض وخير الخضاب الحناء والكتم"** ذكره المتقي الهندي في كنز العمال بسنده عن الديلمي عن علي[٤]، قال

(١) ـ القرآن الكريم، سورة البقرة /١١١.

(٢) ـ القرآن الكريم، سورة البقرة /١١٣.

(٣) ـ «**هاشِم**»: الجد الثاني لمحمد ﷺ؛ «عمرو بن مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر»؛ **أمه**: «عاتكة بنت مُرَّة بن هلال»، أعظم قريش علىٰ الإطلاق، في الحسب والنسب والشرف ومكارم الأخلاق سُمي بهاشم لأنّه اول من أطعم الثريد بكة عام المجاعة ويهشم الثريد والخبز عند الكعبة أيام القحط لإطعام الناس؛ وأول من شرع «رحلتي الشتاء والصيف» لقريش؛ تَوفىٰ في غزة فلسطين. وقُرَيْش: لغةً تعني؛ تَجَمُّع. واسمُ قبيلةٍ عربية من مضر تجمعت حول بيت اللّه الحرام بمكّة.

(٤) ـ كنز العمال، الهندي: ١٢ /٨٧ ح٣٤١٠٩.

الفتني: فيه عنبسة متروك متهم[١].

وهذا الحديث أيضاً بعض أجزائه مصوغ علىٰ منوال غيره ومضاف إليه ما ليس منه والجعل فيه واضح لمن تدبر، فقد ورد حديث غير هذا بألسِنة مختلفة نذكره بعد هذا الحديث يشير إلىٰ اختيار النبي (ﷺ) من العرب ومن قُريش بالذات ولكن ألسِنة الجميع [أختار] ومنها: "إن الله اختار من الناس العرب واختار من العرب قُريشاً واختار منهم بني هاشم واختارني من بني هاشم". فحرف عبارة [اختار من العرب] إلىٰ [خير الناس العرب] وعبارة [اختار من العرب قُريشاً] إلىٰ [وخير العرب قُريشا] ثم ساق بالحديث إلىٰ وجهة أخرىٰ هي بيان الخيار من الأمم والأصباغ والمال وغيرها.

والذي يدل علىٰ وضعه إعراض المحدثين عنه حيث لم ينقله أصحاب المجاميع ولم يذكره إلا القليل كالفتني في تذكرة الموضوعات، كما أشار ابن عابدين لعبارة [خير العجم فارس] من خبر الديلمي وهو في معرض إثبات فضل أبي حنيفة فقد نقل الرواية القائلة [والذي نفسي بيده لو كان الدين معلقاً بالثريا لتناوله رجل من فارس] ثم قال وكان جد أبي حنيفة من فارس[٢]. كما إن الحديث الآتي والذي هو العمدة في الباب والأصل لكثير من هذه الأحاديث المحورة إضافة إلىٰ ضعفه لا يساعد المتعصبين في إثبات فضيلة العرب ذاتا علىٰ الملل الأخرىٰ كما تشبثوا به في طريق تحميل نظريتهم الغير المبتنية علىٰ أساس.

الحديث الرابع عشر

قال النبي (ﷺ): **"ما بال أقوال تبلغني عن أقوام، إن الله (ﷻ) خلق السماوات والأرض سبعاً فاختار العليا منها فسكنها وأسكن [سائر] سماواته من شاء من خلقه وخلق الأرض سبعاً فاختار العليا منها فأسكنها من شاء من خلقه وخلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قُريشاً واختار من قُريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فأنا من خيار إلىٰ خيار فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم "**

بهذه العبارات وردت الرواية عن الطبراني في الكبير والأوسط[٣]، والهيثمي في

(١) ـ تذكرة الموضوعات، الفتني: ص ١١٢.
(٢) ـ حاشية رد المحتار، ابن عابدين: ١ /٥٧.
(٣) ـ المعجم الكبير، الطبراني: ج١٢ ص٣٤٨، المعجم الأوسط: ج٦ ص١٩٩ ـ ٢٠٠.

المجمع(١)، والعقيلي في الضعفاء(٢)، والمتقي في الكنز(٣). وهذه الرواية هي أفضل الروايات التي تمسك بها القوميون في إثبات فضل العرب علىٰ سائر الملل ولم يتوانىٰ بعض العلماء في بسط القول في بيان وجه التفضيل وسنبين بعض كلامهم لاحقاً.

وسند الرواية في المصادر التي ذكرناها وغيرها هو: عن حماد بن واقد [حكى] الصفار قال حدثنا محمّد بن ذكوان عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمر.

تغيير متن الحديث:

واجه العلماء مشكلة حقيقية في الرواية من جهتين صدراً وذيلاً والمشكلتان هما:

١ـ في صدر الرواية عبارة [فاختار العليا فسكنها وأسكن سائر سماواته من شاء]، وهي صريحة في ثبوت المكان لله تعالىٰ وهو ما ينافي عقائد المسلمين كافة الذاهبين إلىٰ أن الله لا يحويه مكان عدا المجسمة من السلفية الذين يقولون بجسمية الله تعالىٰ وأنه جالس علىٰ عرشه في السماء السابعة. من هنا بدأ التغيير في الفاظ الحديث وكان التحوير علىٰ نحوين:

ـ **الأول**: تغيير بسيط لا يغير شيئاً من المعنىٰ السابق وهو ما يدل عليه ما ذكره عبد الله بن عدي في الكامل(٤) والذهبي في ميزان الاعتدال(٥) بحذف كلمة [فسكنها] إذ جاء: [فاختار العليا منها وأسكن سائر سماواته من شاء]. فعبارة فاختار العليا تعني اختارها لنفسه والمعنىٰ هو هو.

ـ **الثاني**: حذف لنفسه وسائر سماواته فجاءت العبارة كالآتي [فاختار العليا منها فأسكنها من شاء من خلقه]. وهي أسلم من العبارتين المتقدمتين، وهو ما نجده في نقل الحاكم النيسابوري في كتابيه المستدرك ومعرفة علوم الحديث(٦)، وابن كثير في السيرة النبوية(٧)، والحديث هو الحديث والسند نفس السند.

٢ ـ في ذيل الحديث "فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم" فالعبارة مع باء السببية تحتمل معان:

---

(١) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٨ ص٢١٥.
(٢) ـ ضعفاء العقيلي: ٤/ ٣٨٨.
(٣) ـ كنز العمال/الهندي: ١٢ /٤٥ ح٣٣٩٢٧.
(٤) ـ الكامل، عبد الله بن عدي: ٢ /٢٤٨.
(٥) ـ ميزان الاعتدال/الذهبي: ١/٦٠٠ح٢٢٧٧.
(٦) ـ المستدرك: ٤/٧٣، معرفة العلوم: ص١٦٦.
(٧) ـ السيرة النبوية، ابن كثير: ١ /١٩٣.

ـ **الأول:** إن الحب والبغض يدوران مدار حب النبي وبغضه فمن أحبه النبي (ﷺ) من العرب فبسبب حبه يحبهم المؤمنون ومن أبغضه النبي منهم فبسبب بغضه (ﷺ) يبغضهم المؤمنون لا لشيءٍ آخر.

ـ **الثاني:** يحتمل أن يكون المراد من أحب النبي من العرب فهو المحبوب بسبب حبه للنبي (ﷺ) ومن أبغضه منهم فهو المبغوض بسبب بغضه للنبي.

ـ **الثالث:** أن من أحبني فبسبب حبه لي أحب العرب ومن أبغضهم فببغضهم لي يبغضهم، ولا يحتمل غير هذه المعاني الثلاث.

أما المعنيان الأول والثاني فلا يفيدان العروبيين إذ يختص الحب والبغض بحب النبي وبغضه فلا يشمل من أبغض النبي من العرب، فيسقط مقولة وجوب حب العرب مطلقاً.

وأما المعنىٰ الثالث: فلا يمكن قبوله للقطع بأن النبي (ﷺ) كان يبغض بعض العرب من مشركيهم ومنافقيهم، وثبت لعنه لبعضهم وأخبر في الصحيح عن دخول بعضهم النار فلا يعقل أن يكون أحبهم جميعاً بلا استثناء لنقول بالعموم.

وبهذه الاحتمالات لا يمكن الاستدلال بهذا الحديث حسب قانونهم المعروف "إذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال".

ولما كانت هذه العبارة لا تنتج ما يصبوا إليه المتعصبون من إظهار فضيلة خاصة لجميع العرب باعتبار تقييده بمن يحبه النبي منهم أو بمن يحبونه، أو لسقوط الرواية عن الاعتبار بكثرة المحتملات عمد بعضهم إلىٰ استبدال الباء في قوله (ﷺ) فبحبي "باللام" فذكر فلحبي أحبهم. لكنه لم يأت بجديد فالمحتملات نفسها تسقط الرواية عن الحجية أي أحبوهم لأجل حب النبي (ﷺ) فمن أحب النبي (ﷺ) يجب أن يحب العرب لأجل حب النبي ومن أبغض العرب فهو مبغض للنبي ويدل عليه حديث سلمان لمتقدم "تبغض العرب فتبغضني" والحديث الآخر: "أحبوا العرب لأني عربي" ولا وقع لهذا التغيير من حيث الاستدلال.

ومع سقوط الرواية متناً وسنداً، فقد وضع ابن تيمية النقاط علىٰ الحروف في هذا الباب استناداً إلىٰ هذه الرواية فأثبت الفضيلة النفسية للعرب بما هم عرب ومن ثم سرت الفضيلة منهم للنبي (ﷺ) ففضل النبي لأنه عربي لا لأنه نبي اختاره الله. قال: "وليس فضل العرب فقُريش فبني هاشم بمجرد كون النبي منهم وإن كان هذا من الفضل بل

هم في أنفسهم أفضل وبذلك يثبت للنبي (ﷺ) انه أفضل نفساً ونسباً"، وقال في مكان آخر: "والذي عليه «**أهل السُنَّة والجماعة**» [١] إن جنس العرب أفضل من جنس العجم عبرانيهم وسريانيهم ورومیهم وفارسيهم وغيرهم". ويقول: "وسبب هذا الفضل ما خصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم"[٢].

وهذا هو غاية ما تمناه العروبيون، فهو عين القول بوجود شعب الله المختار، لهذا أخذ هذا الحديث مكانه اللائق في مجاميعهم وشروحهم. ولو رجعنا إلىٰ أصل الحديث لوجدنا أنه من الآحاد كما صرح بذلك الطبراني في الأوسط: قال: "لم يرو هذا الحديث عن عمرو بن دينار إلا محمّد بن ذكوان ولم يروه من محمّد بن ذكوان إلا حماد" [٣].

كما وأن سنده فضلاً عن تحويرات نصه هو الآخر لم يسلم من طعون الناقدين من علماء الرجال ففي سنده:

١ ـ حماد بن واقد الصفار: قال عبد الله بن عدي: ولحماد بن واقد أحاديث وليست بالكثيرة وعامة ما يرويه مما لا يتابعه الثقاة عليه[٤]. كما ضعفه العقيلي وقال يخالف في حديثه[٥]، وقال البخاري في الكبير: منكر الحديث[٦]، وقال ابن حبان: كثير الخطأ لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد[٧].

٢ ـ محمّد بن ذكوان: فقد ضعفه الكثيرون، وقال البخاري منكر الحديث[٨]، وابن عدي في الكامل، وقال: وعامة ما يرويه افرادات وغرائب ومع ضعفه يكتب حديثه[٩].

أقول: لا غرابة في ذلك إذا علمنا أن هناك من روج بضاعته بالحديث المختلق منذ صدر الإسلام فالسوق لكتابة مثل هذه الأحاديث رائج.

ـ **وأما متن الحديث**: فأول ما يقال فيه انه مخالف تماماً لدين الرسول العظيم (ﷺ) المبني علىٰ الوحدانية الحقة الذي نزه ساحة القدس الإلهية من أن يحويها زمان أو مكان،

(١) ـ راجت هذه المفردة في العام الذي تنازل فيه الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) عن الخلافة لمعاوية سنة ٤١ هـ، ويطلق لفظ "**أهل السنة والجماعة**" علىٰ المسلمين من اتباع الخلفاء.

(٢) ـ اقتضاء الصراط/ ابن تيمية: ص ١٤٨ ط٢

(٣) ـ المعجم الأوسط، الطبراني: ٦ /٢٠٠.

(٤) ـ الكامل، عبد الله بن عدي: ٢/٢٤٩.

(٥) ـ ضعفاء العقيلي: ١ /٣١٢.

(٦) ـ التاريخ الكبير، البخاري: ٣ /٢٨.

(٧) ـ كتاب المجروحين، ابن حبان: ١ /٢٥٣.

(٨) ـ التاريخ الصغير، البخاري: ٢ /٤٨.

(٩) ـ الكامل/عبد الله بن عدي: ٦/١٩٩ ـ ٢٠١.

فقول جاعل الحديث [**فاختار العليا منها فسكنها**] لا يمكن أن يصدر من نبي الإسلام، نعم مثل هذا الكلام إنما يصدر ممن يعتقد أن الله (تعالى) جسم كالإنسان يجلس علىٰ كرسي في السماء السابعة كابن تيمية ومن تبعه.

وما يقال فيه أيضاً أن الله (تعالى) خلق نور النبي (صلى الله عليه وآله) قبل أن يخلق الخلق لمنزلته عند الله تعالىٰ في علمه الأزلي فلما خلق آدم نقله إلىٰ صلب آدم ثم انتقل من صلب كريم إلىٰ رحم طاهرة إلىٰ أن خرج من صلب عبد الله بن عبد المطلب صلوات الله عليه فلم يقتصر كون وجوده الشريف علىٰ أصلاب آبائه العرب فقط لنحصر فضل وجوده فيهم بل كان من قبلهم في صلب إبراهيم ونوح إلىٰ آدم.

وإذا كان لوجوده الذُري فضل يشرف حامله وهو كذلك فيشمل هذا الفضل كل السلسلة إلىٰ أبينا آدم (عليه السلام) ولا خصوصية للعرب في ذلك، والكل يعلم أن الله (تعالى) خلق الإنسان في أحسن تقويم وهداه النجدين وأخضعه للامتحان ولما كان تعالىٰ يعلم بعلمه الأزلي أن أبناء آدم يفترقون بسبب سوء اختيار بعضهم إلىٰ مؤمن ملتزم سائر علىٰ الصراط المستقيم ومنحرف ناكب عنه سالكا سبل الضالين شاءت حكمته أن يودع هذا الوجود الطاهر حضيرة المؤمنين ينتقل من مؤمن إلىٰ مؤمن وهذا هو ما أشار إليه صلوات الله عليه بقوله: أهبطني الله إلىٰ الأرض في صلب آدم (عليه السلام) وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب إبراهيم ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة إلىٰ الأرحام الطاهرة حتىٰ أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا علىٰ سفاح قط.

وهذا أقرب إلىٰ الواقع من أقوال تخالف صريح الآيات وصحيح الأخبار، فلو قلنا إن العرب أفضل جنساً من غيرهم كما قاله ابن تيمية فلا مهرب من القول بأن العربي أفضل من عيسىٰ وموسىٰ وإبراهيم الخليل ونوح وجميع أنبياء الله الذين سبق وجودهم وجود العرب لكونهم من غير العرب وهو ما لم يلتزمه ابن تيمية نفسه ومع ذلك زاغ ابن تيمية عن الحق فاستدل بصدر الحديث علىٰ الأفضلية الذاتية للعرب ثم اعتبر فضيلة النبي مكتسبة من فضل العرب. وما يقال فيه أيضاً أن هذا الخطاب كان موجها للعرب لا لغيرهم فقد ذكروا لهذه الرواية المختلفة الألسن أسبابا لا تلائم ومضمون الحديث فقد ذكروا أن عبد الله بن عمر قال بينا نحن جلوس في فناء رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ مرّت امرأة فقال رجل من القوم هذه ابنة محمّد، فقال أبو سفيان إنّ مثل محمّد في بني هاشم مثل

ريحانة في وسط النتن فانطلقت المرأة وأخبرت النبي فخرج النبي (ﷺ) يعرف في وجهه الغضب فقال... الحديث.

فماذا يستفيد المرء من هذه الواقعة مع علمه بأن أبا سفيان شيخ مشايخ العرب وقائد المشركين إلىٰ يوم الفتح؟ هل خرج النبي والغضب في وجهه ليكافئ أبا سفيان علىٰ قولته الشنيعة فيقول يا معشر العرب ويا أيها القوم الذين قالوا إن بني هاشم نتن أنتم خير أهل الأرض وأفضل خلق الله وما فضلني الله إلا بفضلكم وكفى؟ أم أن هذا الخروج بغضب كان لأجل إفهام الجالسين بأن النتن هو أبو سفيان وأتباعه من قومه، وأن ما سماه نتناً هو هاشم الجد الذي حمل نور الله في صلبه وهو من السلسلة المؤمنة الطيبة التي تقلّبت في الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة، لم يصبهم شيء من عهر الجاهليّة، لم يخرج من سفاح ولا من ولد منه كانوا من سفاح كخروج بعضكم فأنتم أليق بالذي قلتم!!

أليس هذا هو الأكثر ملائمة للموقف؟ أوليس القول بأن أولاد وأحفاد أبي سفيان الذين تسلطوا علىٰ رقاب المسلمين وحكموا البلاد باسم خلافة النبي (ﷺ) هم مصدر كل هذه الأخبار التي ما أنزل الله بها من سلطان فحرفوا وغيروا وبدلوا كل شيء لصالحهم بالافتراء علىٰ النبي (ﷺ)، وستأتي الأخبار الكثيرة التي اصطنعوها في فضل قُريش القبيلة التي ينتمي إليها أبو سفيان وغيره من أجل تضمين كراسي السلطة مادامت قبائل العرب خضعت لقُريش علىٰ عهد النبي (ﷺ) إكراماً للنبي. فالخلافة في قُريش حديث متواتر مجمع عليه، ولكي يستمر الولاء العربي لقُريش، لابد من تطييب خواطرهم والرفع من شأنهم بأحاديث عن فضل العرب وكراماتهم، وأحاديث لا يُلتفَت إلىٰ من قالها ما دامت مسرة للخواطر مشرحة للصدور فليقل القائل عن رسول الله (ﷺ) ما شاء دون خوف من عقاب بل إزاء كل كلمة منها أجر وثواب.

الحديث الخامس عشر

قال النبي (ﷺ): **"من أحب العرب فهو حبي حقاً"** [١]

رواه المتقي في الكنز، ولم يذكر من السند إلا قوله: "أبو الشيخ عن ابن عباس". وهو خبر أيتم من اليتيم، لم يذكره معروف يذكر ولم يتطرق إليه مشاهير من تتبعوا الآحاد والضعاف فضلاً عن أصحاب الصحاح والمسانيد، ولم يسعفني الحظ في الوصول إلىٰ نوادر

(١) ـ كنز العمال، المتقي الهندي: ١٢ /٤٧.

الكتب لأقف علىٰ سنده تاماً. ومهما كان السند فالمتن وحده كاف للدلالة علىٰ وضعه، إذ ليس من مبادئ النبي (ﷺ) حب أحد لمجرد حبه للعرب وإن كان مخالفاً لله ولرسوله وكتابه واليوم الآخر، فالمعروف من ميزان حبه وبغضه (ﷺ) هو الحب في الله لا في العرب وكذلك البغض في الله. ثم لو كنا نحن وهذا الحديث لكان المشركون والمنافقون أولىٰ بأن يكونوا حب النبي حقاً، لأنهم ما آمنوا بالله تعالىٰ وبرسوله إيمانهم بقومهم بل لم يؤمنوا إلا بحب العرب كما قال قوميٌ مغرورٌ ذات يوم مفتخراً:

آمنتُ بالبعث[١] رباً لا شريك له وبالعروبة ديناً مـــــا له ثاني

الحديث السادس عشر

قال رسول الله (ﷺ): "**لا يبغض العرب مؤمن ولا يحب ثقيفاً مؤمن**". رواه المتقي في الكنز[٢] عن ابن عمر. لكن الهيثمي[٣] نقل الخبر عن الطبراني بشكل آخر عن ابن عمر أيضاً، فقد ذكر الحديث هكذا: "**لا يبغض العرب مؤمن ولا يحب ثقيفاً إلا مؤمن**". وقال: فيه سهل بن عامر وهو ضعيف، والصيغتان مختلفتان بالنسبة إلىٰ ثقيف كما ترىٰ فلا يمكن الاعتماد عليهما سيما مع ضعفهما وعدم المؤيد. وقد جاء مضمون الرواية من طريق آخر في حق الأنصار لا العرب، ففي مجمع الزوائد عن ابن عباس عن النبي (ﷺ) قوله: "لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ولا يحب ثقيفاً رجل يؤمن بالله واليوم الآخر". قال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح[٤].

ولا يخفىٰ أن الرواية بصيغها المختلفة لا تتناسب ومنهج الرسول (ﷺ)، بل الظاهر أن إدخال ثقيف تارة بالمدح وأخرىٰ بالذم، وذكر العرب تارة والأنصار أخرىٰ هو من فعل الموالاة والمخالفة إذ لا يمكن أن يكون النبي (ﷺ) يمدح تارة ويذم أخرىٰ في رواية واحدة.

ولو أطلقنا العنان للظن لحكمنا بوقوع هذا الاختلاف في فترات مختلفة ومن مواقف متضادة، فمبغض ثقيف أخرجهم من دائرة حب المؤمنين بالله ورسوله، وثقيف ومحبوهم دفعوا هذا بإدخالهم في زمرة واجبي المحبة. مضافاً إلىٰ أن الروايات الأخرىٰ التي ادعوا صحة بعض أسانيدها تتضارب أولاً مع بعض صيغ هذا الحديث، وتنسف بالمرة نظرية حرمة بغض العرب بالمطلق، كما ورد في خبر أبي برزة: "كان أبغض الناس إلىٰ رسول

(١) ـ يعني؛ حزب البعث العربي الاشتراكي.
(٢) ـ كنز العمال، المتقي الهندي: ١٢ /٤٧.
(٣) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ١٠ /٥٣.
(٤) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ١٠ /٧٢.

الله (ﷺ) ثقيف وبني حنيفة" الذي نقله الهيثمي حيث قال: "رواه أحمد وأبو يعلي وزاد إلا انه قال بنو أمية وثقيف وبنو حنيفة"[١]. وكذلك خبر ابن الزبير قال: قال رسول الله (ﷺ): "وشر قبائل العرب بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف".

فهذه الأخبار الأكثر اعتباراً سنداً عند القوم تسقط أولاً الرواية القائلة: "ولا يحب ثقيفاً إلا مؤمن" وتسقط ثانياً ما بنته جملة الروايات الضعيفة والموضوعة من وجوب حب العرب وانه لا يبغضهم إلا منافق ومنها صدر الرواية المتقدمة "لا يبغض العرب مؤمن" لتصريحها ببغض النبي (ﷺ) لطوائف من العرب.

وهذه الرواية أيضاً لا تغني ولا تسمن ولا يمكن الاستناد إليها في إثبات ما أرادوه من الحكم بفضل خاص للعرب علىٰ سائر الملل شرعاً.

الحديث السابع عشر

عن علي (عليه السلام): **قال سمعت رسول الله (ﷺ) حيث أسندته إلىٰ نحري في مرضه قال: "يا علي أوصيك بالعرب خيراً ثلاثاً"**. وهذه رواية رواها الكثيرون ووثق بعضهم سندها، لكنها ذكرت في كتب أهل السُنّة فقط وقد نقلها اثنان من الشيعة هما: القاضي النعمان المغربي في كتابه شرح الأخبار[٢] عن ابن جرير الطبري السني، وأحمد بن عبد الله الطبري في ذخائر العقبىٰ[٣] عن مناقب أحمد. أما من السُنّة فقد رواها: الهيثمي[٤] والمحاملي[٥] والطبراني[٦] والمتقي الهندي[٧] وعبد الله بن عدي[٨] وابن الدمشقي[٩].

والرواية لو صحت لا تدل علىٰ فضل خاص مع علمنا بأن المجتمع الإسلامي آنذاك لم يتعد الشعب العربي فالوصية ليست إلا وصية بمداراة الشعب الإسلامي والحفاظ علىٰ وحدة كلمته والدفاع عنهم إزاء كل مكروه، وهذا هو ما دفع الشيعة للاحتجاج علىٰ السُنّة بأن هذا الحديث لو صح عندكم فهو دليل علىٰ أن النبي (ﷺ) استخلف علياً (عليه السلام).

قال القاضي المغربي: "وإيصاؤه بالعرب قاطبة مما يبيّن إستخلافه إياه علىٰ الأمة

(١) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ١٠ /٧١ـ٧٢.
(٢) ـ شرح الأخبار/ النعمان المغربي ـ ١ /١١٧.
(٣) ـ ذخائر العقبىٰ، الطبري: ص ٧١.
(٤) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ١٠ /٥٢.
(٥) ـ أمالي المحاملي، المحاملي: ص٢٢٠.
(٦) ـ المعجم الكبير، الطبراني: ٤ /٨.
(٧) ـ كنز العمال، المتقي الهندي: ٦٢٧/١١ ح ٣٣٠٥٩، وج٨٤/١٤ الحديث ٣٨٠٠٦.
(٨) ـ الكامل، عبد الله بن عدي: ٦ /٤٢.
(٩) ـ جواهر المطالب/ابن الدمشقي: ١ /١٠٨.

لأن ذلك لا يوصي به إلاّ من يملك أمرها من بعده" [١].

ومن الطبيعي أن وصية النبي (ﷺ) خليفته بشؤون أمته التي كانت آنذاك متشكلة من مختلف طوائف العرب هي مسألة طبيعية خصوصاً في حق العرب حيث كانت قبائل متفرقة حكمها إلىٰ عهد قريب قانون المنافسة والتطاول والغارات وقد من الله عليهم بالإسلام فوحّد كلمتهم وجمع شملهم فلا غرابة في أن يوصي النبي (ﷺ) خليفته بالسعي للحفاظ علىٰ هذه الوحدة والحيلولة دون رجوعهم القهقري إلىٰ التشتت من جديد باتباع سياسة المصالحة والوفاق. والمنصف لا يرىٰ في هذا الحديث ما يشعر بتفضيل العرب علىٰ غيرهم من الملل، بل لو استنبطنا ذلك ولو جزافا لكان هذا الاستنباط مخالفا لنظرة الإسلام إلىٰ طبقات شعبه بسواسية الجميع كأسنان المشط، ومخالفاً أيضاً لما علم بالضرورة من تعامل النبي (ﷺ) مع أفراد من غير العرب دخلوا الإسلام في الصدر الأول وعايشوا العرب حيث ساواهم في العطاء مع غيرهم ولو كان هناك ثمة فضيلة للعرب علىٰ غيرهم لما ساوىٰ بينهم في العطاء ولفضّل العربي منهم علىٰ الفارسي والرومي والحبشي، ولا أثر لهذا التفضيل، فثبت أن القانون هو لا فضل لعربي علىٰ أعجمي إلا بالتقوىٰ وأن هذه الوصية لو ثبتت هي وصية عامة خاصة بالعرب من جهة انهم كان يخاف عليهم من الرجوع إلىٰ سابق عهدهم قبل الإسلام من الاستئثار وتفرق الكلمة.

الحديث الثامن عشر

عن جابر بن عبد الله أن النبي (ﷺ) قال: "إذا ذلت العرب ذل الإسلام"

ذكر الحديث في: مسند أبي يعلي[٢] وكنز العمال[٣] والجامع الصغير[٤] ومجمع الزوائد[٥] وكشف الخفاء[٦] وميزان الاعتدال[٧] والسيرة الحلبية[٨] وكتاب ذكر أخبار إصبهان[٩]. والسند ينتهي إلىٰ محمّد بن الخطاب البصري عن علي بن زيد بن جدعان عن محمّد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله الأنصاري. أما محمّد بن الخطاب فقد وثقه ابن حبان وضعفه غيره، قال أبو حاتم لا اعرفه وقال الأزدي منكر الحديث[١٠].

---

(١) ـ شرح الأخبار، النعمان المغربي:١ /١١٧.
(٢) ـ مسند أبي يعلي، أبو يعلي: ٣ /٤٠٢.
(٣) ـ كنز العمال، الهندي: ١٢ /٤٤ ح٣٣٩٢٣.
(٤) ـ الجامع الصغير/السيوطي: ١/٩٥. ح٦١٧.
(٥) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ١٠ /٥٣.
(٦) ـ كشف الخفاء/العجلوني: ١/٨٩، ح٢٣٢.
(٧) ـ ميزان الاعتدال، الذهبي: ٣ /٥٣٧.
(٨) ـ السيرة الحلبية، الحلبي: ١ /٤٦.
(٩) ـ ذكر أخبار إصبهان، الإصبهاني: ٢ /٣٤٠.
(١٠) ـ ميزان الاعتدال:٣/٥٣٧ ت٧٤٨٧

وأما علي بن زيد الوارد اسمه في هذا السند، فهو علي بن زيد بن جدعان الذي يروي عن محمّد بن المنكدر ويروي عنه محمّد بن الخطاب بن جبير بن حية البصري، وقد ضعفه الجمهور، وبذلك يفقد الخبر مصداقيته في الاحتجاج به في مورد التفضيل.

ـ قال ابن سعد في الطبقات: "فيه ضعف لا يحتج به" [١].

ـ ونقل المباركفوري عن الحافظ في التقريب: "أنه ضعيف". وفي مكان آخر: ضعيف عند غير الترمذي[٢].

ـ وقال الهيثمي: ضعيف[٣]، وكذا ابن حجر[٤]، ونقل العظيم آبادي عن المنذري قوله: "لا يُحتج به" [٥].

فهذا الخبر علىٰ معقولية ظاهره نسبياً ـ إذا أريد بالعرب المؤمنين منهم ـ لايمكن تعميم ما فيه من الدلالة علىٰ مطلق العرب أو قصرها عليهم، فذلة المنافقين والكافرين منهم دون المؤمنين عز للإسلام، مضافاً إلىٰ أن هذه المقولة لا تختص بالعرب دون غيرهم لأن ذلّة المؤمنين في أية ملّة كانوا هو ذلّ للإسلام، فلا معنىٰ لحصر ذلته بذلتهم.

الحديث التاسع عشر

قال النبي (ﷺ): **"من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي"**

ذكر هذا الخبر البغوي[٦] والديلمي[٧] وأبو الشيخ[٨] وأحمد بن حنبل[٩] والترمذي[١٠] وابن أبي شيبة[١١] والمتقي الهندي[١٢] والسيوطي[١٣].

وسندهم جميعاً إلىٰ عبد الله بن عبد الله بن الأسود عن حصين بن عمر عن مخارق بن عبد الله بن جابر الأحمسي عن طارق بن شهاب عن عثمان بن عفان. يستثني منهم أبو الشيخ حيث رواها بسنده عن أبي زفر عن أحمد عن محمّد عن أبيه عن علي بن زيد عن محمّد بن المنكدر عن جابر. والطريقان ضعيفان:

---

(١) ـ طبقات ابن سعد، ابن سعد: ٧/ ٢٥٢.
(٢) ـ تحفة الأحوذي: ٣/ ٨٨ و٦/ ٤٣٢.
(٣) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ١/ ١٧٣.
(٤) ـ فتح الباري، ابن حجر: ١١/ ٣٠٢.
(٥) ـ عون المعبود/ العظيم آبادي: ١٣/ ١٦٥.
(٦) ـ مصابيح السنة، البغوي: ٤/ ١٤٢.
(٧) ـ فردوس الأخبار/الديلمي:٤/١٨٠ ح٦٠٧٥
(٨) ـ طبقات المحدثين باصبهان: ٤/ ٢٧٤.
(٩) ـ مسند أحمد، احمد بن حنبل: ١/ ٧٢.
(١٠) ـ سُنن الترمذي: ج٥/ ٣٨١، ح ٤٠٢٠.
(١١) ـ المصنف، ابن أبي شيبة: ٧/ ٥٥٦.
(١٢) ـ كنز العمال/الهندي: ١٢/٤٤ ح٣٣٩٢٠.
(١٣) ـ الجامع الصغير، السيوطي: ٢/ ٦٢٦، ح ٨٨٨٠.

ـ **أما الأول** فبحصين بن عمر المتهم بالكذب، قال زياد بن أيوب: نهاني أحمد بن حنبل أن أحدث عن حصين بن عمر وقال انه يكذب[١]. وقال البخاري انه منكر الحديث وقال ابن خراش: كذاب، وقال ابن حبان: روىٰ الموضوعات عن الإثبات.

ـ **وأما الثاني** فبمحمّد بن عبد الصمد وبأبيه عبد الصمد بن جابر وبعلي بن زيد، فالأول صاحب مناكير وأبوه ضعيف، وعلي بن زيد قدري ضعفه الجمهور.

ووجه استدلالهم بهذا الحديث علىٰ فضل العرب هو إفرادهم بالذكر من دون سائر المسلمين وهو الفضل الذي يرفعهم فوق غيرهم من المسلمين، قال المناوي: "من غشهم حسدهم علىٰ ما آتاهم الله من فضله ووضع رفعتهم" [٢]. **ويرد عليه:**

ـ **أولاً**: لم يثبت ما ادعوه من فضل خاص ورفعة استثنائية للعرب علىٰ سائر المسلمين بدليل صحيح، وجلّ ما تمسكوا به هو ما قدمناه من الروايات وقد أثبتنا أنها آحاد بين مناكير وضعاف وموضوعات تخالف مضامينها الروايات الصحيحة الشارحة لمعيار الإسلام في الفضل.

ـ **ثانياً**: الغش حرام في الإسلام مطلقاً ولا استثناء في هذا الحكم، فمن غش المسلمين فليس منهم كما ورد في الحديث وفي الصحيح: ليس مني من غش[٣]، والحكم عام لا فرق فيه بين العرب المسلمين وغيرهم، فمن غش لم يكن من المسلمين وبديهي أنّ من لم يكن من المسلمين لم تنله شفاعة النبي (ﷺ) ولم يدخل في مودته، فما الفرق بين من غش العربي أو الأعجمي؟ وهل يمكن القول بأن الذي غش العربي لم يدخل في شفاعة النبي (ﷺ) وأما من غش غير العربي فقد يدخل في شفاعته؟

ـ **ثالثاً**: الخبر في غاية الضعف كما تقدم ولا يمكن تقييد المطلقات الصحيحة به لشبهة الوضع بل هو منه قاب قوسين أو أدنى.

(١) ـ تهذيب الكمال، المزي: ٦ /٥٢٧.
(٢) ـ فيض القدير، المناوي: ٦ /٢٤١.
(٣) ـ صحيح مسلم: ١ /٦٩.

جعل أحاديث في فضل قريش خاصة

الحديث الأول

قال النبي (ﷺ): "**أمان لاهل الأرض من الغرق القوس، وأمان لأهل الأرض من الاختلاف الموالاة لقُريش، قُريش أهل الله، فإذا خالفها قبيلة من العرب صاروا حزب إبليس** "

رواه الطبراني[١] عن أحمد بن علي الأبار عن إسحاق بن سعيد بن الأركون عن خليد بن دعلج عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس. ورواه الحاكم بدون الجملة الأولىٰ. ورواه ابن الجوزي بسنده إلىٰ وهب بن حفص الحراني عن محمّد بن سليمان الحراني عن خليد بن دعلج عن عطاء عن ابن عباس. وهو خبر محبوك علىٰ غرار الخبر الصحيح الذي ذكره الحاكم في المستدرك[٢] والمتقي في الكنز[٣] عن ابن عباس، ونصّه: "**النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها [خالفتهم] قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس**". قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وذكر ابن الجوزي حديث خليد بن دعلج عن عطاء في الموضوعات[٤].

وقد كفانا ابن الجوزي مؤنة مناقشة الخبر الذي نقله بسنده، حيث قال بالحرف الواحد: "هذا موضوع علىٰ رسول الله (ﷺ)، وفيه خليد بن دعلج وقد ضعفه أحمد والدار قطني وقال يحيىٰ ليس بشيء وقال النسائي ليس بثقة، وفيه محمّد بن سليمان الحراني قال أبو حاتم الرازي منكر الحديث، وفيه وهب بن حفص قال أبو عروبة كذاب يضع الحديث يكذب كذبا فاحشاً، قال المصنف: وهو المتهم به ". والذي يبدو أن المتهم هو خليد بن دعلج أو إسحاق بن سعيد كما يتضح من سند الطبراني، لا وهب بن حفص.

أما رواية الطبراني فهي عن إسحاق بن سعيد بن الأركون عن خليد بن دعلج عن عطاء وقال لم يرويها عن عطاء إلا خليد بن دعلج تفرد به إسحاق بن سعيد. أما خليد بن دعلج فقد ضعفه الهيثمي وقال أيضاً ضعفه أحمد ويحيىٰ والنسائي[٥]، وقال البيهقي: خليد بن دعلج لا يحتج به[٦]. وقال علي بن جعفر المديني: كان خليد ضعيفاً[٧].وفي

(١) ـ المعجم الكبير، الطبراني: ١١ /١٥٧.
(٢) ـ المستدرك/الحاكم النيسابوري: ٣ /١٤٩.
(٣) ـ كنز العمال، الهندي١٢/١٠٢، ح٣٤١٨٩.
(٤) ـ الموضوعات، ابن الجوزي: ١ /١٤٣.
(٥) ـ مجمع الزوائد: ٥ /١٩٥ و١ /١٧٠.
(٦) ـ السُنن الكبرى، البيهقي: ٢ /٢٠٩.
(٧) ـ سؤالات ابن أبي شيبة: ص ١٥٧.

سؤالات الآجري[١]: ضعيف. وقال الرازي[٢]: ليس بثقة، كما ضعفه الدار قطني أيضاً

وأما إسحاق بن سعيد بن الأركون، فهو الآخر ضعيف، قال ابن عساكر: "قال الدار قطني إسحاق بن سعيد شامي منكر"[٣]. وقال الذهبي: "قال الدار قطني منكر الحديث وقال أبو حاتم ليس بثقة" [٤].

ولقد اختلفت عبارات الرواية في كتبهم، فمنهم من كتب: أمان لأهل الأرض من الغرق القوس ومنهم من كتب [الغرس] بدل القوس، ومنهم من ذكر [قُريش]. ومهما كانت العبارات فالخبر بجميع ألسنته موضوع علىٰ رسول الله (ﷺ) كما ذكر ابن الجوزي، وان كل إصداراته استنساخ مع تحريف عما ورد في فضل أهل بيت النبي (ﷺ) لطمس فضائلهم مثل قوله (ﷺ): مثل أهل بيتي كمثل نجوم السماء فهم أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء. وقوله (ﷺ): النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت أتاها ما يوعدون وأهل بيتي أمان لأمتي فإذا ذهب أهل بيتي أتاهم ما يوعدون. وروايات كثيرة في هذا الموضوع يمكن دعوىٰ تواترها، وهي مذكورة في أغلب المجاميع الحديثية لمذاهب المسلمين كافة ولم يقتصر ذكرها علىٰ الشيعة، بخلاف المحرفات التي لا تتعدىٰ كونها أخبار آحاد وجلّ رواتها إما ضعاف أو كذّابون ولم تذكر إلا في بعض كتب أهل السُنّة خاصة.

الحديث الثاني

قال النبي (ﷺ): "أحبوا قُريشاً فإنه من أحبهم أحبه الله"

ذكره الطبراني[٥] وعمرو بن عاصم[٦] والسيوطي[٧] والمتقي[٨] والهيثمي[٩] وغيرهم، وكلهم عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده.

وضعف الجمهور عبد المهيمن هذا، قال البيهقي: ضعيف لا يحتج برواياته[١٠]، وقال الدار قطني: ليس بالقوي[١١]، وضعفه الذهبي[١٢] وابن حجر والشوكاني وابن معين،

(١) ـ سؤالات الآجري: ٢/ ٢١٤.
(٢) ـ الجرح والتعديل، الرازي: ٢/ ٢٢١.
(٣) ـ تاريخ مدينة دمشق: ٨/ ٢١٨.
(٤) ـ تاريخ الإسلام، الذهبي: ١٧/ ٩٨.
(٥) ـ المعجم الكبير، الطبراني: ٦/ ١٢٣.
(٦) ـ كتاب السنة، عمرو بن عاصم: ص ٦٢٧، الحديث ١٥٤١.
(٧) ـ الجامع الصغير، السيوطي: ١/ ٤٠.
(٨) ـ كنز العمال، المتقي الهندي: ١٢/ ٢٦.
(٩) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ١٠/ ٢٧.
(١٠) ـ السُنن الكبرى، البيهقي: ٢/ ٣٧٩.
(١١) ـ سُنن الدار قطني: ١/ ٣٤٨.
(١٢) ـ تنقيح التحقيق:١/١٧٨ وتلخيص الحبير:١/٣٩٠ ونيل الأوطار: ١/١٦٧.

وقال عنه ابن حبان: ينفرد عن أبيه بأشياء مناكير لا يتابع عليها من كثرة وهمه فلما فحش ذلك في روايته بطل الاحتجاج به[١]، وقال البخاري وأبو نعيم الإصبهاني: صاحب مناكير[٢].

ولو لاحظنا عبارة الخبر "أحبوا...فانه من أحبهم أحبه الله" ثم راجعنا كتب الحديث لوجدنا إن العبارة نفسها أو شبهها مكررة في طوائف مختلفة فتارة: أحبوا الأنصار فمن أحبهم أحبه الله، ثم أحبوا قُريشاً فإن من أحبهم أحبه الله ثم أحبوا العرب فمن أحبهم أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، وهي ظاهرة ملفتة تثير التساؤل.

ولو استذكرنا الحقيقة المرة القائلة بأن أحاديث الفضائل التي وردت في حق أهل البيت (عليهم السلام) قد تعرضت لغزو سياسي في العهدين الأموي والعباسي، وسرق الكثير منها ونسب إلىٰ غيرهم لرفع شأنهم وطمس ما ورد في حق أهل البيت (عليهم السلام) بهدف التشويش علىٰ الكم الهائل من روايات الفضل التي لو شاعت لكان من المحال استقطاب الجمهور المتدين لصالح عشاق السلطة لوصلنا إلىٰ قناعة فيما يخص مراحل تطوير الحديث، فحينما كان الجدل دائراً بين المهاجرين والأنصار حول من الأولىٰ بخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان لابد للمهاجرين الذين أبوا إلاّ أن يكون الأمر فيهم من رفع شأن الأنصار المنافسين وبيان علو فضلهم ومرتبتهم وعلىٰ لسان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليكون نصيبهم مقابل السلطة المقام المحمود وأن من أحبهم فقد أحبه الله وأنه لا يحبهم إلا مؤمن.

ولما أرادت قُريش حكر السلطة باعتبارها وجه العرب ولأجل أن تبعد وإلىٰ الأبد طمع الطامعين في منافستها علىٰ السلطة، كان لا بد لها من استغلال انتماء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إليها لنقرأ في روايات كثيرة ومنها هذه التي نقدمها أن السيادة من مختصاتهم وأنهم أحباء الله فمن أحبهم أحبه الله.

وعند البحث عن الأصل المضيّع بين آلاف الأحاديث يقف الباحث علىٰ إكليل عميق الجذر منتشر الفرع مبثوث الثمار يشم عطره من جنان أهل الرواية في كل المذاهب، لم يقتصر محالها علىٰ واحد متروك أو وضّاع مهتوك كسائر مقلوباتها. فليقرأ من شاء الوقوف علىٰ الحقيقة أصل هذه الكلمات المبثوثة في أحاديث كثيرة جدا الواردة في حق علي (عليه السلام) تارة وحق الحَسنين[٨] أخرىٰ وحق أهل بيته عموماً ثالثة. فقد نقلوا عن جابر بن عبد الله

(١) ـ كتاب المجروحين، ابن حبان: ٢ /١٤٨.

(٢) ـ التاريخ الصغير، البخاري: ٢ /٢٣٢، كتاب الضعفاء، أبو نعيم الإصبهاني: ص١٠٧

قول النبي (ﷺ): "إن لكل بني أب عصبة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم، من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله"[١]. هذا الحديث وان اقتصر نقله في كتبهم علىٰ بعض من ضعفوه إلا أنه منقول عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها أيضاً لكنهم لم ينقلوا من حديث فاطمة إلا صدر الحديث. فأصل الحديث ورد في أهل البيت (عليهم السلام) الذين من أحبهم أحبه الله.

الحديث الثالث

قال النبي (ﷺ): "**قُريش علىٰ مقدمة الناس يوم القيامة؛ ولولا أن تبطر قُريش لأخبرتها بما لمحسنها عند الله من الثواب**" ذكره المتقي في الكنز[٢] والسيوطي في الصغير[٣] وعبد الله بن عدي في الكامل[٤] وسندهم جميعاً؛ عن محمّد بن احمد بن هارون عن العباس بن فضل الربعي عن العلاء بن عمرو البصري عن إسماعيل بن يحيىٰ عن سفيان الثوري عن محمّد بن المنكدر عن جابر عن النبي (ﷺ). ولمعرفة وزن هذه الرواية ننقل بعض أقوال علمائهم في الحديث ونبذ عن بعض رواتها؛

- قال ابن عدي: "الحديث بهذا الإسناد باطل ليس يرويه غير إسماعيل عن الثوري".
- وقال عن إسماعيل بن يحيىٰ انه: "كان يحدث عن الثقاة بالبواطيل".
- وقال أبو نعيم عن إسماعيل هذا: "حدث عن مسعر ومالك الموضوعات، يشمئز القلب وينفر من حديثه، متروك" [٥].
- وقال الخطيب في تاريخه[٦] وكذا ابن عساكر[٧]: "وإسماعيل كان كذّاباً".
- ونقل ابن الجوزي، عن الدار قطني قوله في إسماعيل "كذاب متروك" [٨].
- وعن ابن حبان: "أنه يروي الموضوعات عن الثقاة وما لا أصل له عن الأثبات لا تحل الرواية عنه بحال" [٩]، وبما ذكرناه الغنىٰ عن الخوض في ترجمة باقي رجال السند.

وقد استدلوا بالخبر علىٰ أفضلية قُريش علىٰ سائر العرب. ومن قوله (ﷺ) [لأخبرتها بما لمحسنها عند الله تعالىٰ من الثواب] وفي آخر [بما لها] بدل بما لمحسنها قال المناوي:

---

(١) ـ كنز العمال، المتقي الهندي: ١٢/ ٩٨، ح ٣٤١٦٨. وتاريخ دمشق: ٣٦/ ٣١٣.
(٢) ـ كنز العمال: ١٢/ ٢٥، ح٣٣٨١٠.
(٣) ـ الجامع الصغير: ٢/ ٢٥٥، ح ٦١٢١.
(٤) ـ الكامل، عبد الله بن عدي: ١/ ٣٠٣.
(٥) ـ كتاب الضعفاء، الإصبهاني: ص ٦٠.
(٦) ـ تاريخ بغداد، الخطيب: ١/ ٣٦٤.
(٧) ـ تاريخ دمشق، ابن عساكر: ٥١/ ١٢١.
(٨) ـ الموضوعات، ابن الجوزي: ١/ ٢٠٤.
(٩) ـ الموضوعات، ابن الجوزي: ١/ ٢٤٣.

"من الثواب المضاعف والدرجات الرفيعة فهم أفضل العرب الذين جنسهم أفضل الناس كما تقرر فمن عابهم أو طعن فيهم فهو مبتدع"[١]. وهناك روايات أخرىٰ بهذا المضمون أظن أن مرجع جميعها وأصلها حديث واحد حوّرت ألفاظها بالزيادة والنقيصة نقلت بأسانيد مختلفة عن علي (عليه السلام) وعن عبد الله بن السائب وعن أنس، فبدت وكأنها روايات متعددة، لذا أفردناها وسيأتي الكلام عنها إن شاء الله تعالىٰ.

الحديث الرابع

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "**قدموا قُريشاً ولا تقدموها وتعلموا من قُريش ولا تعلموها ولولا أن تبطر قُريش لأخبرتها ما لخيارها عند الله تعالىٰ**" أوردوا هذا الخبر بصيغتين أو ثلاث:

- **الأولى**: ما ذكرناه في العنوان.
- **الثانية**: عن ابن حنطب: "قدموا قُريشاً ولا تقدموها وتعلموا منها ولا تعلموها، قوة رجل من قُريش تعدل قوة رجلين من غيرهم وأمانة رجل من قُريش تعدل أمانة رجلين من غيرهم، يا أيها الناس أوصيكم بحب ذي قرباي أخي وابن عمي علي بن أبي طالب فانه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق من أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني عذبه الله بالنار".
- **الثالثة**: مقتطفات أفردوها كأحاديث مستقلة منها: ما عن علي (عليه السلام) "قدموا قُريشاً ولا تقدموها ولولا أن تبطر قُريش لأخبرتها بما لها عند الله".
- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "قدموا قُريشاً ولا تقدموها وتعلموا منها ولا تعلموها". وعن ابن السائب والحارث بن عبد الله: "لا تقدِموا قُريشاً ولا تعلموا قُريشاً ولولا أن تبطر قُريش لأخبرتها بما لخيارها عند الله".
- وعن عائشة: "لولا أن تطغىٰ قُريش لأخبرتها بما لها عند الله" وغيرها من النصوص.

والمنصف يرىٰ أن هذه التعبيرات لا يمكن أن تكون أحاديث مكررة صدرت عن النبي (صلى الله عليه وآله) ولابد من التحقيق فيها، وكم فرق بين "بما لخيارها عند الله" و"بما لها". ومع الإغماض عن اختلاف العبارات، فإن وهن الأسانيد مع كثرتها تبعد صدور مثل هذا المضمون وسنتعرض باختصار لتلك الأسانيد.

(١) ـ فيض القدير: ٤/٦٧٥ شرح حديث ٦١٢١

(١) ـ حديث عبد الله ابن السائب: وهو ما أخرجه الشافعي عن أبي معشر عن سعيد المقبري عن الحارث بن عبدالله السائب فيه أبو معشر وفيه الكلام الكثير وضعفه عدد كبير من الأعلام؛ قال عنه البخاري: "منكر الحديث" [١] وقال النسائي: "ضعيف ومع ضعفه أيضاً كان قد اختلط عنده أحاديث مناكير"[٢]. وضعفه أيضاً ابن أبي عاصم[٣] وابن حزم[٤]، والماردينى ونقل عن البيهقي قوله "وكان القطان لا يحدث عنه"[٥]، وابن حجر[٦] والنووي[٧] والشوكاني[٨] وقال: كان يحيىٰ بن سعيد القطان لا يحدث عنه ويستضعفه جداً ويضحك إذا ذكره غيره. وضعفه أيضاً الهيثمي[٩] والبيهقي[١٠] وغيرهم كثير. ونقل الخطيب في تاريخ بغداد عن المديني قوله: "كان ذلك شيخاً ضعيفاً وكان يحدث عن المقبري وعن نافع بأحاديث منكرة".

ـ ونقل عن أبي جزء قوله: "أبو معشر أكذب من في السماء ومن في الأرض" [١١].

(٢) ـ حديث جبير بن مطعم: "لولا أن تبطر قُريشاً لأخبرتها بالذي لها عند الله"، عن يعقوب بن حميد عن محمّد بن ثابت عن عمرو بن أبي عمرو مولىٰ المطلب عن المطلب بن عبد الله عن جبير بن مطعم. رواه عمرو بن أبي عاصم في كتاب السُنّة، وهو يروي أخبار فضل قُريش في أحاديثه الأخرىٰ بنفس السند، تارة يعقوب بن حميد عن إبراهيم بن ثابت [حديث لا تقدموا قُريشاً] حديث١٥٢١ وحديث١٥١٧، وأخرىٰ يعقوب بن حميد عن محمّد بن ثابت، [رواية لولا أن تبطر قُريش] حديث١٥٢٨، وعلىٰ أي حال فهذا السند فيه طعن من أوله إلىٰ آخره، فيعقوب مختلف فيه، ومحمّد بن ثابت أو إبراهيم بن محمّد بن ثابت كلاهما فيهما كلام وعمرو بن أبي عمرو أيضاً ضعفه الكثيرون.

ـ قال الرازي[١٢]: "قرئ علىٰ العباس بن محمّد الدوري عن يحيىٰ بن معين أنه قال:

---

(١) ـ التاريخ الكبير، البخاري: ٨ /١١٤، والضعفاء /البخاري: ١١٩.
(٢) ـ السُنن الكبرى، النسائي ـ ٩٦/٢.
(٣) ـ كتاب السنة، أبن أبي عاصم: ص٣٠٣.
(٤) ـ المحلى، ابن حزم: ٢١٢/٧.
(٥) ـ الجوهر النقي، الماردينى: ٢ /٤٦.
(٦) ـ فتح الباري، ابن حجر: ٣ /٢٩٧.
(٧) ـ المجموع، النووي: ١٣ /٤٥.
(٨) ـ نيل الأوطار: ١٥٠/٣ و٢٥٥/٤ و٩ /٤٦.
(٩) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ٦ /٢٣٤.
(١٠) ـ السُنن الكبرى، البيهقي: ٥ /١٨٠.
(١١) ـ تاريخ بغداد/الخطيب:٤٣١/١٣ ـ ٤٣٣.
(١٢) ـ الجرح والتعديل ٦ /٢٥٢.

عمرو بن أبي عمرو في حديثه ضعف ليس يقوي وليس بحجة لم يرو عنه مالك وكان يضعفه".

وقال الشوكاني[١]: وعمرو بن أبي عمرو مختلف فيه مع كونه من رجال الصحيحين.

ـ ونقل عن الترمذي قوله في المطلب مولىٰ عمرو: قال محمّد لا أعرف له سماعاً من أحد من الصحابة. ونقل ابن عساكر عن ابن سعد قوله في المطلب: كان كثير الحديث وليس يحتج بحديثه لأنه يرسل عن النبي (ﷺ) كثيراً وليس له لقىٰ وعامة أصحابه يُدلِّسون"[٢].

(٣) ـ حديث ابن عباس: "لولا أن تطغىٰ قُريشا لأخبرتها بما لها عند الله"، رواه: يعقوب عن عبد الله بن الحارث عن طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس. أخرجه عمرو بن أبي عاصم[٣] وفيه طلحة بن عمرو وقد اتفقوا علىٰ ضعفه. قال ابن سعد: "كان كثير الحديث ضعيفاً جداً"[٤]. وضعفه العقيلي ونقل عن عمرو بن علي قوله: "كان يحيىٰ وعبد الرحمن لا يحدثان عن طلحة"[٥]. وقال ابن حبان: "طلحة بن عمرو يروي عن عطاء ونافع، كان ممن يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم لا يحل كتابة حديثه ولا الرواية عنه إلا علىٰ جهة التعجب"[٦] وعبد الله بن الحارث لم أجده فيما راجعت انه روىٰ عن طلحة بن عمرو غير هذا الحديث، ولم يثبت لي من هو. هذا مضافاً إلىٰ ما قيل عن يعقوب بن حميد. ورواية يكون هكذا أسنادها لا ينبغي أن يحتج بها.

(٤) ـ حديث معاوية بن أبي سفيان: "لولا أن تبطر قُريشا لأخبرتها بما لخيارها عند الله"، رواها أبو بكر بن أبي شيبة عن الفضل بن دكين عن عبد الله بن بشر عن زيد بن أبي عتاب عن معاوية بن أبي سفيان. ومعاوية بن أبي سفيان متهم عند طوائف من المسلمين بل يعدوه الأساس في ترويج الوضع في الحديث الشريف، وهناك ما يدل علىٰ ترغيبه للرواة لوضع ما يخدم سياسته المعادية لأهل بيت النبي (عليهم السلام) من الحديث، وروايات فضل قُريش علىٰ سائر العالمين فيها غايته القصوىٰ فلا اعتبار بحديثه وإن

---

(١) ـ نيل الأوطار، الشوكاني: ٥/ ٩٣.
(٢) ـ تاريخ دمشق، ابن عساكر: ٥٨/ ٣٥٩.
(٣) ـ كتاب السُنة: ص٦٥٢ ح١٥٢٩
(٤) ـ الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٥/ ٤٩٤.
(٥) ـ ضعفاء العقيلي: ٢/ ٢٢٤، التسلسل ٧٦٩.
(٦) ـ كتاب المجروحين، ابن حبان: ١/ ٣٨٢.

سبك السابكون لسند روايته الثقة عن الثقة.

(٥) ـ حديث عبد الله بن حنطب: يرويه احمد بن جعفر بن مالك القطيعي عن محمّد بن يونس عن محمّد بن سليمان المخزومي عن عبد العزيز بن أبي رواد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه.

ـ قال الترمذي: "عبد الله بن حنطب لم يدرك النبي (ﷺ)" [١].

ـ وأما المطلب بن عبد الله فمع كونه من رجال الصحيحين فهو مختلف فيه[٢]

ـ وعن ابن سعد: "كان كثير الحديث وليس يحتج بحديثه لأنه يرسل عن النبي (ﷺ) كثيراً وليس له لقىٰ وعامة أصحابه يُدلِّسون" [٣].

ـ وأما عمرو بن أبي عمرو ففيه ما فيه من الكلام وقد تقدم بعض القول فيه في سند حديث جبير بن مطعم.

ـ حديث أنس: رواه أيضاً القطيعي عن محمّد بن يونس الكديمي عن أبيه عن سليمان بن ميمون المخزومي عن عبد العزيز ابن أبي داود عن عمرو بن أبي عمرو عن أنس.

ـ فيه عمرو بن أبي عمرو وقد تقدم أن فيه القدح الكثير.

ـ وفيه عبد العزيز: وقد تكلم فيه غير واحد، ضعفه البخاري وقال كان يرىٰ الإرجاء[٤]، قال ابن حزم: "ضعيف منكر الحديث" [٥].

ـ وفيه محمّد بن سليمان المخزومي: قال ابن حبان: "كان كثير الخطأ فاحش الوهم لا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا انفرد وكان الحميدي شديد الحمل عليه"[٦] وضعفه النسائي وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقاة متناً وإسناداً.

ـ وفيه محمّد بن يونس الكديمي؛ وهو الطامة الكبرى، قال عنه ابن حبان: "كان يضع علىٰ الثقاة الحديث وضعاً، ولعله وضع أكثر من ألف حديث"[٧]. وفي هذه الشهادة العذر في قطع البحث عن هذا السند بل وعن هذه الرواية بكامل فروعها وألسنتها.

(٧) ـ رواية عتبة بن غزوان: ضعيفة بعبدالله بن عبد العزيز ومحمّد بن عبد العزيز فقد

---

(١) ـ سُنن الترمذي: ٥/ ٢٧٥، الحديث ٣٧٥٣.
(٢) ـ نيل الأوطار، الشوكاني: ٥/ ٩٣.
(٣) ـ تاريخ دمشق، ابن عساكر: ٥٨/ ٣٥٩.
(٤) ـ كتاب الضعفاء، البخاري: ص ٧٨.
(٥) ـ المحلى، ابن حزم: ٦/ ١٢٧.
(٦) ـ كتاب المجروحين، ابن حبان: ٢/ ٢٦٠.
(٧) ـ كتاب المجروحين، ابن حبان: ٢/ ٣١٢.

ضعفهما كل من تعرض لترجمتهما.

(٨) ـ حديث أبي هريرة؛ "قدموا قُريشاً ولا تقدموها" رواه إسماعيل بن أبي النجم عن عامر بن سيار عن عثمان بن عبد الرحمن عن الزهري عن أبي وديعة عن أبي هريرة.

وفي سنده عثمان بن عبد الرحمن، قال ابن عدي: منكر الحديث[١] ثم ذكر له أحاديث وقال لا يوافقه عليها الثقات، وعامة ما يرويه مناكير إما إسناداً وإما متناً.

ـ ونقل الرازي عن عبد الرحمن قوله: "سألت أبي عنه فقال: ليس بالقوي يكتب حديثه ولا يحتج به" [٢].

ـ ونقل الذهبي عن أبي حاتم قوله: "لا يحتج به"[٣] وقد حاول نفي الروايات التي نسبها إليه ابن عدي وعزاها إلىٰ غيره، لكن الأمر لا يختلف بعد أن نص الكثيرون علىٰ ضعفه. وقال ابن حجر: ليس بالقوي[٤].

ـ وفي السند أيضاً عامر ابن سيار وهو مجهول وقد ذكر بعضهم بدل سيار [يسار] لم أقف علىٰ ترجمة شافية له من أصحاب التراجم. وهكذا أبو وديعة وإسماعيل بن أبي النجم؛ هذا بالإضافة إلىٰ الراوي الأصل أبي هريرة المعروف بموالاته المطلقة لبني أمية، وقد قيل عنه الكثير فمن شاء فليراجع.

وما ذكرنا من طرق هي أهم أسانيد الخبر المتقدم وقد تبين ضعفها جميعاً، وما أهملنا منها ليس بأحسن مما تقدم، لذا لم نجد مزيد فائدة في التطويل.

الحديث الخامس

قال النبي (ﷺ): **"قُريش ولاة الناس في الخير والشر إلىٰ يوم القيامة"**

رواه أحمد في المسند[٥] وعمرو بن أبي عاصم[٦] والطبراني[٧] وابن عبد البر[٨] وابن حبان[٩] والسيوطي[١٠] وغيرهم. والجميع عن شعبة عن حبيب بن الزبير عن عبد الله بن

---

(١) ـ الكامل، ابن عدي: ٥ /١٦١.

(٢) ـ الجرح والتعديل، الرازي: ٦ /١٥٧.

(٣) ـ الكاشف في معرفة من له رواية في كتب السنة، الذهبي: ٢/١٠، التسلسل ٣٧١٩.

(٤) ـ تقريب التهذيب، ابن حجر: ١ /٦٦١.

(٥) ـ مسند أحمد: ٤ /٢٠٣.

(٦) ـ كتاب السنة، عمرو بن أبي عاصم: ص ٥١٣، الحديث ١١١٠.

(٧) ـ المعجم الكبير، الطبراني: ١٩ /٣٦٠.

(٨) ـ التمهيد، ابن عبد البر: ٢١ /٢٨١.

(٩) ـ طبقات المحدثين باصبهان: ١ /٣٧٥.

(١٠) ـ الجامع الصغير، السيوطي: ٢ /٢٥٥، الحديث ٦١٢٣.

أبي الهذيل عن عمرو بن العاص. وما يقال في هذا الخبر:

(١) ـ روي الخبر بصيغتين، ففيما تقدم من مصادر الحديث "قُريش ولاة الناس في الخير والشر". ونفس الرواية بنفس السند تقول: "الخلافة في قُريش إلىٰ قيام الساعة"، احتمل ابن أبي عاصم أن يكون أبو صالح هدبة الناقل بواسطة عن شعبة يكون قد توهم قال: أخشىٰ أن يكون الوهم في متن الحديث فقال "الخلافة في قُريش"[١]. واحتمل أن يكون قد نقل بالمعنى.

(٢) ـ الاختلاف في نقل الخبر، فقد ذكر الأكثر أن عبد الله بن أبي هذيل قال: قال رجل عند عمرو بن العاص لتنتهين قُريش أو ليجعلن الله هذا الأمر في جمهور من جماهير العرب غيرها، فقال عمرو بن العاص كذبت سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "قُريش ولاة الناس...". في حين ذكر الطبراني[٢]: كتب معاوية إلىٰ عمرو بن العاص: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: [قُريش ولاة الناس...]. وهي رواية واحدة بسند واحد، فأيهما هو الصحيح؟

هذا لو أغمضنا عن سند الرواية التي لم يذكرها غير عمرو بن العاص؛ فهو وإن كان في مقام محمود عند أهل السُنّة، موثوق عندهم، إلا أنه عند غيرهم وعند منصفي المحققين أكذب خلق الله وأشدهم حباً للرئاسة والحكم وأكثرهم دجلاً في الوصول إلىٰ هدفه ويكفي ما نقل عنه في مسألة التحكيم وكذبه علىٰ أبي موسىٰ الأشعري فوا عجباه ممن يعتمد روايته في أمور دينه وهو يقرأ ما يقرأ من شطحاته وهفواته ومواقفه.

الحديث السادس

قال النبي (ﷺ): **إن قُريشاً كانت نورا بين يدي الله ـ تعالىٰ ـ قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور، وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم ألقىٰ ذلك النور في صلبه.** ذكر هذا الحديث ابن النجار[٣] والسيوطي[٤] والقندوزي[٥]، ينتهي أسنادهم جميعاً إلىٰ سند واحد: محمّد بن أبي عمر العدني [العدي] عن عمر بن خالد القرشي عن محمّد بن عبد الله الحلبي عن عبد الله بن الفرات عن عثمان بن الضحاك عن ابن عباس. في

(١) ـ كتاب السنة: ص٥١٣، ح١١٠٩.
(٢) ـ المعجم الكبير ١٩ /٣٦٠.
(٣) ـ ذيل تاريخ بغداد، ابن النجار: ٢ /٩٤.
(٤) ـ الدر المنثور، السيوطي: ٣ /٢٩٥.
(٥) ـ ينابيع المودة/القندوزي: ١ /٦٠، ح١٢.

هذا السند ثلاث ملاحظات:

ـ **الأولى:** لا تجد سنداً بترتيب رواتها من العدني إلىٰ عثمان بن الضحاك إلا في موردين متشابهين وهما هذه الرواية الواردة في فضل قُريش، والثاني رواية رواها ابن خلاد الرامهرمزي في كتاب أمثال الحديث[١]، عن النبي (ﷺ) وهي: "عبد مناف عزّ قُريش وأسد بن عبد العزىٰ ركنها وعضدها وعبد الدار قادتها وأوائلها وزهرة الكبد وبنو تيم وعدي زينتها ومخزوم فيها كالأراكة في نضرتها وسهم وجمح جناحاها وعامر ليوثها وفرسانها وقُريش تبع لولد قصي والناس تبع لقُريش"؛ وهذه صدفة تدعو إلىٰ التأمل.

ـ **الثانية:** في سلسلة السند بعد العدني، حيث يلاحظ أن جميعهم مجهولون مهملون، فعمر بن خالد القرشي مجهول[٢] وعبد الله بن فرات نكرة[٣] ومحمّد بن عبد الله الحلبي رغم وجوده في جملة الرواة إلا أنه لم يعرف روايته عن عبد الله بن فرات ولا ممن يروي عنه عمر بن خالد إلا في هاتين الروايتين. وعثمان بن الضحاك اختلف فيه فلا يعلم هو عثمان بن الضحاك أم الضحاك بن عثمان ولم تجد له ترجمة شافية في كتب التراجم، وقد ضعفه بعضهم[٤].

ـ **الثالثة:** إن الرواية لم تنقل عن غير ابن عباس وحصراً بالسند المتقدم، وبقليل من التأمل فيما ورد بهذا المضمون من أحاديث النبي (ﷺ) نجد أن هذه الرواية موضوعة علىٰ نسق روايات وردت في حق علي بن أبي طالب (عليه السلام) بطرق متعددة رواها أكثر أصحاب المجاميع عن النبي (ﷺ) انه قال: "كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم... الخ". وقد رويت بأسانيد مختلفة عن علي (عليه السلام) وعثمان وابن عباس وسلمان وأبي ذر والإمام السجاد (عليه السلام) والإمام الباقر (عليه السلام). ولمن أراد التأكد، نذكر بعض مصادر الحديث فليراجع وهي كالآتي:

(١) ـ الرواية عن ابن عباس: رواها الزرندي الحنفي والقاضي عياض في كتابه الشفا بعبارة "كانت روحي نورا" والزرندي الشافعي[٥].

(٢) ـ الرواية عن سلمان: رواه ابن عساكر والمغازلي والديلمي وابن الدمشقي والذهبي

---

(١) ـ أمثال الحديث: ص١٤٩ ح١١٣.
(٢) ـ الجرح والتعديل/الرازي: ٦/١٠٦ ت٥٦٢.
(٣) ـ لسان الميزان، ابن حجر: ٥ /٢١٤.
(٤) ـ الكاشف، الذهبي: ٢ /٨. وتقريب التهذيب، ابن حجر: ١ /٦٦٠.
(٥) ـ نظم درر السمطين/ الحنفي ص٧٩، معارج الوصول/الشافعي ص٢٣.

والخوارزمي وابن الجوزي والقندوزي[١]

(٣) ـ الرواية عن علي (عليه السلام) وعن الإمام الباقر (عليه السلام): رواهما ابن مردويه والقندوزي[٢]

(٤) ـ الرواية عن عثمان: نقلها القندوزي[٣]

(٥) ـ الرواية عن الإمام علي بن الحسين: رواها العجلوني والصالحي الشامي.[٤]

الحديث السابع

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): **"إن هذا الأمر في قُريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله تعالىٰ علىٰ وجهه ما أقاموا الدين"** ذكره البخاري[٥] وأحمد[٦] والدارمي[٧] وغيرهم.

والرواية بهذه الصيغة انفرد بها معاوية بن أبي سفيان، وقصة هذا الحديث يرشد بوضوح إلىٰ حقيقة دور حب السلطة والاستئثار بها في وضع الأحاديث، فقد نقل البخاري وأحمد والكلام من مسند أحمد بن حنبل، أخرج عن محمّد بن جبير بن مطعم أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قُريش أن عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان فغضب معاوية فقام فأثنىٰ علىٰ الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فانه بلغني أن رجالاً منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأولئك جهالكم، فإياكم والأماني التي تضل أهلها فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إن هذا الأمر في قُريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله تعالىٰ علىٰ وجهه ما أقاموا الدين.

فأنت ترىٰ أن وقع إشاعة "سيكون ملك من قحطان" عند رئيس سلطة قُرشي قد عمل المستحيل للوصول إلىٰ هذا المنصب، ويسعىٰ هو وسادة قبيلته من أجل احتكار هذه السلطة لصالح قبيلتهم؛ هو من الثقل والشدة ما يمكن عد التفوه به بمنزلة الكفر، لهذا نرىٰ معاوية يغضب لمجرد سماعه هذا الكلام ويسفه دون مبالاة عبدالله بن عمرو بن العاص ويعده جاهلاً قد كذب علىٰ الله ورسوله بذكر هذا القول، ويحث القرشيين بل

(١) ـ تاريخ دمشق: ٤٢/٦٧ ومناقب المغازلي: ص٧ وفردوس الأخبار: ٣/٣٣٢ وجواهر المطالب: ١/٦١ وميزان الاعتدال: ١/ ٥٠٧ والمناقب: ص١٤٥ والموضوعات: ١/١٤ وينابيع المودة: ١/٤٧.

(٢) ـ المناقب، ابن مردويه ص ٢٨٥ الحديث ٤٥٠، ينابيع المودة، القندوزي: ١/ ٤٨.

(٣) ـ ينابيع المودة، القندوزي ٢/٣٠٧ ح٨٧٦.

(٤) ـ كشف الخفاء، العجلوني ١ /٢٦٦ وسبل الهدى والرشاد، الصالحي الشامي ١/٦٩.

(٥) ـ صحيح البخاري: ٤ /١٥٥.

(٦) ـ مسند أحمد: ٤ /٩٤.

(٧) ـ سُنن الدارمي: ٢ /٢٤٢، الحديث ١٥٥.

المسلمين علىٰ عدم الاستماع أو الاعتناء بمثل هذه الأقوال لأنها أماني مضلة، وكان لابد من دحض هذه الشبهة وإبعاد شبحها بسلاح ماضٍ، فكان هذا الحديث الذي لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه عند القوم لأن مصدره خليفة المسلمين، لا سيما وهناك خلفية مشوشة بين الناس في كون خلفاء النبي (ﷺ) من قُريش.

والغريب أن يصدر حديثاً مهماً بهذا النص عن رسول الله (ﷺ) ولم يسمعه غير معاوية فيدخل ضمن الصحاح ثم يتشبث آخرون في البحث عن مؤيدات من مقاطع الروايات لإثبات صحة ما رواه معاوية. ولئن كان معاوية عدلاً عند المجسمة من أتباعه ويتعبدون برواية انفرد بها فهم أحرار وليس الأمر عند غيرهم كذلك؛ فهو:

ـ فاسق فاجر شارب للخمر كاذب عند غيرهم من المسلمين،

ـ باغ بلا شك لمحاربته خليفة زمانه وخروجه عليه بالسيف فضلاً عن الرواية الصحيحة في عمار بن ياسر رضوان الله تعالىٰ عليه "تقتلك الفئة الباغية".

ـ كاذب لاستلحاقه زياد بن أبيه خلافاً لقول الرسول (ﷺ) "الولد للفراش وللعاهر الحجر".

ـ قاتل للمؤمنين عن عمد كقتله حجر بن عدي وأصحابه وسمّه الحسن (عليه السلام).

ـ ناكث للعهد بعد نكثه للعهد الذي بموجبه صالح الحسن بن علي[٨].

ـ شارب للخمر كما في صحاح الأخبار وغيرها من الكبائر.

وعلىٰ هذا لا وزن له ولا لروايته بل هو المتهم بوضع هذا الحديث علىٰ لسان رسول الله

الحديث الثامن

قال رسول الله (ﷺ): **"إن هذا الأمر في قُريش ما داموا إذا استرحموا رحموا وإذا ما حكموا عدلوا وإذا ما قسموا أقسطوا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منهم صرف ولاعدل".**

وهي رواية أبي موسىٰ الأشعري، رواها أبو أسامة عن عوف عن زياد بن مخراق عن أبي كنانة عن أبي موسى. وذكرها أحمد[١] وعمرو بن أبي عاصم[٢] وابن أبي شيبة[٣] مكتفيا بصدر الحديث، والهيثمي[٤] وغيرهم.

(١) ـ مسند أحمد: ٤ /٣٦٩.

(٢) ـ كتاب السُنة: ص ٥١٧، الحديث ١١٢١.

(٣) ـ المصنف، ابن أبي شيبة: ٧ /٥٤٨.

(٤) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ٥ /١٩٣.

وفي سند الرواية ضعف؛ فأبو كنانة مجهول الحال[١] وزياد بن مخراق رغم توثيقه فيه بعض الإشكال، مضافاً إلىٰ مشكلة في بعض القواعد التي تبناها بعضهم في أخذ الرواية من الرواة، مثل قاعدة الأخذ من الموسرين دون الفقراء لبعد الموسر عن الكذب. وهذا بعمومه غير صحيح، وينطبق هذا علىٰ زياد بن مخراق، فقد نقل ابن عساكر عن الصباح؛ قال: "سمعت شعبة يقول لا تكتبوا عن الفقراء شيئاً فانهم يكذبون لكم وعنه أيضاً قال: سمعت شعبة يقول: اكتبوا عن زياد بن مخراق فانه رجل موسر لا يكذب" [٢].

فهذا الميزان لا يمكن أن يكون صحيحاً دائماً فليس كل موسر بصادق وليس كل معسر بكاذب. وبمجرد كون الرجل موسراً، لا يثب عدالة الراوي وصدقه. وذكر ابن عساكر والخطيب قصة عن زياد تكشف جانباً من حاله لا يليق

بمن يروي أحاديث سيد الكائنات (ﷺ)، فقد ذكرا أنه: "كان زياد بن مخراق يجلس إلىٰ إياس بن معاوية، قال؛ ففقده يومين أو ثلاثة فأرسل إليه فوجدوه عليلاً، قال: فأتاه فقال ما بك؟ فقال له زياد علّة أجدها، قال له إياس: والله ما بك حمّىٰ وما بك علة أعرفها فأخبرني ما الذي تجد؟ قال: يا أبا واثلة تقدمت إليك امرأة فنظرت إليها في نقابها حين قامت من عندك فوقعت في قلبي فهذه العلة منها" [٣].

وكان ينبغي لصاحبنا أن يتذكر قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ لا أن يمعن النظر في محاسن المرأة في نقابها. هذا مضافاً إلىٰ أن هذه الرواية قد وردت بألسنة مختلفة وطرق متعددة تخالف بعضها بعضاً، ففي حين ادعىٰ بكير بن وهب الحريري أن أنس تفرد بها حيث يقول: "قال لي أنس أحدثك حديثاً ما حدثه كل أحد أن رسول الله (ﷺ) قام علىٰ باب البيت ونحن فيه فقال الأئمة من قُريش..."[٤]. إلا أننا نرىٰ آخرين غير أنس، ممن روىٰ الحديث وفي نفس الواقعة ينقله تارة بعبارة: "إن هذا الأمر في قُريش". وأخرىٰ بعبارة: "الأمراء من قُريش"، وثالثة بعبارة: "يا معشر قُريش إنكم الولاة من بعدي".

ونحن ننقل رواية البيت الذي اجتمعت فيه قُريش بعباراتها المختلفة من رواة

---

(١) ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر: ٢ /٤٥٨، تسلسل ٨٣٦٦. ولسان الميزان ٧/٤٨٠.

(٢) ـ تاريخ دمشق: ١٩ /٢١٨.

(٣) ـ تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٩ /٢٢٠، وتاريخ بغداد، الخطيب: ٨ /٦٤.

(٤) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ٥ /١٩٢.

تواجدوا هناك ونترك الحكم عليها لذوي الذوق من خلال ما يستنبطون.

١ ـ رواية أبي برزة؛ قال: "قال رسول الله (ﷺ) الأمراء من قُريش ثلاثا ما فعلوا ثلاثا ما حكموا فعدلوا واسترحموا فرحموا وعاهدوا فوفوا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ".

٢ ـ رواية أبي هريرة: "قال رسول الله (ﷺ) ان لي علىٰ قُريش حقا وان لقُريش عليكم حقا ما حكموا فعدلوا وائتمنوا فأدوا واسترحموا فرحموا ".

٣ ـ رواية أنس بن مالك: "أن رسول الله (ﷺ) قام علىٰ باب البيت ونحن فيه فقال: الأئمة من قُريش إن لي عليكُم حقا ولهم عليكُم حقا مثل ذلك ما إن استرحموا رحموا وإن عاهدوا وفوا وإن حكموا عدلوا فمن لم يفعل ذلك منهم عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ".

٤ ـ رواية أبي موسىٰ الأشعري: "قام رسول الله (ﷺ) علىٰ باب فيه نفر من قُريش فقال وأخذ بعضادتي الباب: هل في البيت إلا قرشي؟ قال فقيل يا رسول الله غير فلان ابن اختنا، فقال ابن أخت القوم منهم، ثم قال: إن هذا الأمر في قُريش ما إذا استرحموا رحموا وإذا حكموا عدلوا وإذا أقسموا أقسطوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولاعدل".

٥ ـ رواية أبي سعيد الخدري: "قال رسول الله (ﷺ) علىٰ بيت فيه نفر من قُريش فأخذ بعضادتي الباب فقال هل في البيت إلا قُريش فقالوا إلا ابن أخت لنا، فقال: ابن أخت القوم منهم ثم قال: هذا الأمر في قُريش ما إذا استرحموا رحموا وإذا حكموا عدلوا وإذا أقسموا أقسطوا ومن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين".

٦ ـ رواية أخرىٰ عن أنس: قال: "كنا في بيت فيه نفر من المهاجرين والأنصار فأقبل علينا رسول الله (ﷺ) فجعل كل رجل منا يوسع رجاء أن يجلس إلىٰ جنبه ثم قام إلىٰ الباب فأخذ بعضادتيه فقال: الأئمة من قُريش ولي عليكُم حق عظيم ولهم ذلك ما فعلوا ثلاثا إذا استرحموا رحموا وإذا حكموا عدلوا وإذا عاهدوا أوفوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وفي رواية وإذا ائتمنوا أدوا".

٧ ـ رواية عمرو بن عوف المزني: أن رسول الله (ﷺ) كان قاعداً معهم فدخل بيته فقال

ادخلوا عليَّ ولا يدخل عليّ إلا قُرشي، فتسللت فدخلت، فقال رسول الله (ﷺ) يا معشر قُريش هل معكم أحد ليس منكم؟ قالوا نخبرك يا رسول الله بآبائنا أنت وأمهاتنا معنا ابن الأخت والموالي. فقال الرسول (ﷺ) حليف القوم منهم وابن أخت القوم منهم. يا معشر قُريش إنكم الولاة من بعدي لهذا الأمر فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة. يا معشر قُريش احفظوا فيّ أصحابي وأبناءهم وأبناء أبنائهم رحم الله الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.

هذه جملة الألسنة التي أوردت الرواية وهي كما ترىٰ في مناسبة واحدة وفي مكان واحد، فهل نصدق روايتي أنس "الأئمة من قُريش" ونقول إن ذلك تأكيد لقوله (ﷺ) إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أو قوله يكون عليكُم اثنا عشر خليفة كلهم من قُريش، أو اثنا عشر كنقباء بني إسرائيل؟ ونقول هم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أم نصدق رواية المزني ونقول إن النبي (ﷺ) قال يا قُريش إنكم الولاة من بعدي؟ ونصحح خلافة آل أمية وآل مروان وآل عباس؟

ثم لماذا خالف الأنصار هذا الحديث لو صح واجتمعوا في السقيفة لينتخبوا منهم الخليفة؟ هل بإمكان المصححين لهذه الرواية طعن الأنصار في دينهم لمخالفتهم الصريحة للنبي (ﷺ) في قوله هذا؟ وكيف ندعي ترك النبي (ﷺ) الوصية وهذا حديث صريح في ذلك؟ وبماذا نثبت أن هذا الحديث مع فرض صحته يجيز لكل قرشي أن يتصدىٰ لخلافة المسلمين، وإذا كان كذلك فلماذا تقدموا علىٰ بني هاشم وهم سادة قُريش بنص الرواية المتقدمة في فضل العرب "واختار من قُريش بني هاشم" الذي طبل لها ابن تيمية؟

وإذا كان الأمر كما زعموا أن الناس تولوا أمر المسلمين بعد وفاة النبي (ﷺ) بحجة تركه الوصية واجتمع هناك أهل العقد والحل لانتخاب خليفة من قُريش فلماذا خالفوا الرواية المشهورة" من تولىٰ من أمر المسلمين شيئاً فاستعمل عليهم رجلاً وهو يعلم أن فيهم من هو أولىٰ بذلك وأعلم منه بكتاب الله وسنة رسوله فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين"[١]، وكان بنو هاشم أفضل قُريش، وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) من بين بني هاشم

(١) ـ نصب الراية، الزيعلي: ٣٧/٥ ومثله في السُنن الكبرى، البيهقي: ١١٨/١٠ والعهود

أعلم الموجودين بكتاب الله وسنة رسوله. فمن الذي خان الله ورسوله باستعمال معاوية ويزيد وأمثالهم؟

فالرواية مع فرض صحتها لا يمكن أن يستفاد منه ما إستفاده العروبيون الذين صعدوا علىٰ رقاب المسلمين بتأويل مثل هذه الأحاديث.

الحديث التاسع

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): **"لا يزال هذا الأمر في قُريش ما بقي من الناس اثنان"**

ذكره مسلم[١] وغيره بأسانيد عن عاصم بن محمّد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه محمّد بن زيد عن جده عبد الله بن عمر. واستدلوا به وبغيره علىٰ أن الخلافة مختصة بقُريش إلىٰ آخر الدهر، قال النووي: "لا يجوز عقدها لأحد غيرهم وعلىٰ هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة فكذلك بعدهم ومن خالف فيه من أهل البدع أو عرض بخلاف من غيرهم فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين، فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة" [٢].

أقول: لوكان الأمر كما يدعون وأن المسالة كانت بهذه الشهرة وكان صحابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سمعوا بعضاً من هذه الأحاديث وأجمعوا علىٰ أن ولاية الأمر وتسنم الحكم خاص بقُريش كائناً من كان المتولي وأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يعين خلفاءه ولم ينص علىٰ أحد من الناس كما يدعون؛

- فلماذا وقع النزاع إذن بين المهاجرين والأنصار عقيب وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما هو معروف مشهور بين المسلمين؟
- ولماذا نزوا علىٰ سعد بن عبادة الصحابي المعروف[٣] في زحام السقيفة؟
- ولماذا امتنع عدد كبير من الصحابة عن البيعة لأبي بكر؟
- ولماذا رفضته قبائل من العرب وامتنعت عن أداء الزكاة إليه؟
- وكيف خالف علي بن أبي طالب وفاطمة بنت محمّد (عليها السلام) هذا الانتخاب؟

ثم إن كلام الخليفة عمر بن الخطاب لا يدل علىٰ ما ادعاه النووي من إجماع المسلمين علىٰ حبس الأمر في قُريش القبيلة حيث يقول: "وإنا والله ما رأينا فيما حضرنا

المحمّدية، الشعراني: ٧٨٩ وغيرها.

(١) ـ صحيح مسلم: ٦/ ٢.

(٢) ـ شرح مسلم، النووي: ١٢/ ٢٠٠.

(٣) ـ مسند أحمد: ١/ ٥٦.

من أمرنا أمراً كان أقوىٰ من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم أن يحدثوا بيعة بعدنا فإما أن نبايعهم علىٰ ما لا نرضىٰ وإما نخالفهم فيكون فساداً"[١].

فالمسألة هي نرضىٰ ولا نرضىٰ لا قال الرسول (صلى الله عليه وآله) أو لم يقل.

- فأي إجماع يدّعون انعقاده في السقيفة؟ وقد كادت السيوف أن تجرد فيها بعد تراشق الشتائم والتهم والأخذ باللحى؟؟
- وأي إجماع يصح وليس فيه علي (عليه السلام) والزبير وسلمان والمقداد والآلاف المؤلفة من الذين حكم عليهم بالارتداد لرفضهم قبول الخلافة القرشية؟؟
- نعم، أجمعت قُريش علىٰ اغتصاب حق آل محمّد (صلى الله عليه وآله).
- لهذا حرقوا باب دار فاطمة (عليها السلام) وتكالبوا علىٰ علي (عليه السلام) وجروه إلىٰ المسجد.
- وحرموا الزهراء من ميراثها بحديث واحد موضوع من رجل لم يؤيده فيه أحد من الصحابة "نحن معاشر الأنبياء لا نورّث".
- ثم إن أبا بكر لم يحتج علىٰ سعد بن عبادة بحديث لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذا الشأن حين قال سعد: "نحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وقد دفت إلينا يا معشر المسلمين منكم دافة وإذا هم قد أرادوا أن يختصوا بهذا الأمر ويخرجونا من أصلنا"[٢] وإنما قال أبو بكر بصراحة: "لن يعرف العرب هذا الأمر إلا في هذا الحي من قُريش، هم أوسط العرب داراً ونسباً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم"[٣] ثم أخذ بيد عمر وأبي عبيدة الجراح.
- فهل يعقل أن يكون الأنصار برمتهم وعلىٰ رأسهم سعد بن عبادة لم يسمعوا حديث "لا يزال هذا الأمر في قُريش" أو غيره من الأحاديث التي ملأت الصحاح والمسانيد بحق قُريش المطلق في الخلافة، فيكون لهم هذا الموقف بل ويجتازوا إلىٰ طلب المحاصصة في الأمر بقولهم "منا أمير ومنكم أمير"[٤].
- فأين كانت كل هذه الروايات العجيبة الواردة في أحقية قُريش بالأمر آنذاك الكافية في ردع الأنصار عن مزاحمة قُريش؟؟
- ثم لماذا قال أبو بكر "لن يعرف العرب هذا الأمر إلا في هذا الحي من قُريش" ولم

---

(١) ـ المصنف، عبد الرزاق الصنعاني: ٥ /٤٤٤.
(٢) ـ صحيح ابن حبان: ٢ /١٤٩.
(٣) ـ صحيح ابن حبان: ٢ /١٥٠.
(٤) ـ صحيح البخاري: ٤ /١٩٤.

يقل: قال رسول الله إن هذا الأمر في قُريش؟؟

إن المسألة واضحة جداً وهي كما قال أبو بكر، فالعرب طيلة الجاهليّة ما عرفت السيادة إلاّفي قُريش وهذه مطالبة منه بالسيادة السابقة لا بما أراده النبي (ﷺ).

والحق أن الأمر لا يخلوا من حالتين إما أنه لا رواية بهذا المضمون أساساً بدليل تجاهل الأنصار لمثل هذا الأمر وعدم الاحتجاج من قيادة قُريش بحديث واحد منها عند معارضة الأنصار. وإما أن نحكم بمخالفة المسلمين من غير قُريش جهرا لرسول الله (ﷺ).

فإن قالوا لا هذا ولا ذاك قلنا إذن لابد من وجود أمر ما لم يقتنع به القوم فداسوه في التظاهرة بين القصر والمسجد كما داسوا سعد بن عبادة المريض؟

والأقرب للظن أن هذه الرواية كأخواتها مسروقة مما نقله الإمام جعفر[1] بن محمّد الصادق (عليه السلام): "لو لم يكن في الأرض إلا اثنان لكان الإمام أحدهما" والمسألة واردة في خلفاء الرسول (ﷺ) الإثنا عشر وأن إمامتهم تدوم إلىٰ انتهاء الدنيا وأن آخرهم باق في الأرض موجود فلو لم يبق إلا اثنان لكان هو أحدهم. ويؤيد ذلك حديث الثقلين النص في خلافة خلفاء الرسول من أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين عدل الكتاب الملازمين له وانهما "**لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض**" فبقاؤهم مع بقاء القرآن فهي من أدلة حياة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف لا في قُريش كقبيلة.

الحديث العاشر

قال رسول الله (ﷺ): "**الملك في قُريش، والقضاء في الأنصار، والأذان في الحبشة، والسرعة في اليمن**" وهذه أيضاً من الروايات التي اختلف الرواة في نقلها علىٰ صور:

١ ـ ما تقدم، وهو ما رواه أحمد في المسند[2] وابن أبي شيبة في المصنف[3] عن زيد بن

---

(١) ـ «**جعفر بن محمّد**» **الصادق** (عليه السلام) (٨٣ ـ ١٤٨ هـ)، سادس أئمة الشيعة الاثنا عشرية، وإليه يُنسَب «**المذهب الجعفري**» ولد في المدينة المنورة واستشهد فيها ودُفِنَ في البقيع إلىٰ جانب أبيه الإمام الباقر (عليه السلام) حظي بمكانة علمية مرموقة عند أئمة مذاهب أهل السنة، روىٰ عنه مالك وعدّه أبو حنيفة أعلم أهل زمانه. رفض دعوة أبي سلمة الخلال وأبي مسلم الخراساني لتولي الخلافة. اتخذ التقية منهجاً تجاه حكام عصره، سكن لفترات قصيرة في كربلاء والنجف والكوفة، كما كشف عن قبر علي (عليه السلام) لأصحابه، وكان قبره مخفياً قبل ذلك. سُمّ بأمر المنصور العباسي، تشعبت الشيعة بعد استشهاده إلىٰ عدة فرق، منها: الإسماعيلية والفطحية والناووسية.

(٢) ـ مسند أحمد: ٢/ ٣٦٤.

(٣) ـ المصنف، ابن أبي شيبة: ٥/ ٥٤٦.

الحباب عن معاوية بن صالح عن أبي مريم عن أبي هريرة.

٢ ـ وفي الكنز[١] روايتان:

ـ **الأولى**: "الخلافة في قُريش والقضاء في الأنصار والأذان في الحبشة والجهاد والهجرة في المسلمين والمهاجرين". عن ابن جرير عن عتبة بن عبد.

ـ **الثانية**: "الخلافة في قُريش والقضاء في الأنصار والأذان في الحبشة والجفاء في قضاعة والسرعة في اهل اليمن والأمانة في الأزد ". أيضاً عن ابن جرير.

٣ ـ وفي مجمع الزوائد[٢]: "الملك في قُريش والقضاء في الأنصار والأذان في الحبشة والشرعة في اليمن والأمانة في الأزد".

٤ ـ والطبراني[٣] وابن عساكر[٤] والسيوطي[٥] وغيرهم: "الملك في قُريش والقضاء في الأنصار والأذان في الحبشة والأمانة في الأزد". والبحث في هذه الرواية من جهتين:

ـ **الأولى**: أن يكون لسانها إنشاء حكم، ومعناه أنه لا يجوز لغير القرشي تولي أمر الناس ولا يجوز لغير الأنصاري تولي القضاء وهكذا... فهو مخالف للوجدان وإجماع المسلمين إذ لم يقل أحد من فقهائهم بعدم جواز القضاء لغير الأنصاري ولا حرمة الأذان من غير الحبشي.

ـ **الثانية**: أن يكون خبراً عن وقوع الأمور المذكورة، ويكذبه الواقع أيضاً فكم من مؤذن غير حبشي وهو يؤذن في مساجد المسلمين وكم من قاض يقضي بين الناس وهو ليس من الأنصار وبالتالي يسري هذا الفساد إلىٰ تولي قُريش أيضاً للملك لوحدة السياق، فالرواية مخالفة للعقل والوجدان.

هذا إذا لم نطعن في سَند الرواية، فإن أبا هريرة أول المسؤولين عن حاله، تلميذ كعب ومضروب الخليفة عمر بعد نهيه عن الرواية، ولا أقول فيه أكثر مما قاله الأستاذ أبو رية: "الذي يقضي به الدين والعقل والمنطق والتاريخ أن عمر لم يفعل ما فعل مع أبي هريرة إلا لأنه كان يعلم من أمره أنه ليس أهلاً لأن يكون راوية أمينا صادقاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)"[٦].

---

(١) ـ كنز العمال، المتقي: ١٢ م ٨٦، الحديث ٣٤١٠٥، و١٤/٩٤، الحديث ٣٨٠٣٢.

(٢) ـ مجمع الزوائد، الهيثمي: ٤/ ١٩٢.

(٣) ـ مسندالشاميين/الطبراني:٣/١١٩ح١٩٠٩.

(٤) ـ تاريخ دمشق، ابن عساكر: ٦٧/ ٢١٢.

(٥) ـ الجامع الصغير، السيوطي: ٢/ ٦٧١، الحديث ٩٢٣٥.

(٦) ـ شيخ المضيرة، محمّد أبو رية: ص ١٠٧.

الحديث الحادي عشر

قال النبي (ﷺ): "**إن قُريشا أهل أمانة لا يبغيهم العثرات أحد إلا كبه الله لمنخريه** "

رواها الشافعي[١] وأحمد[٢] والحاكم[٣] والصنعاني[٤] وابن أبي شيبة[٥] وابن أبي عاصم[٦] والبخاري[٧] والعجلوني[٨] بأسانيدهم إلىٰ إسماعيل بن عبيدة بن رفاعة الأنصاري عن أبيه عن جده رفاعة بن رافع. قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ورواها ابن عساكر[٩] عن المسور بن عبد الملك اليربوعي عن زيد بن عبد الرحمن بن سعيد عن جابر بن عبد الله الأنصاري. ويمكن مناقشة هذه الرواية من جهات:

ـ **الجهة الأولى**: السند؛

ـ الطريق الأول مردود بما قيل في رفاعة جد إسماعيل الذي يروىٰ عنه الحديث، فقد نقل الرازي[١٠] عن عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول: عبيد بن رفاعة ليست له صحبة ولا لأبيه فكيف سمع رفاعة قول الرسول (ﷺ)؟ وكذلك ضعيف بعبد الله بن عثمان بن خيثم، قال ابن عدي: قال ابن معين أحاديثه ليست بالقوية، لا يحتج به[١١]. وفي الهامش: قال أبو حاتم: كان يحيىٰ وعبد الرحمن لا يحدثان عن ابن خيثم. وكذلك يحيىٰ بن سليم، فقد اختلفت أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، وأورده النسائي في الضعفاء والمتروكين.

ـ أما الطريق الثاني ـ طريق ابن عساكر ـ ففيه المسور بن عبد الملك ليس بالقوي[١٢] وكذلك سعد بن عبد الله بن عبد الحكم فيه كلام وزيد بن عبد الرحمن يمكن أن يعد في المجاهيل رغم ذكر ابن حبان له في الثقاة وقوله يروي المراسيل[١٣].

ـ **الجهة الثانية**: في متن الحديث؛ فقد وردت عبارات المتن في صور مختلفة فبينما اقتصر

---

(١) ـ كتاب المُسند: ص٢٧٩، والأم: ١ /١٨٨.
(٢) ـ مسند أحمد: ٤ /٣٤٠.
(٣) ـ المستدرك، الحاكم: ٤ /٧٣.
(٤) ـ المصنف، عبد الرزاق الصنعاني: ١١ /٥٥.
(٥) ـ المصنف، ابن أبي شيبة: ٧ /٥٤٥.
(٦) ـ كتاب السنة/ابن أبي عاصم:٦٢٠ ح١٥٠٧
(٧) ـ الأدب المفرد، البخاري: ص ٢٨.
(٨) ـ كشف الخفاء، العجلوني: ١ /٣١، ح٤٤.
(٩) ـ تاريخ دمشق/ ابن عساكر: ١١ /٢٣٣.
(١٠) ـ الجرح والتعديل، الرازي: ٥/٤٠٦ ت١٨٨١.
(١١) ـ الكامل، ابن عدي: ٤ /١٦١، ت٩٨٢.
(١٢) ـ ميزان الاعتدال، الذهبي: ٤/ ١١٤، ت ٨٥٤٠، ولسان الميزان، ابن حجر: ٦/٣٧.
(١٣) ـ كتاب الثقات، ابن حبان: ٦ /٣١٦.

بعضهم علىٰ ما قدمناه في العنوان روىٰ بعضهم الآخر رواية مفصلة ضمنها عبارة العنوان كما اختلفوا في مكان الواقعة بين قائل بأنه كان في المسجد وآخرون أنهم كانوا في بيت.

ونحن نذكر بعض صيغ الرواية:

ـ نقل الحاكم في المستدرك: إن رسول الله (ﷺ) قال لعمر بن الخطاب يا عمر اجمع لي قومك، فجمعهم ثم دخل عليه فقال يا رسول الله قد جمعتهم، فيدخلون عليك أم تخرج إليهم، فقال بل أخرج إليهم، فسمعت بذلك المهاجرون والأنصار فقالوا لقد جاء في قُريش وحي، فحضر الناظر والمستمع ما يقال لهم، فقام بين أظهرهم فقال هل فيكم غيركم، قالوا نعم فينا حلفاؤنا وأبناء أخواتنا وموالينا، فقال رسول الله (ﷺ) حلفاؤنا منا وموالينا منا، ثم قال ألستم تسمعون؟ أوليائي منكم المتقون فإن كنتم أولئك فذلك وإلا فأبصروا ثم أبصروا، لا يأتين الناس بالأعمال وتأتون بالأثقال فيعرض عنكم، ثم نادىٰ فرفع صوته فقال: إن قُريشا أهل أمانة من بغاهم العواثر أكبه الله علىٰ المنخرين قالها ثلاثا[١].

ـ وذكر الشافعي الجملة الأخيرة من الرواية، وأحمد كذلك مع اختلاف في الألفاظ حيث ذكر "أهل صدق وأمانة فمن بغىٰ لها العواثر أكبه الله في النار". وكذا ابن أبي شيبة ذكر مثل ما ذكر أحمد بفارق قوله [أكبه الله علىٰ وجهه] بدل أكبه الله في النار.

ـ وذكره البخاري في الأدب بنفس العبارات مع اختلاف يسير في الذيل "ثم نادىٰ فقال أيها الناس ورفع يديه يضعهما علىٰ رؤوس قُريش، أيها الناس إن قُريشاً أهل أمانة من بغىٰ بهم ـ قال زهير أظنه قال ـ العواثر كبه الله لمنخريه".

ـ وهكذا العجلوني باختلاف "لا يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها فأصد عنكم بوجهي".

كل هذه التعبيرات منقولة عن شخص واحد هو إسماعيل بن عبيد، ولا شك أن الاختلاف في التعابير جاء من نقل الناقلين لرواية إسماعيل فمنهم من اقتصر علىٰ مبتغاه وهو ما يخص قُريش ومنهم من شرح الواقعة بتفصيلاتها. والمنصف يرىٰ التناقض واضحا بين عباراتها، ففي الوقت الذي نجد واضحا إرادة النبي (ﷺ) الاختلاء بقُريش وحرصه علىٰ أن لا يكون فيهم أحد غيرهم وتأكيده علىٰ ذلك، نجد روايتي الحاكم والبخاري تؤكدان أن

(١) ـ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ٤ /٧٣.

الأنصار لما سمعوا بالخبر قالوا قد نزل في قُريش الوحي "فجاء المستمع والناظر". وهذا يخالف ما قالته قُريش ليس معنا إلا ابن الأخت والموالي.

ـ **الجهة الثالثة**: في موضوع الحديث،

لو تمعنّا في قوله (ﷺ) في الخبر [هل فيكم غيركم قالوا نعم فينا حلفاؤنا وأبناء أخواتنا وموالينا] فيقول (ﷺ) ابن أختكم منكم... الخ. لرأينا أن هذه القصة هي نفس قصة الحديث المتقدم [إن هذا الأمر في قُريش أو إن الأئمة من قُريش] حيث جمع قُريشاً في بيت وأخذ بعضادتي الباب وقال هل فيكم غيركم. ولم يثبت بخبر صحيح أن الرسول (ﷺ) قد فعل ذلك مراراً وسأل نفس السؤال تكراراً.

ثم إن الرواية بصيغتها في هذا الخبر لم تتضمن أمرا هاما يستوجب تكليف الرسول (ﷺ) عمر بن الخطاب بجمع قبيلته فيجتمع باجتماعها الأنصار المستمع والناظر ليقول لهم [أوليائي منكم المتقون] ثم يدعو لهم كما في رواية عبد الرزاق الصنعاني بقوله [اللهم إن قُريشاً أهل أمانة فمن أرادها.... الخ][(١)]. فأية حكمة في هذا؟ بل هي في صيغتها الأولىٰ [إن هذا الأمر في قُريش] لأكثر منطقية حيث يخبر قُريشا بالاستعداد لاستلام خلافته ودفع أية جهة تنازعها السلطان فإن الله حكم بذلك، وليت شعري لماذا زعم القوم إن الرسول (ﷺ) مات من غير وصية؟ وأية وصية أوضح من قوله: "إن هذا الأمر في قُريش" أو "إن الإمامة في قُريش".

الحديث الثاني عشر

قال النبي (ﷺ): **"قُريش خالصة الله تعالىٰ فمن نصب لها حرباً سلب، ومن أرادها بسوء خزي في الدنيا والآخرة"** المصدر الوحيد لهذه الرواية هو ابن عساكر ذكرها في تاريخه[(٢)] ثم أخذه عنه المتقي الهندي[(٣)] والسيوطي[(٤)]. وسند الخبر كما ذكره ابن عساكر: احمد بن أنس بن مالك الدمشقي عن إسحاق بن سعيد بن الأركون عن أبي مسلم سلمة بن العيار عن عبد الله بن لهيعة عن مشرح بن عاهان عن عمرو بن العاص عن النبي (ﷺ)

وهذا السند غني عن الوصف، فناقل الخبر عمرو بن العاص زعيم العروبيين

(١) ـ المصنف، عبد الرزاق الصنعاني: ١١/ ٥٥.
(٢) ـ تاريخ مدينة دمشق: ٨/٣٠٥ و٢٢/١١٠
(٣) ـ كنز العمال، الهندي: ١٢/ ٢٦ ح٣٣٨١٥
(٤) ـ الجامع الصغير، السيوطي: ٢/ ٢٥٥، الحديث ٦١٢٠.

ومفكرهم كما أن بقية رواته متهمون. فمشرح بن عاهان ضعيف[١]، وعبد الله بن لهيعة، قال ابن حبان في ترجمته كما نقل ذلك أحمد بن حنبل في العلل[٢]: "قد سبرت أخباره في رواية المتقدمين والمتأخرين عنه فرأيت التخليط في رواية المتأخرين عنه موجودا، وما لا أصل له في رواية المتقدمين كثيراً فرجعت إلىٰ الاعتبار فرأيته يُدلِّس عن قوم ضعفاء وعلىٰ أقوام رآهم ابن لهيعة ثقات فألزق تلك الموضوعات بهم ".

وذكره البخاري في الضعفاء[٣]، ونقل في التاريخ الكبير عن الحميدي عن يحيىٰ بن سعيد: كان لا يراه شيئاً. كما ضعفه النسائي[٤] أيضاً. ونقل الرازي[٥] عن مبشر بن السري قوله: لو رأيت ابن لهيعة لا تحمل عنه حرفاً.

وإسحاق بن سعيد بن الأركون، ضعيف أيضاً، قال عنه الدار قطني: شامي منكر الحديث[٦]، ونقل الذهبي عن أبي حاتم قوله: ليس بثقة[٧]. كما ضعفه المناوي[٨] أيضاً.

إضافة إلىٰ ضعف السند، هناك مضاعفات أخرىٰ تترتب علىٰ مضمون هذا الخبر لو أخذنا بنظر الاعتبار ما قاله ابن تيمية من أن فضل العرب ذاتي وأن الله تعالىٰ فضلهم مذ خلقهم علىٰ العالمين وأن فضل النبي (ﷺ) مكتسب من فضلهم، حيث يقول: "وليس فضل العرب فقُريش فبني هاشم بمجرد كون النبي منهم وإن كان هذا من الفضل بل هم في أنفسهم أفضل وبذلك يثبت للنبي (ﷺ) انه أفضل نفساً ونسباً". ثم يعزو هذا الفضل إلىٰ ما خصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم[٩].

لو أخذنا هذا بنظر الاعتبار لكان لقائل أن يقول: إن النبي (ﷺ) هو أول من تصدىٰ لقُريش سادة العرب المفضلين ذاتا المحصنين بقانون حرمة محاربتها وإرادتها بسوء مطلقا كما هو الواضح في هذه الرواية، وقتل أبطالهم في بدر والأحزاب وغيرها من المواطن فهل يشمل حديث عمرو بن العاص النبي (ﷺ) أيضاً لمواقفه المعروفة من قُريش ما دامت قُريش مشمولة بالحصانة الذاتية الإلهية حسب قانون ابن تيمية؟

---

(١) ـ نيل الأوطار، الشوكاني: ٣/ ١١٨.
(٢) ـ العلل، احمد بن حنبل: ١/ ٢٩.
(٣) ـ كتاب الضعفاء، البخاري: ص٦٩ ت١٩٠.
(٤) ـ كتاب الضعفاء والمتروكين، النسائي: ص٢٠٣، تسلسل ٣٤٦.
(٥) ـ الجرح والتعديل/الرازي:٥/١٤٥، ت٦٨٢.
(٦) ـ تاريخ دمشق، ابن عساكر: ٨/ ٢١٨.
(٧) ـ تاريخ الإسلام، الذهبي: ١٧/ ٩٨.
(٨) ـ فيض القدير، المناوي: ٢/ ٢٢٩.
(٩) ـ اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية: ص١٤٨

الحديث الثالث عشر

في تفضيل نساء قُريش علىٰ مريم ابنة عمران

قال النبي (ﷺ): **"خير نساء ركبن أعجاز الإبل أحناء علىٰ ولد في صغره وأرعاه علىٰ بعل في ذات يده ولو علمت أن مريم ابنة عمران ركبت بعيراً ما فضلت عليها أحداً "**

وردت هذه الرواية في البخاري[١] ومسلم[٢] إلىٰ قوله [في ذات يده] وقد رووها عن أبي هريرة بطرق متعددة من دون زيادة "ولو علمت أن مريم ابنة عمران ركبت بعيرا ما فضلت عليها أحداً ". والرواية في حدود ما ذكرت الصحاح لا ضير فيها لأنها لا تحمل أكثر من مدح لنساء قُريش، انما المشكلة في الزيادة التي تدل من غير لبس علىٰ تفضيل نساء قُريش علىٰ مريم ابنة عمران وهو ما ينافي معلوم كل المسلمين، ولا يدع مجالا للشك في امتداد يد الوضع من قبل العنصريين الذين لم يتورعوا عن استغلال الحديث النبوي والتلاعب به لبلوغ مآربهم. وقد نقل هذا الحديث مع إضافته القطعية الوضع ابن أبي شيبة[٣] وابن أبي عاصم[٤] والمتقي الهندي[٥] والسيوطي[٦] والآلوسي[٧].

هذه هي أغلب الروايات التي تمسك بها أنصار العروبة القرشية بغية إحكام سيطرتهم علىٰ المسلمين ما دامت السمٰوات والأرض، وقد تبين مما قدمنا أن لا رواية صحيحة في هذا الباب، والمسألة لا تعدو ما ذكرنا من مؤامرة خبيثة علىٰ الإسلام والمسلمين حاك خيوطها وأسس لها زعماء الجاهليّة منذ صدر الإسلام.

---

(١) ـ صحيح البخاري: ٤/١٣٩و٦/٢٠و٦/ ١٦٩.
(٢) ـ صحيح مسلم: ٧ /١٨١.
(٣) ـ المصنف، ابن أبي شيبة: ٧ /٥٤٧.
(٤) ـ كتاب السنة، أبي عاصم: ص٦٢٦ ح١٥٣٣.
(٥) ـ كنز العمال/الهندي: ١٢/ ١٤٦، ح٣٤٤١٩
(٦) ـ الدر المنثور، السيوطي: ٢ /٢٣.
(٧) ـ تفسير الآلوسي: ٣ /١٥٥.

أحاديث مضحكة في تفضيل لغة العرب

١ ـ حديث لعن الله الأعجمين: فارس والروم.

رواه المتقي في الكنز[١] والطبراني في الكبير[٢] والضحاك في الآحاد[٣]. وذكره الطبراني أيضاً في مسند الشاميين[٤] والهيثمي في مجمعه[٥] وهو تتمة حديث نقلوه عن بقية بن الوليد بسنده عن عتبة بن عبد السلمي: "إن رجلاً قال: يا رسول الله العن أهل اليمن فإنهم شديد بأسهم كثير عددهم حصينة حصونهم. قال: لا. ولعن رسول الله (ﷺ) الأعجمين فارس والروم" ففيه؛

ـ **أولاً:** أن الرواية مردودة ببقية بن الوليد حيث تكلم فيه جماعة كما عن النووي[٦].

ـ **ثانياً:** في متنه، فإن السائل يسأل لعن اليمن ويجيبه النبي (ﷺ): لا، ثم يلعن من غير مقدمات فارس والروم علىٰ الإطلاق، وهذا ينافي أخلاق رسول الله (ﷺ) وكذا ينافي العقل. فكيف يلعن رسول الله فارس والروم مطلقاً؟ وقد ورد عنه (ﷺ) قوله: "إن في أصلاب فارس والروم من هو أرجىٰ عندي لأهل بيتي من بني العباس"[٧].

٢ ـ كلام أهل الجنة بالعربية وكلام أهل السماء وكلام أهل الموقف بين يدي الله بالعربية.

رواه الحاكم[٨] وابن عساكر[٩]، وابن الجوزي[١٠] والذهبي[١١].

ـ **سنده:** عن عثمان بن قائد عن جعفر بن برقان عن نافع عن ابن عمر؛ قال ابن حبان: عثمان بن قائد أبو لبابة القرشي يروي عن جعفر بن برقان والشاميين العجائب[١٢].

وقال سبط ابن العجمي: في حديثه نظر، ونقل عن ابن حبان: عثمان يأتي عن الثقاة بالمعضلات حتىٰ يسبق إلىٰ القلب أنه كان يعملها تعمداً لا يجوز الاحتجاج به[١٣].

ـ أما متن الحديث: فإضافة إلىٰ ظهور جعله لمخالفته للعقل والنقل فقد قال فيه

---

(١) ـ كنز العمال، المتقي: ٩٣/١٢ ح٣٤١٣٩.
(٢) ـ المعجم الكبير، الطبراني: ١٢٣/١٧
(٣) ـ الآحاد والمثاني: ٢٦٥/٤.
(٤) ـ مسند الشاميين، الطبراني: ١٧٦/٢.
(٥) ـ مجمع الزوائد: ٥٦/١٠.
(٦) ـ المجموع، النووي: ١٥/١٥.
(٧) ـ شرح الأخبار /النعمان المغربي: ٣٩٩/٣.
(٨) ـ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ٨٧/٤.
(٩) ـ تاريخ مدينة دمشق: ٤٧٦/٥.
(١٠) ـ الموضوعات: ٧١/٣.
(١١) ـ ميزان الاعتدال: ٥١/٣.
(١٢) ـ كتاب المجروحين: ١٠١/٢.
(١٣) ـ الكشف الحثيث: ٨١.

الذهبي: هذا موضوع والآفة عثمان[(١)]. وقال ابن الجوزي بعد ذكره هذا الحديث وأحاديث أخرىٰ شبيهة: هذه الروايات كلها موضوعة[(٢)]. وقال الفتني: موضوع[(٣)].

٣ ـ أبغض الكلام إلىٰ الله تعالىٰ الفارسية وكلام الشيطان الخوزية وكلام أهل النار البخارية وكلام أهل الجنة العربية. ذكره ابن حبان[(٤)] والفتني[(٥)] وابن الجوزي والذهبي[(٦)].

ـ سنده: إسماعيل بن زياد عن غالب القطان عن المقبري عن أبي هريرة رفعه.

ـ قال ابن حبان: إسماعيل بن زياد شيخ دجال لا يحلّ ذكره في الحديث إلاّ علىٰ سبيل القدح فيه[(٧)]. وقال عبد الله بن عدي منكر الحديث[(٨)] ونقل ابن الجوزي عن الدار قطني قوله في إسماعيل أنه: كذاب متروك[(٩)].

ـ وأما متن الحديث: فهو مخالف للوجدان والعقل فضلاً عن الشرع والوضع فيه بيّن، قال ابن حجر: وهذا موضوع لا أصل له من كلام الرسول ولا حدث به أبو هريرة ولا المقبري ولا غالب. وقال: هذا كلام ابن حبان[(١٠)] وقال ابن الجوزي: المتهم بوضعه، إسماعيل بن زياد[(١١)].

٤ ـ من أحسن منكم أن يتكلم بالعربية فلا يتكلمن بالفارسية فإنه يورث النفاق.

رواه الحاكم والسيوطي والمتقي والفتني[(١٢)] عن عمر بن هارون عن أسامة بن زيد الليثي عن نافع عن ابن عمر. وهو حديث ظاهر الوضع، وقد اعترف العلماء بذلك وناقشوه سنداً ومتناً كما في سائر الأخبار التي تحمل في طياتها الصبغة العنصرية ويكفي اللبيب أن يسأل عن سر اختصاص الفارسية من بين لغات البشر بتوريثها النفاق وهي لغة كغيرها، فهذا الحديث المختلق يدل بكلماته علىٰ مذهب واضعه ومن أيده أو يؤيده علىٰ هذا النهج. ومن الغريب أن يغمض بعض العلماء عن وهن الحديث ثم يتعب نفسه في إيجاد التأويلات المناسبة لتوجيهه وكأنه أحرز صدوره عن الرسول المبعوث للبشرية

---

(١) ـ ميزان الاعتدال: ٥١/٣.
(٢) ـ الموضوعات: ٧١/٣.
(٣) ـ تذكرة الموضوعات: ١١٢.
(٤) ـ المجروحين: ١٢٩/١.
(٥) ـ الموضوعات: ١١٣.
(٦) ـ ميزان الاعتدال: ٢٣٠/١.
(٧) ـ كتاب المجروحين: ١٢٩/١.
(٨) ـ الكامل: ٣١٤/١.
(٩) ـ الموضوعات: ١١١/١.
(١٠) ـ لسان الميزان: ٤٠٦/١.
(١١) ـ الموضوعات: ٧١/٣.
(١٢) ـ المستدرك: ٨٧/٤، الجامع الصغير: ٥٥٧/٢ ح ٨٣٤٠، كنز العمال:٦٥٨/٣ ح ٨٣٧١، تذكرة الموضوعات:١١٣

جمعاء.

ـ قال فيه ابن حجر: سنده واهٍ[١].

ـ وقال الذهبي كما عن الفتني: فيه عمر وهو كذاب[٢].

ـ وقال الهيثمي عن عمر بن هارون: ضعّفه أكثر الناس[٣].

ـ وعن يحيىٰ القطان: أنه غير ثقة[٤].

ـ كما ضعّفوا أسامة بن زيد الليثي أيضاً كما عن ابن حزم[٥].

ـ وقال الشوكاني: فيه مقال[٦].

٥ ـ من تكلم بالفارسية زادت في خسته ونقصت من مروءته.

رواه الحاكم وابن حجر والمتقي والفتني[٧] وغيرهم عن أبي فروة يزيد بن محمّد بن سنان عن طلحة بن زيد الرقي عن الأوزاعي عن يحيىٰ بن أبي كثير عن أنس بن مالك.

ـ قال الفتني: موضوع؛ ونقل عن صاحب الوجيز قوله: تفرد به طلحة بن زيد متروك. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[٨].

ـ وقال عبد الله بن عدي: قال الشيخ: وهذا الحديث بهذا الإسناد باطل[٩].

ـ وقال ابن حجر: سنده واهٍ[١٠]. وحديث مثل هذا الوهن لا ينبغي أن يذكر فضلاً عن اعتماده في إثبات شيء.

إن ما قدمناه من روايات هي جلّ ما تمسك به العروبيون في إثبات فضل العرب علىٰ سائر الناس، وهي بأسرها كما لاحظنا إما موضوعات وإما ضعيفة واهية لا يمكن اعتمادها في شيء، اصطنعتها قادة الجاهليّة من بني سفيان لتحكيم مباني مبدئهم وتحقيق هدفهم الأسمىٰ الذي هو إرجاع الجاهليّة العربية الزائلة في عصر الإسلام وقد توفرت لهم الدواعي والإمكانات اللازمة بعد تسلّمهم الحكم لفرض هذا الواقع الذي يعد من أقوىٰ وسائلهم في تحقيق الهدف اللا مشروع.

---

(١) ـ فتح الباري: ١٢٨/٦.

(٢) ـ تذكرة الموضوعات: ١١٣.

(٣) ـ مجمع الزوائد: ٢٧٣/١.

(٤) ـ سؤالات الآجري: ٣٠٥/٢.

(٥) ـ المحلى: ٥٣٠/٧.

(٦) ـ نيل الأوطار: ١٥٣/٤.

(٧) ـ المستدرك: ٨٨/٤، فتح الباري: ١٢٨/٦، كنزالعمال:٦٦٠/٣ح٨٣٨٨تذكرة الموضوعات:١١٣

(٨) ـ الموضوعات: ٧١/٣.

(٩) ـ الكامل لعبد الله بن عدي: ١٠٩/٤.

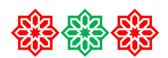
(١٠) ـ فتح الباري: ١٢٨/٦.

إن افتعال هذا الكم الكبير من الروايات ونسبتها إلىٰ رسول الله (ﷺ) ونشرها والترويج لها ودسّها في الكتب الحديثية المعتبرة المشهورة والعناية بها بحيث عدّت مضامينها جزءً من عقيدة المسلمين عبر القرون الماضية وإلىٰ يومنا هذا لايمكن إدخاله في باب الصدفة والعفوية، أو عدّه خطأً غير مقصود وقع بغفلة من أهل العلم بل الشواهد والقرائن المكتنفة لعملية التزوير هذه تدل علىٰ أن هذا الفعل كان جزء من برنامج متكامل هادف إلىٰ إحداث تغيير جذري في سياسة الدين لصالح فئة خاصة من الناس.

إنّ المتتبع يرىٰ بوضوح الآثار العملية المترتبة علىٰ هذا التآمر في أبعاد مختلفة غير ما ذكرنا حيث لم يقتصر الأمر علىٰ افتعال هذه الروايات التي أشرنا إليها لغرض إثبات فضيلة القوم فحسب بل هناك مفتعلات أخرىٰ أعرضنا عن ذكرها تبين أن الهدف كان أوسع وأعمق وهو احتكار كامل السلطة الإسلامية لصالح الفئة المتآمرة بما في ذلك تصنيف الناس وتوزيع المناصب والأعمال ونذكر من باب المثال ما ذكره البخاري في تاريخه الكبير عن رسول الله (ﷺ) قوله: "الخلافة في قُريش والحكم في الأنصار والدعوة في الحبشة والهجرة والجهاد في المسلمين" [١].

وفي روايات أخرىٰ ربما ذكرنا بعضها تقسيم لسائر الناس، وذكرنا عزم معاوية في إبادة الموالي إلا مقدار حاجته منهم لإقامة الأسواق.

نعم هذه هي الحقيقة المرة التي لا يرضخ لها المشتركون في الجرم وأتباعهم من المرتزقة الذين اعتلفوا من سماط أسيادهم واقتنعوا بنصيبهم من الأجر الزهيد، فكرسي الحكم حكر علىٰ العرب بأمر الله تعالىٰ ومال الله خول لهم وعباد الله عبيد، ليس لغير العربي سوىٰ التهجير في البلاد أو الزج في ساحات القتال لحماية مصالح الأسياد باسم الجهاد في سبيل الله ومن قال برأسه كذا قالوا بسيوفهم كذا، فالاعتراض عليهم اعتراض علىٰ الله وجزاؤه الموت.



(١) ـ التاريخ الكبير: ٤/٣٣٨.

تصوير قُريش لمعارضي انقلابهم

لقد ذكرنا سابقاً أن سيف الإسلام لم يشهر يوماً في عهد الرسالة لإرهاب الناس وإرغامهم علىٰ اعتناق الدين، وإنما للدفاع عن الإسلام والمسلمين سواء ضد من هاجمهم في عقر دارهم أو جمع الجموع بقصد الهجوم وكان حينئذ شديدا علىٰ العدو ولا يبدأ بقتال حتىٰ يخير العدو بين حقن دمه بالاستسلام أو المناجزة، والدليل علىٰ ذلك أن الكثير من السرايا التي بعثها الرسول (ﷺ) لإجهاض حركة عدائية كانت تصل إلىٰ منطقة الشبهة فلم تجد كيداً فتقفل راجعة دون هجوم علىٰ الناس في دائرة الحدث، وهذا ينافي ما وقع فيما بعد باسم الإسلام في جزيرة العرب وسواها من البلدان وهو ما ينبغي علىٰ الباحثين المنصفين إخضاعه للبحث لمعرفة حقيقة ما وقع.

بدأت سيوف مجاهدي العروبة باستلام قُريش للخلافة الإسلامية بحصد رؤوس المسلمين أولاً وبعد حسم الأمر لصالحها في دولة الإسلام أغرت الناس بغزو من جاورها من الملل تحت عنوان الفتوحات، لإلهاء الناس بالغنائم وإبعاد خطر تجمعهم عن مركز السلطة لذا أمروا بالتمصير لإسكان العرب الغزاة في مناطق الفتح مع عوائلهم بحجة الدعوة إلىٰ الله، وبما أن تفصيل القول في الفتوحات وتفنيدها لا يسعه هذا الكتاب فقد وعدنا بذكر ما سموها بحروب الردة لإثبات وقوع الانقلاب علىٰ الإسلام وهذا محله.

نبدأ كلامنا بسؤال واحد هو: هل الحروب التي وقعت في جزيرة العرب مع تشكيل قُريش حكومته بعد وفاة النبي (ﷺ) كانت في الواقع حرب ردّة أم قمع لمعارضي حكومة الانقلابيين؟

هناك جوابان لهذا السؤال:

- **الجواب الأول:** فمن أنصار الخلافة وخلاصته أن تلك الوقائع كانت شرعية ضرورية أوجبها موقف الدفاع عن الدين بعد ارتداد بعض العرب عن الإسلام. وهذا هو الجواب الشائع منذ وقوع تلك الأحداث إلىٰ يومنا هذا.
- **الجواب الثاني:** فهو من قبل التأريخ الذي احتفظ بملفات تلك القضايا في زوايا أرشيفه رغم محاولات الحكومات المتعاقبة لمحو كل دليل، ويتلخص فيما يلي:

بعد وفاة الرسول الأعظم (ﷺ) وإنكار وصيته وانتخاب الخليفة[١] حدث فراغ أمني كبير في شعب الجزيرة وظهرت آثار أحداث غريبة في مركز الحكم المدينة المنورة وخارجها، حيث أن عامة الناس وكثير من الخواص لم يتوقعوا قفز قُريش علىٰ السلطة بعد وصية النبي (ﷺ) بهذا الشكل السافر فامتنعت الأغلبية بادئ الأمر من الخضوع لما وقع، إلا أن استعمال البطش أرغم الأكثرية في المدينة علىٰ الانصياع للواقع وبقيت غالبية القبائل خارجها رافضة للحكومة الجديدة لذا أعلنت حكومة الانقلاب رسمياً أن الناس قد ارتدت عن الدين وكان لابد من موقف حازم لإعادة المياه إلىٰ مجاريها فوقع ما وقع.

وعند الرجوع إلىٰ الأحداث والتفحص فيها وجدنا أموراً خلاف ما راج في إعلام السلطة يمكن تلخيصها في جملة هي: أن القفز علىٰ كرسي الحكم باسم الشورىٰ أدهش المسلمين الذين سمعوا قبل شهرين فقط مقالة رسول الله (ﷺ) في شأن وصيه وخليفته من بعده، فوقفت عدا قُريش وحلفائها موقف المعارض لما وقع فما كان أمام السلطة إلا معالجة الأمر والتصدي للمعارضة بدأً بالمركز وانتهاءً بكل بقعة رفع فيها صوت للمعارضة تحت ذريعة الارتداد ومنها عرفت حروبها في كتب القوم بحروب الردة حيث لا ردة. ولنتعرض أولاً لقمع معارضة الداخل. ولم يكن علي (عليه السلام) هو المتخلف الوحيد عن بيعة الخليفة كما ادعوا بل تبعه جمهرة كبيرة من المهاجرين والأنصار؛

- قال عبد الرزاق الصنعاني: قال عمر: "تخلفت عنا الأنصار بأسرها في السقيفة" [٢]
- وقال الطبري: "قالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلاّ علياً" [٣]
- وذكر الزبير بن بكار: "كان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكّون أن علياً هو صاحب الأمر بعد رسول الله (ﷺ)" [٤].
- وقال أيضاً: "لما بويع أبو بكر واستقر أمره ندم قوم كثير من الأنصار علىٰ بيعته ولام بعضهم بعضا وذكروا علي بن أبي طالب وهتفوا باسمه" [٥].
- ونقرأ في كتب السير والتاريخ ما يؤيد ذلك وأن الكثير من الشخصيات المعروفة من الصحابة قد تخلفوا عن البيعة ولم يقتصر الامتناع علىٰ أفراد، نذكر منهم:

(١) ـ المشهور في تأريخ الخلفاء وأتباعهم.
(٢) ـ المصنف: ٥/٤٤٢ح ٩٧٥٨.
(٣) ـ تاريخ الطبري: ٢/٤٤٣.
(٤) ـ الأخبار الموفقيات: ٥٨٠ ح ٣٨٠.
(٥) ـ الأخبار الموفقيات: ص: ٥٨٣ ح ٣٨٢.

١ ـ علي بن أبي طالب (عليه السلام)
٢ ـ العباس بن عبد المطلب.
٣ ـ عبد الله بن عباس حبر الأمة.
٤ ـ الفضل بن العباس.
٥ ـ سعد بن عبادة. سيد الخزرج
٦ ـ الزبير بن العوام.
٧ ـ طلحة بن عبيد الله.
٨ ـ خزيمة بن ثابت الأنصاري.
٩ ـ البراء بن عازب.
١٠ ـ عمار بن ياسر.
١١ ـ أبو ذر الغفاري.
١٢ ـ سلمان الفارسي.
١٣ ـ المقداد بن الأسود الكندي.
١٤ ـ عتبة بن أبي لهب.
١٥ ـ فروة بن عمرو الأنصاري.
١٦ ـ أبو سفيان من بني أمية.
١٧ ـ خالد بن سعيد بن العاصي.
١٨ ـ أبان بن سعيد.
١٩ ـ أبي بن كعب.
٢٠ ـ مالك بن نويرة.
٢١ ـ بنو هاشم قاطبة.
٢٢ ـ طائفة من الخزرج.
٢٣ ـ فرقة من قُريش.[١]

هذا عدا من خالف من طوائف العرب خارج المدينة والذين حوربوا باسم الردة فقتل من قتل منهم واستسلم للأمر الواقع من استسلم.

إن حديث «السقيفة»[٢] وظروف انتخاب الخليفة في كتب أهل السُنّة في غاية الاضطراب والتناقض يلوح منها غبار صراع سياسي بين المتنازعين علىٰ كرسي الخلافة خلافاً لما ذكره بعضهم من سلاسة انتقال السلطة وإجماع مزعوم. وللمثال نقدم نماذج من كيفية أخذ البيعة من بعض الصحابة ذكر الدينوري[٣] رواية فيها شيء من التفصيل عن كيفية

(١) ـ «قُرَيْش»: لغةً تعني؛ تَجَمُع. واسم قبيلة عربية من مضر تجمعت حول بيت اللّه الحرام.

(٢) ـ «سقيفة بني ساعدة»؛ جغرافياً تقع السَقيفَةُ شمال غرب المسجد النبوي وهو الآن حديقة تطل مباشرة علىٰ السور الغربي للمسجد النبوي. تاريخياً تَجَمُّعٌ للأنصار لإنتخاب أميرٍ قُبيل إعلان وفاة النَبيّ (صلى الله عليه وآله)؛ متجاهلين النَبيّ (صلى الله عليه وآله) وهو يودع الدنيا؛ إستُهلّ باختيار سعد بن عبادة أميراً؛ وبالتحاق المهاجرين أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وبعد تنازعٍ ومشاحنة وتشاتم وشجارٍ واشتباكٍ استمر إلىٰ الليل أفضىٰ لفرض أبي بكر ومبايعتِه خليفةً؛ مخالفين بذلك أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) الصريح وشُملوا بلعنهِ بتخلفهم عن «بعث أسامة» من جهة ولم يشهدوا وفاته ولا تجهيزه ولم يعرفوا بدفنه ألّا حين سماعهم صوت المساحي في السحر من جهة أخرى. لم يحضر السقيفة بنو هاشم وأهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) وعلىٰ رأسهم علي (عليه السلام) لانشغالهم بتجهيز الرسول (صلى الله عليه وآله) ودفنه.

(٣) ـ الإمامة والسياسة: ١/١٩ـ٢٠.

تصرفهم في أخذ البيعة من علي (عليه السلام) فأحببنا إيرادها هنا حيث يقول: "وإنّ أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها علىٰ من فيها، فقيل له يا أبا حفص إن فيها فاطمة؟ فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا إلا علياً فزعم أنه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي علىٰ عاتقي حتىٰ أجمع القرآن، فوقفت فاطمة (g) علىٰ بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردوا لنا حقاً. فأتىٰ عمر أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولىٰ له: أذهب فادع لي علياً، قال فذهب إلىٰ علي فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي: لسريع ما كذبتم علىٰ رسول الله. فرجع فابلغ الرسالة، قال: فبكىٰ أبو بكر طويلاً. فقال عمر الثانية لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر: لقنفذ عد إليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاء قنفذ فأدىٰ ما أمر به، فرفع علي صوته فقال: سبحان الله؟ لقد ادعىٰ ما ليس له، فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة فبكىٰ أبو بكر طويلاً، ثم قام عمر فمشىٰ معه جماعة حتىٰ أتوا باب فاطمة، فدقوا الباب، فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلىٰ صوتها: يا ابت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكاؤها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا علياً فمضوا به إلىٰ أبي بكر، فقالوا له بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذن والله الذي لا اله إلا هو نضرب عنقك. فقال: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله، قال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا. وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال له عمر ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه علىٰ شيء ما كانت فاطمة إلىٰ جنبه، فلحق علي بقبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يصيح ويبكي، وينادي: يا بن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني".

وعن سليم بن قيس قال سلمان: "ثم أخذوني فوجئوا عنقي حتىٰ تركوها كالسلعة ثم أخذوا يدي وفتلوها فبايعت مكرها" [١].

ـ ويؤيده ما جاء من استخدام عمر بن الخطاب للعنف في إخضاع الناس للأمر الواقع ما ذكره الإمام أحمد بن حنبل: "عن ابن أبي خالد عن قيس قال: رأيت عمر (رضي الله عنه) وبيده

(١) ـ كتاب سليم بن قيس/ ت الأنصاري:١٥٨

عسيب نخل وهو يجلس الناس يقول اسمعوا لقول خليفة رسول الله (ﷺ)"[١].

ـ وهكذا أُخضعت المعارضة في المدينة بقوة السيف وعسيب النخل وحرق باب فاطمة وكسر سيف الزبير ووجيء عنق سلمان وهدأت الأمور.

ـ ثم توجهت الحكومة لمواجهة القبائل العربية التي أعلنت رفضها لخلافة قُريش، فادعت حكومة قُريش أن العرب ارتدت عن الإسلام ليخضعوهم بسيف حروب الردة.

ـ وامتنعت طوائف أخرىٰ من المخالفين لخلافة أبي بكر عن دفع الزكاة إلىٰ عماله وعلىٰ ذلك الأدلة الكافية، قال النووي: "والصنف الآخر هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة ووجوب أدائها إلىٰ الإمام"[٢]

ـ والحقيقة ليست كما ذكرها النووي، بل كانت اعتراضاً علىٰ الخلافة كما يظهر من احتجاج مالك بن نويرة علىٰ خالد بقوله: [صاحبك] فهو كان من الرافضين لخلافته، إلا أن القوم حرفوا المراد وزعموا أن مالكا قصد رسول الله بذلك فاعتبروه ارتدادا وقتلوه علىٰ ذلك.

ـ ويؤكده قول النووي: "وقد كان في ضمن هؤلاء المانعين للزكاة من كان يسمح بالزكاة ولا يمنعها إلا ان رؤساءهم صدوهم عن ذلك الرأي وقبضوا علىٰ أيديهم في ذلك كبني يربوع فإنهم قد جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوا بها إلىٰ أبي بكر (رضي الله عنه) فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرقها فيهم ".

ـ وفي قوله فرقها فيهم الدلالة الكافية علىٰ عدم إنكاره الزكاة وإنما فرقها في محتاجي قومه بدل إرسالها إلىٰ الخليفة.

ـ كما يتبين ذلك من قول الزركلي: "لما صارت الخلافة إلىٰ أبي بكر اضطرب مالك في أموال الصدقات وفرقها" [٣].

ـ وقال اليعقوبي: "ثم وجه ـ أبو بكرـ لقتال من منع الزكاة، وقال: لو منعوني عقالاً لقاتلتهم" [٤].

ـ وقال البيهقي: "ومضىٰ خالد بن الوليد قبل اليمامة حتىٰ دنا من حي من بنىٰ تميم فيهم مالك بن نويرة وكان قد صدق قومه فلما توفىٰ رسول الله (ﷺ) أمسك الصدقة فبعث

(١) ـ مسند أحمد: ١/٣٧.
(٢) ـ شرح مسلم: ١/٢٠٢.
(٣) ـ الأعلام، الزركلي: ٥/٢٦٧.
(٤) ـ تاريخ اليعقوبي: ٢/١٣١.

إليه خالد بن الوليد (ﷺ) سرية" [١].

ـ وقال الذهبي: "ولم تظهر منه ردة، وأقام بالبطاح" [٢].

ـ قال النووي: "وفي أمر هؤلاء عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر (ﷺ) فراجع أبا بكر (ﷺ) وناظره واحتج عليه بقول النبي (ﷺ) أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم نفسه وماله".

ـ وهذه الأقوال كما ترىٰ صريحة في عدم وقوع ردة، وإنما قوتل من قوتل منهم بسبب امتناعهم عن دفع الزكاة إلىٰ الخليفة المنتخب.

ومنه يظهر مدىٰ استخدام العنف في إرغام المعارضة علىٰ الاستسلام للأمر الواقع، ولم يذكر المؤرخون تفاصيل الجرائم التي ارتكبت باسم الردة في حق المعارضة سوىٰ ما وقع في قضية مالك بن النويرة لما فيها من انتهاكات صارخة ما كان بوسعهم إخفاءها، كقتل المسلمين من غير مبرر والتمثيل بجثث المقتولين وارتكاب أمير القوم جريمة اغتصاب بحق زوجة قتيل من المسلمين وسبي نسائهم ونهب أموالهم حيث صارت الأحداث في تلك القضية حديث اليوم، ونحن نذكر خلاصة القصة عن أحد علماء السُنّة ثم نكمل ما لم يأت علىٰ ذكره من فصول بما ورد عن باقي أعلامهم.

قال ابن خلكان[٣]: "لما خرج خالد بن الوليد (ﷺ) لقتالهم في خلافة أبي بكر الصديق (ﷺ) نزل علىٰ مالك وهو مقدم قومه بني يربوع، وقد أخذ زكاتهم وتصرف فيها فكلمه خالد في معناها فقال مالك إني آتي بالصلاة دون الزكاة فقال له خالد أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً لا تقبل واحدة دون أخرىٰ فقال مالك قد كان صاحبك يقول ذلك قال خالد وما تراه لك صاحباً والله لقد هممت أن أضرب عنقك ثم تجاولا في الكلام طويلاً فقال له خالد إني قاتلك قال أو بذلك أمرك صاحبك قال وهذه بعد تلك والله لأقتلنك.

وكان عبد الله بن عمر (ﷺ) وأبو قتادة الأنصاري (ﷺ) حاضرين فكلما خالداً في أمره فكره كلامهما فقال مالك يا خالد ابعثنا إلىٰ أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا فقد بعثت إليه غيرنا ممن جرمه أكبر من جرمنا فقال خالد لا قالني الله إن لم أقلتك وتقدم إلىٰ ضرار بن الأزور الأسدي بضرب عنقه فالتفت مالك إلىٰ زوجته أم متمم وقال لخالد

(١) ـ السُنن الكبرى: ١٧٦/٨.
(٢) ـ تاريخ الإسلام: ٣٦/٣.
(٣) ـ وفيات الأعيان: ١٤/٦.

هذه التي قتلتني وكانت في غاية الجمال فقال له خالد بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام فقال مالك أنا علىٰ الإسلام فقال خالد يا ضرار اضرب عنقه فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية لقدر وكان من أكثر الناس شعراً كما تقدم ذكره فكانت القدر علىٰ رأسه حتىٰ نضج الطعام وما خلصت النار إلىٰ شواه من كثرة شعره... وقبض خالد امرأته فقيل إنه اشتراها من الفيء وتزوج بها وقيل إنها اعتدت بثلاث حيض ثم خطبها إلىٰ نفسه فأجابته فقال لابن عمر وأبي قتادة (رضي الله عنهما) يحضران النكاح فأبيا وقال له ابن عمر (رضي الله عنه) تكتب إلىٰ أبي بكر (رضي الله عنه) وتذكر له أمرها فأبىٰ وتزوجها".

هذه خلاصة القصة في رواية ابن خلكان، وفيها إخفاء لكثير من الحقائق منها:

(١) ـ لم يشر إلىٰ براءة مالك من تهمة التواطؤ مع سجاح ذلك المبرر الذي أباحوا بسببه قتله مع قومه فلم يكن الرجل مرتداً كما صوروه، فقد أقر بالإسلام كما في الرواية، وشهد علىٰ إسلامه وإسلام قومه الذين صلوا مع جيش خالد صحابيّان هما عبدالله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري، غاية الأمر انه بعد ظهور حركة المعارضة كانت سجاح وهي رئيسة قبيلة مع تلك الحركة لكن القوم يدعون أنها ادعت النبوة وهو غير ثابت وهي من بني يربوع قوم مالك وكانت قد طمعت في إمالة مالك وإقناعه بالهجوم علىٰ الخليفة أبي بكر إلا أن مالكا أبي ذلك وفي هذا يقول ابن الأثير وابن كثير[١] واللفظ للأول:" كانت سجاح تريد غزو أبي بكر فأرسلت إلىٰ مالك بن نويرة تطلب الموادعة فأجابها وردها عن غزوها ". ولم يسجل القوم لمالك موقفه برد سجاح عن غزو أبي بكر وآخذوه علىٰ الموادعة في ظرف اشتبكت الأسنة والحراب بين قبائل العرب الأمر الذي دعا مالكا في أن يبعد القتال عن قومه بالموادعة هذا إن صح ما ادعوه في شأن سجاح. ثم إن القوم تذرعوا في قتله بقوله "قد كان صاحبكم يقول ذلك" علىٰ أنه إهانة للرسول (صلى الله عليه وآله)، إلا أن تكراره ذلك بقوله"أو بذلك أمرك صاحبك" يدل علىٰ أن المراد بالصاحب في الجملتين هو أبو بكر لا النبي لكن القوم كانوا يبحثون عن حجة لقتله وإلا فإن هذه الكلمة لا توجب القتل حتىٰ لو حملنا مراده علىٰ مافسروه.

(٢) ـ أن ذهاب خالد إلىٰ بني يربوع حسب بعض رواياتهم لم يكن بإذن الخليفة كما في الطبري[٢] وغيره، قال: "ترددت الأنصار علىٰ خالد وتخلفت عنه وقالوا ما هذا بعهد

---

(١) ـ الكامل:٢/٣٥٤، البداية والنهاية: ٦م٣٥٢.

(٢) ـ تاريخ الطبري: ٢/٥٠١.

الخليفة إلينا إن الخليفة عهد إلينا إن نحن فرغنا من البزاخة واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتىٰ يكتب إلينا".

ـ لكن الحقيقة هو ما ذكره خالد بقوله في جوابهم "فقد عهد إليّ أن أمضي وأنا الأمير" فهي توصية سرية لم يطلع عليها الجند، وهذا الاعتراف يقوي رواية الشيعة للقضية كما سيأتي من أن أبابكر تعمد القضاء علىٰ مالك لمعارضته خلافته ولقوله في شعر له:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكر

ـ لم يشر ابن خلكان أيضاً إلىٰ السبب الذي دعىٰ الأنصار إلىٰ تغيير رأيهم ودفعهم إلىٰ اللحاق بجيش خالد، وقد ذكر ذلك الطبري وغيره قال: "وندمت الأنصار وتذامروا وقالوا إن أصاب القوم خيرا إنه لخير حرمتموه وإن أصابتهم مصيبة ليجتنبكم الناس فأجمعوا اللحاق بخالد وجردوا إليه رسولاً فأقام عليهم حتىٰ لحقوا به ". فالالتحاق بركب خالد لم يكن من الأنصار في سبيل الله بل لخير خافوا فوته مع نصره أو لشر يصيبهم من ألسن الناس مع هزيمته.

(٣) ـ أن خالداً لما قدم البطاح، لم يجد بها أحداً، وهذا يدل علىٰ عدم وجود ما ادعوه من أقوام ارتدت وحملت السلاح بوجه الإسلام والمسلمين وسبب ذلك كما ذكر ابن الأثير: "كان مالك بن نويرة قد فرقهم ونهاهم عن الاجتماع، وقال يا بني يربوع إنا دعينا إلىٰ هذا الأمر فأبطأنا عنه فلم نفلح وقد نظرت فيه فرأيت الأمر يتأتىٰ لهم بغير سياسة وإذا الأمر لا يسوسه الناس فإياكم ومناوأة قوم صنع لهم فتفرقوا وادخلوا في هذا الأمر فتفرقوا علىٰ ذلك"[١].

۞ـ لقد علم مالك بن نويرة أن المسألة غير خاضعة لمنطق سليم بل هي الدكتاتورية العمياء التي صنعت للقوم ما صنعت وقد أبطأوا عن البيعة من جهة وعن الإقدام بما يلزم في حينه من جهة أخرىٰ وقد أرسيت دعائم السلطان وجيشت جيوشه فلا تنفع المناوئة. فأين هذا الخطاب من تفسيرهم للأمور.

(٤) ـ لم يذكر تفاصيل ما بعد وصول الجيش إلىٰ البطاح، ونذكر بعضا منها ومن جملتها:

ـ أن سرية من جيش خالد بن الوليد كانت تجوب المنطقة للاستطلاع فلم يجدوا إلا

(١) ـ الكامل: ٣٥٨/٢.

أهل قرية فاحتالوا عليهم وقاموا بأسرهم، قال الذهبي: "غشوا قوماً منهم أخذوا السلاح وقالوا: نحن مسلمون، فقيل لهم: ضعوا السلاح، فوضعوه، ثم صلىٰ المسلمون وصلّوا" [١]، وهذا كما ترىٰ اعتراف بعدم ردتهم.

ـ وقال ابن الأثير: "فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع، فاختلفت السرية فيهم، وكان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا، فأمر بحبسهم في ليلة باردة لا يقوم لها شيء" [٢].

ـ وذكر الصنعاني: "أن أبا قتادة قال: خرجنا في الردة حتىٰ إذا انتهينا إلىٰ أهل أبيات، حتىٰ طلعت الشمس للغروب، فأرشفنا إليهم الرماح، فقالوا: من أنتم؟ قلنا: نحن عباد الله، فقالوا: ونحن عباد الله، فأسرهم خالد بن الوليد، حتىٰ إذا أصبح أمرَ أن يضرب أعناقهم، قال أبو قتادة: فقلت: اتق الله يا خالد! فإن هذا لا يحل لك، قال: اجلس، فإن هذا ليس منك في شيء" [٣].

ـ وهو ما يؤيد عدم ارتدادهم كما يؤيد القول بأن العملية كانت توصية من أبي بكر بقتلهم علىٰ كل حال.

(٥) ـ لم يشر إلىٰ غدر جيش المسلمين بهذه العصابة بعد تأمينهم باسم الإسلام ونزع سلاحهم ثم أسرهم دون قتال والغدر حرام بالإجماع؛ فكيف لم يشر إلىٰ كيدهم في نزع سلاح هذه الفئة المسلمة وإدخالهم في جماعتهم في الصلاة ثم الالتفاف عليهم دون حجة وسوقهم إلىٰ الأمير المأمور بقتلهم؟

ـ حاول ابن خلكان كسائر مؤيدي هذا الأمير الفاجر توجيه ارتكابه الزنا بامرأة مسلمة جميلة في ليلة قتل زوجها، بل اعتذر له بما هو أقبح من ذنب خالد حيث يقول: "قيل إنه اشتراها من الفيء وتزوج بها وقيل إنها اعتدت بثلاث حيض ثم خطبها إلىٰ نفسه فأجابته فقال لابن عمر وأبي قتادة (رضي الله عنهما) يحضران النكاح فأبيا وقال له ابن عمر (رضي الله عنه) تكتب إلىٰ أبي بكر (رضي الله عنه) عنه وتذكر له أمرها فأبىٰ وتزوجها".

---

(١) ـ تاريخ الإسلام: ٣/٣٣.
(٢) ـ الكامل: ٢/٣٥٨.
(٣) ـ المصنف: ١٠/١٧٤.

ـ ولم يلتفت عبيد العصبية إلىٰ حكم عمر بن الخطاب عليه بالزنا وطلبه من أبي بكر رجمه كما في كنز العمال: "قال لأبي بكر: إنه قد زنىٰ فارجمه، فقال أبو بكر: ما كنت لأرجمه تأول فأخطأ، قال: فإنه قد قتل مسلماً فاقتله قال: ماكنت لأقتله تأول فأخطأ، قال: فاعزله، قال: ما كنت لأشيم سيفاً سله الله عليهم أبداً" [١].

ـ وقال الإيجي: "وأنكر عمر عليه أي علىٰ أبي بكر عدم قتل خالد بن الوليد حيث قتل مالك بن نويرة وهو مسلم طمعاً في امرأته لجمالها ولذلك تزوج بزوجته من ليلته وضاجعها فأشار عليه عمر بقتله قصاصاً فقال أبو بكر لا أغمد سيفا شهره الله علىٰ الكفار وقال عمر مخاطباً لخالد لئن وليت الأمر لأقيدنك به" [٢].

ـ ثم يبرر الإيجي ذلك بقوله: "وأما تزوجه امرأته فلعلها كانت مطلقة قد انقضت عدتها إلا أنها كانت محبوسة عنده". وقد أعمته العصبية عن شين مثل هذا التوجيه بعد تظافر الأخبار بزناه واعتراف الخليفة عمر بذلك، والطيور علىٰ أشكالها تقع، فلو تأملنا في قول ابن خلكان وما نقله عن عرس خالد "قال لابن عمر وأبي قتادة (رضي الله عنهما) يحضران النكاح فأبيا" لعلمنا أن الزنا وقع في ليلة اليوم الذي قتل فيه مالك بدليل أن أبا قتادة ترك معسكر خالد راجعاً إلىٰ المدينة بعد أن رأىٰ من خالد ما رأى، قال ابن أبي الحديد: " لما قتلَ خالد مالك بن نويرة ونكح امرأته، كان في عسكره أبو قتادة الأنصاري، فركب فرسه، والتحق بأبي بكر وحلف ألا يسير في جيش تحت لواء[٣] خالد أبداً" [٤].

ـ والأعجب قوله "لعلها كانت مطلقة قد انقضت عدتها" فهو يلتجأ إلىٰ [لعل] والمحتملات البعيدة جداً في قضية كانت من الشهرة والإذاعة بين الناس حدا دعا الخليفة عمر إلىٰ مطالبة إجراء الحد عليه، وواجه خالداً قائلا له: "قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت علىٰ امرأته والله لأرجمنك بأحجارك" ولا أظن أن هؤلاء العلماء الموجهين يرضون باتهام عمر بن الخطاب بالكذب والبهتان.

ـ كما أن كل الأدلة تشير إلىٰ أن المرأة كانت زوجة الرجل ومنها تصريح مالك نفسه

---

(١) ـ كنز العمال: ٦١٩/٥.
(٢) ـ المواقف: ٦١١/٣.

(٣) ـ «**اللِّوَاءُ**»: العَلَم، وهو دون الرَّاية. أي بمعنى؛ له القيادة والزعامة
(٤) ـ شرح نهج البلاغة: ١٧٩/١.

وحديث عمر المتقدم وكل من ذكر هذه الحادثة من مؤرخين وشعراء، قال الذهبي[١]: "ثم تزوج خالد بالمرأة، فقال أبو زهير السعدي من أبيات:

قضىٰ خالد بغياً عليه لعرسه وكان له فيها هوىً قبل ذلكا

ـ وقال ابن حجر "إن خالداً رأىٰ امرأة مالك وكانت فائقة في الجمال فقال مالك بعد ذلك لامرأته قتلتني يعني سأقتل من أجلك".

ـ ثم عقّب علىٰ ذلك لتغطية جرم سيده قائلا: "وهذا قاله ظنّاً فوافق انه قتل ولم يكن قتله من أجل المرأة كما ظن" [٢] وهو هروب من الحقيقة كما هو واضح.

(٧) ـ المثلة وقعت علىٰ جثث جميع من قتلهم والمثلة حرام في دين الإسلام فلو كان خالد مسلماً كما يزعمون لما فعل ما فعل بتلك الرؤوس، ولم يشر ابن خلكان إلا لرأس مالك بن نويرة، أما الطبري فقد قال: "إن أهل العسكر أثفوا برؤوسهم القدور فما منهم رأس إلا وصلت النار إلىٰ بشرته ما خلا مالكاً فان القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة شعره" [٣].

ـ قال ابن كثير: "فأكل منها خالد تلك الليلة ليرهب بذلك الأعراب، من المرتدة وغيرهم" [٤].

ـ فيا لإرهابٍ إسلاميَ الصُنع يبتدعه أمير المسلمين خلافاً لدين الإسلام ويا لمساكين مغرورين بإسلام أمثال هؤلاء الأمراء، ولا ينبغي لنا أن نستغرب مما تداول هذه الأيام في العراق وغيرها من دول العالم من الذبح والمثلة والإرهاب والقتل باسم الجهاد والإسلام، فإنه دين السلف العروبي الذي لا يأبىٰ عن تغيير أحكام الإسلام وتحريف آيات القرآن من أجل تثبيت حكم قُريش العروبي. فهل يلام أعداء الإسلام بعد هذا إذا شهروا بالإسلام علىٰ أنه دين الغدر والخيانة وقطع الرؤوس والإرهاب، فكيف يلام والتاريخ الإسلامي يثبت لهم ذلك دون نصب.

(٨) ـ مروره مر الكرام علىٰ المجزرة فقد ذكر أن خالداً قال: "يا ضرار اضرب عنقه فضرب عنقه "، وهذا يخالف ما ذكره المدافعون عن خالد من أنه لم يكن يعلم بقتلهم قال

(١) ـ تاريخ الإسلام: ٣/٣٤.
(٢) ـ الإصابة: ٥/٥٦١.
(٣) ـ تاريخ الطبري: ٢/٥٠٣.
(٤) ـ البداية والنهاية: ٦/٣٥٤.

ابن الأثير: "أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء فأمر خالد منادياً فنادىٰ أدفئوا أسراكم وهي في لغة كنانة القتل فظن القوم أنه أراد القتل ولم يرد إلا الدفء فقتلوهم فقتل ضرار بن الأزور مالكاً، وسمع خالد الواعية[١] فخرج وقد فرغوا منهم. فقال: إذا أراد الله أمرا أصابه. [وقد اختلف القوم فيهم، فقال أبو قتادة: هذا عملك فزبره خالد فغضب ومضىٰ حتىٰ أتىٰ أبابكر"[٢].

إن تناقض أقوالهم وهروبهم من ذكر الحقائق ومحاولة التكتم علىٰ الجريمة ظاهرة في سردهم لهذا الحدث المفجع وكلها تشير إلىٰ ثبوت التهمة المعروفة بالانحراف والتآمر والاستخدام المفرط للقوة في القضاء علىٰ المعارضة كما يثبت هذا الحدث وغيره زيف ما يدّعون من إجماع المسلمين علىٰ الخلافة أيضاً.

والحق أن مالك بن نويرة لم يقتل إلا لكونه من أشد المعارضين لخلافة أبي بكر وفي رواياتنا أن مالك بن نويرة (رضي الله عنه) سيد بني حنيف دخل المدينة لينظر من قام بالأمر بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان يوم الجمعة فلما دخل المسجد وصعد أبو بكر ليخطب علىٰ منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما نظر إليه قال هذا أخو تيم؟ قالوا نعم قال فما فعل وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باتباعه وموالاته فقال له المغيرة بن شعبة إنك غبت وشهدنا والأمر يحدث بعد الأمر فقال مالك بالله ما حدث شيء ولكنكم خنتم الله في رسوله ثم تقدم إلىٰ أبي بكر وقال يا أبا بكر لم رقيت منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصي رسول الله جالس فقال أبو بكر أخرجوا الأعرابي البوال علىٰ عقبيه من المسجد فقام إليه عمر وخالد وقنفذ فلم يزالوا يلكزونه في ظهره حتىٰ أخرجوه من المسجد كرها بعد إهانة وضرب فركب مالك راحلته وهو يقول:

أطعــنا رسول الله مــا كان بيننا ... فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكـر
إذا مـات بكـر قام بكـر مقامــه ... فتلك وبيت الله قاصـمـة الظهـر
فلـو قام بـالأمـر الوصي عليهــم ... أقمنا ولو كان القيام علىٰ الجمر

فلما توطأ الأمر لأبي بكر بعث خالد بن الوليد في جيش وقال علمت ما قال ابن نويرة في المسجد علىٰ رؤوس الأشهاد وما أنشده من شعره ولسنا نأمن من أن ينفتق علينا منه فتق لا يلتأم والرأي أن تخدعه وتقتله وتقتل كل من يبارزك دونه وتسبي حريمهم

---

(١) ـ «**الوَاعِيَةُ**»: الصُّراخُ علىٰ الميِّت.

(٢) ـ الكامل: ٣٥٨/٢.

اتهاما لهم بأنهم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فسار خالد وجرىٰ من فعله ما اشتهر. وهو تفسير حقيقي لقول خالد للأنصار حين خالفوا رأيه في المسير إلىٰ مالك: "فقد عهد إليّ أن أمضي وأنا الأمير".

ولا أدل علىٰ ارتكاب الجرم من المواقف التي اتخذها الخليفة عمر بن الخطاب منه بعد توليه الخلافة وقبله قال ابن كثير: "فلما وليَ عمر كان أول ما تكلم به أن عزل خالداً، وقال: لا يلي لي عملا أبداً. وكتب عمر إلىٰ أبي عبيدة إن أكذب خالد نفسه فهو أمير علىٰ ما كان عليه، وإن لم يكذب نفسه فهو معزول، فانزع عمامته عن رأسه وقاسمه ماله نصفين" [١].

وقال الذهبي: "وإنما وجد عمر عليه لقتله مالك بن نويرة، وتزوج بامرأته جويرية بنت أسماء"[٢].

وقال ابن أبي الحديد: "ولعن عمر خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة" [٣]

وقال الطبري: إن عمرا قال لخالد "قتلتَ امرءاً مسلماً ثم نزوت علىٰ امرأته والله لأرجمنك بأحجارك" [٤].

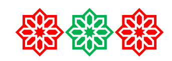
وقد أثبت الخليفة أبوبكر كذب الردة بوديه مالكاً ورد من سبىٰ من نسائهم وأولادهم وما أخذوه من أموالهم. وأثبت بذلك أنه استغل شعار [اجتهد فأخطأ] أبشع استغلال للقضاء علىٰ معارضيه، ثم الاعتذار بهذا الشعار. وهذا دليل آخر يعضد القائلين بوقوع مؤامرة استخدمت فيها السبل الغير المشروعة لفرض الواقع المخالف للحقيقة.

إنّ قمع قُريش لمعارضي الانقلاب وسفكها دماء المسلمين باسم الردة وسبي نساء المسلمين وأطفالهم وانتهاك أعراضهم وإيذاء أهل بيت النبي وحرق باب دار فاطمة بضعة النبي وقتالهم علياً (عليه السلام) وقتلهم الحسن والحسين وذرياتهم جيلاً بعد جيل لا يناسبها إلاّ إسلام أبي سفيان وإلاّ فإن دين محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) بريئ من كل تصرف وقع بعد وفاة النبي بدأً بالسقيفة ومروراً بالخلافة وقتل المسلمين باسم الردة وغزو الشعوب تحت شعار الفتوحات والجهاد لإرغام الأمم علىٰ الانصياع لدين الطواغيت وتحقيق حلم حيازة كنوز فارس والروم وما وقع من أحداث لشاهد صادق علىٰ خروج المسألة من دائرة الإسلام.

---

(١) ـ البداية والنهاية: ٢٣/٧.
(٢) ـ سير أعلام النبلاء: ٣٧٨/١.
(٣) ـ شرح النهج: ١٧/٢٠.
(٤) ـ تاريخ الطبري: ٥٠٤/٢.

ويؤيد خروج تصرف الخلافة عن خط الإسلام معارضة علي (عليه السلام) لاسترقاق العجم بعد غزو عمر لبلاد فارس، فقد ذكر الثقفي: لما ورد بسبي الفرس إلىٰ المدينة أراد عمر بيع النساء وأن يجعل الرجال عبيداً للعرب، وعزم علىٰ أن يحملوا العليل والضعيف والشيخ الكبير في الطواف وحول البيت علىٰ ظهورهم؛ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: أكرموا كريم قوم وإن خالفوكم، وهؤلاء الفرس حكماء كرماء، فقد ألقوا إلينا بالسلام، ورغبوا في الإسلام وقد أعتقت منهم لوجه الله حقي وحق بني هاشم فقالت المهاجرون والأنصار: قد وهبنا حقنا لك يا أخا رسول الله. فقال: اللهم اشهد أنهم قد وهبوا وقبلت وأعتقت. فقال عمر: سبق إليها علي بن أبي طالب ونقض عزمي في الأعاجم[١].



(١) ـ الغارات /الثقفي: ٢/٨٢٥.

المتآمرون ملعونون علىٰ لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

عن عائشة؛ أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: **"ستة لعنْتُهُم، لعنهم الله وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجبروت ليعز بذلك من أذل الله ويذل من أعز الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرّم الله، والتارك لسنتي"** [(١)].

ولهذا الحديث نظائر في كتب الحديث ومتنه صريح واضح لا غموض فيه، ولو تحرينا الواقع في سلوك الانقلابيين لوقفنا علىٰ مدىٰ ارتكابهم كل هذه الموبقات باستثناء الزيادة في الكتاب مع الإغماض عن روايات صحيحة دلّت علىٰ ادّعاء بعضهم زيادات في القرآن ضاعت، وقد تداركوا سوء ما ذهبوا إليه بالقول بنسخ التلاوة.

أما تكذيبهم بالقضاء والقدر فتدل عليه مواقفهم المتعددة كفرارهم من الزحف وتزلزلهم في الشدائد ورفضهم أحكاماً نزلت فيها قرآن ومعارضتهم للرسول (صلى الله عليه وآله) عند تطبيقه لأمر قد أوحي وآخرها رفض التبليغ الإلهي في غدير خم، وإنكارهم وصية النبي وكانت قدراً مقدوراً.

أما التسلط بالجبروت فقد بات سُنّة من سننهم، فما من سلطان من سلاطينهم نال كرسي حكمه إلاّ تحت ظلال السيوف والإرعاب والإرهاب حتىٰ إذا توطدت له الأمور سار في رعيته بسيرة الجبارين، فأعزّ من أذله الله وأذلّ من أعز الله، ولا أدل علىٰ ذلك في الصدر الأول من المآسي التي جرت علىٰ أهل بيت النبوة الذين أعزهم الله تعالىٰ، فليسأل العقلاء عن فاطمة بنت رسول الله علىٰ أبيها وعليها الصلاة والسلام، أين قبرها وكيف ماتت، وهي التي قال فيها الرسول: "فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني" وليسألوا عن علي والحسن والحسين (عليهم السلام) ماذا كان نصيبهم في عهد خلفاء قُريش وهم العنوان

(١) ـ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ٢/٥٢٥، وكتاب السنة لعمرو بن عاصم: ١٤٩، وصحيح ابن حبان: ١٣/٦٠، وموارد الضمآن /الهيثمي: ١/ ١٥٥ ح ٥٢، وكنز العمال /المتقي: ١٦/٨٧ ح ٤٤٠٣٨، والمعجم الكبير، الطبراني: ٣/ ١٢٧، والجامع الصغير /السيوطي: ٢/٤٤ ح ٤٦٤٨، والكامل لابن عدي: ١/٢٠٥، وأسد الغابة لابن الأثير: ٤/١٠٧، ومسند زيد بن علي (رضي الله عنه): ٤٠٤، ومن الشيعة الصدوق في الخصال: ٣٣٨ وآخرون.

الأتم لقوله (صلى الله عليه وآله) في وصيته: "أوصيكم بأهل بيتي خيراً" كما في صحاح الأحاديث، لماذا قادوا علياً بنجاد سيفه إلىٰ المسجد؟ ولماذا أحرقوا باب داره وروعوا بذلك ريحانتي رسول الله، في حين أعزوا وأكرموا أعداء رسول الله أمثال أبي سفيان وأولاده والحكم وأولاده وكعب الأحبار وأضرابه.

ألا يكفي شاهدا لثبوت هذه الحقيقة قول الحسن البصري في ملك العروبيين معاوية بن أبي سفيان: "أربع خصال في معاوية لو لم تكن فيه إلاّ واحدة منها لكانت موبقة: انتزاؤه علىٰ هذه الأمة بالسيف حتىٰ أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه من بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله [الولد للفراش وللعاهر الحجر] وقتله حجراً وأصحاب حجر ويا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر" [١]. والمتتبع لسيرة سائر الخلفاء يرىٰ العجب العجاب من فنون التجبر والطغيان.

وأما استحلال ما حرّم الله، فهو الظاهر الجلي من أعمالهم وما أكثر ما استحلوه من الحرمات فقد حرم الله القتل بغير حق وهم حللوه فكم من الصحابة قتلوا علىٰ يد الخلفاء وكم من التابعين ذبحوا من غير وجه حق وشواهدها معروفة لا حاجة إلىٰ ذكرها، وحرّم المسكر وهم اعتادوه وقد أشرنا إلىٰ ذلك في مسألة تحليلهم للخمر والمسكر، وحرّم التمييز العنصري وارتكبوه وقد ذكرنا جانباً منه. وحرّم أذية الرسول وآذوه، وحرم انتهاك حرمة الحرم وانتهكوها في عهد الخلافة الأموية، وحرّم الظلم واستساغوه، وحرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وارتكبوها، وهكذا الكثير الكثير، وقد تقدم بعض الشواهد علىٰ ارتكابهم تلك المحرمات ومن أراد المزيد فليراجع تاريخ الخلفاء للسيوطي وغيره من كتب التاريخ والسير فهذا موضوع لا يسعه كتاب.

وأما استحلال حرمة أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) فهو أول غدر ارتكبوه ولا أظنني بحاجة إلىٰ سرد التفاصيل بعد اشتهار مأساة عليٍّ وفاطمة [٨] ومن ثم سمّ الحسن وأما قتل الحسين وأهل بيته في كربلاء وقطع رؤوسهم والتمثيل بأجسادهم فهو حديث التاريخ إلىٰ يومنا هذا، وكذلك أسر نساء أهل البيت وأطفالهم وإشهارهم من بلد إلىٰ بلد وهكذا ما فعلوه بسائر أهل البيت جيلاً بعد جيل حتىٰ ورد عنهم (عليهم السلام) قولهم "ما منا إلاّ مقتول أو

---

(١) ـ الكامل في التاريخ لابن أثير: ٤٨٧/٣ | وتاريخ الطبري: ٢٠٨/٤.

مسموم" وكل ذلك ارتكبه خلفاء قُريش إما بالمباشرة أو بأمر منهم.

وأما ترك السُنّة: فرغم ادّعاء الخلفاء وتابعيهم أنهم اتبعوا سُنّة النبي (ﷺ) إلاّ أنهم بادروا عملياً إلىٰ ترك سُنّة النبي منذ وفاته، فأول ما أقدم عليه أبو بكر وعمر هو نهي الصحابة عن التحدث بما سمعوه من النبي كما منعا عن كتابة السُنّة وحرقا المكتوب منه وعاقبا من تحدث بشيء منه وقد أعلن عمر بن الخطاب والنبي لم يمت بعد أنه لا يحتاج إلىٰ السُنّة بقوله المعروف "حسبنا كتاب الله" وأيده في ذلك أبو بكر وسائر زعماء قُريش، ثم تبعهما عثمان في تلك السياسة أيام خلافته ومن بعده معاوية بن أبي سفيان واستمر المنع إلىٰ زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز حيث رفع الحضر كما هو المشهور بين جميع المسلمين فقيههم ومؤرخهم وعالمهم.

لم يكن منع الخلفاء الناس عن السُنّة النبوية إلاّ لإماتة ما لم يوافقوا عليه من سُنّة النبي (ﷺ) وإنسائه مع الزمن وتبديل بعضها بسننهم التي ارتضوها والإبقاء علىٰ ما لا يضر منها بسياساتهم وكان ذلك هو السبب في اختلاف المسلمين في مجمل عقائدهم وفي أحكامهم ليبقىٰ هذا الاختلاف سمة بينهم لا يجتمعون معها علىٰ رأي جامع، فضاع بعملهم هذا الإسلام والمسلمين معاً، فالويل لمن لعنه الله والرسول وكل نبي مجاب.



المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم
ـ آثار الجاحظ /
ـ أحكام القرآن / ابن العربي / دار الفكر ـ بيروت
ـ أحكام القرآن / الجصاص / ط١ ١٩٩٥ /دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ أخبار الدولة العباسية / المؤلف مجهول / ط ١٩٧١ /دار صادر ـ بيروت
ـ أسد الغابة / ابن الأثير / دار الكتاب العربي ـ بيروت
ـ أضواء البيان / الشنقيطي / ط ١٩٩٥ دار الفكر ـ بيروت
ـ أضواء علىٰ السُنّة المحمّدية / محمود أبو رية / ط٥ نشر البطحاء
ـ أعلام النساء / عمر كحالة / دمشق
ـ إعلام الورىٰ بإعلام الهدىٰ / الطبرسي / ط١ ١٤١٧هـ / مؤسسة آل البيت ـ قم
ـ اقتضاء الصراط المستقيم / ابن تيمية / دار المعرفة ـ بيروت
ـ الآحاد والمثاني / الضحاك / ط١ ١٩٩١ /دار الدراية للطباعة ـ الرياض
ـ الاحتجاج / الطبرسي / ط ١٩٦٦ / دار النعمان ـ النجف الأشرف
ـ الأحكام / ابن حزم / مطبعة العاصمة ـ القاهرة
ـ الأخبار الموفقيات / الزبير بن بكار /
ـ الأدب المفرد / البخاري / ط١ ١٩٨٦ /مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت
ـ الأسفار الأربعة / الملا صدرا / ط٣ ١٩٨١ / دار إحياء التراث ـ بيروت
ـ الإصابة / ابن حجر / ط١ ١٩٩٥ /دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ الأعلام / الزركلي / ط٥ ١٩٨٠ /دار العلم للملايين ـ بيروت
ـ الأغاني / أبو الفرج الإصفهاني /
ـ الأمالي الشجرية /.
ـ الإمامة والسياسة / ابن قتيبة / ط١ ١٤١٣ هـ / انتشارات الشريف الرضي ـ قم
ـ الأنساب / السمعاني / ط١ ١٩٨٨ / دار الجنان ـ بيروت
ـ البدء والتاريخ / المطهر بن طاهر المقدسي / ط ١٩٦٢
ـ البداية والنهاية / ابن كثير / ط١ ١٩٨٨ /دار إحياء التراث ـ بيروت
ـ التاج في أخلاق الملوك / الجاحظ /
ـ التاريخ الصغير / البخاري / ط١ ١٩٨٦ / دار المعرفة ـ بيروت

ـ التاريخ الكبير / البخاري / المكتبة الإسلامية ـ ديار بكر
ـ التخويف من النار / ابن رجب / ط٢ ١٩٨٤ / دار الرشيد ـ دمشق
ـ التسهيل في علوم التنزيل / الغرناطي / ط٤ ١٩٨٣ /دار الكتاب العربي ـ بيروت
ـ التعديل والتجريح / سليمان الباجي /
ـ التمهيد / ابن عبد البر / ط١٣٨٧هـ.ق /وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب
ـ التنبيه والأشراف / المسعودي / دار صعب ـ بيروت
ـ التوحيد / الصدوق / جماعة المدرسين ـ قم
ـ الثقاة / ابن حبان / ط١ ١٣٩٣ / مؤسسة الكتب الثقافية
ـ الجامع الصغير / السيوطي / ط١ ١٩٨١ / دار الكتب ـ بيروت
ـ الجرح والتعديل / الرازي / ط١ ١٩٥٢ / دار إحياء التراث ـ بيروت
ـ الجوهر النقي / المارديني / دار الفكر ـ بيروت
ـ الحد الفاصل / الرامهرمزي / ط٣ ١٤٠٤ /دار الفكر ـ بيروت
ـ الخصال / الصدوق ط ١٤٠٣ / جماعة المدرسين ـ قم
ـ الدرر / ابن عبد البر /
ـ الرسالة التدمرية / ابن تيمية / ط ١٩٩١ /المكتبة الإسلامي ـ بيروت
ـ السقيفة وفدك / الجوهري / ط٣ سنة ١٩٩٣ /شركة الكتبي ـ بيروت
ـ السُنّة / عمرو بن عاصم / ط٣ سنة ١٩٩٣ /المكتب الإسلامي ـ بيروت
ـ السُنن الكبرىٰ / البيهقي / دار الفكر ـ بيروت
ـ السيرة الحلبية / الحلبي / ط سنة ١٤٠٠ /دار المعرفة ـ بيروت
ـ السيرة النبوية / ابن كثير / ط سنة ١٩٧٦ / دار المعرفة ـ بيروت
ـ السيرة النبوية / ابن هشام / ط سنة ١٩٦٣ / مطبعة المدني ـ القاهرة
ـ الضعفاء / أبو نعيم الإصفهاني / دار الثقافة ـ المغرب
ـ الضعفاء / العقيلي / ط٢ سنة ١٤١٨ / دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ الضعفاء الصغير / البخاري / ط ١سنة ١٩٨٦ / دار المعرفة ـ بيروت
ـ الضعفاء والمتروكين / النسائي / ط١ سنة ١٩٨٦ / دار المعرفة ـ بيروت
ـ الطبقات الكبرىٰ / ابن سعد / دار صادر ـ بيروت
ـ العقد الفريد / ابن عبد ربه / ط٢ مصر
ـ العلل / الدار قطني / ط١سنة ١٩٨٥/ دار طيبة ـ الرياض
ـ العمدة / ابن بطريق / ط سنة ١٤٠٧ / مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم

ـ العهود المحمّدية / الشعراني / ط٢ ١٩٧٣ /مصطفىٰ البابي الحلبي ـ مصر
ـ الغارات / الثقفي / أفست مطابع بهمن تحقيق السيد جلال الدين
ـ الفائق في غريب الحديث / الزمخشري / ط١ ١٩٩٦ / دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ الفتوحات المكية / محي الدين العربي / دار صادر ـ بيروت
ـ الفجر الصادق / جميل صدقي الزهاوي / ٢٠٠٤ /أفست من ط المصرية ـ بغداد
ـ الفصول المهمة / ابن الصباغ ط١ سنة ١٤٢٢ / دار الحديث ـ قم
ـ الكاشف / الذهبي / ط١ سنة ١٩٩٢ دار القبلة ـ جدة
ـ الكافي / الكليني / ط٥ دار الفكر الإسلامي ـ طهران
ـ الكامل / ابن عدي / ط٣ سنة ١٩٨٨ / دار الفكر ـ بيروت
ـ الكامل في التاريخ / ابن الأثير / ط سنة ١٩٦٥ / دار صادر ـ بيروت
ـ الكشف الحثيث / سبط ابن العجمي / ط١ ١٩٨٧ / مكتبة النهضة العربية
ـ المبسوط / السرخسي / ط سنة ١٩٨٦ / دار المعرفة ـ بيروت
ـ المجروحين / ابن حبان / تحقيق محمّد إبراهيم زايد
ـ المجموع / النووي / دار الفكر ـ بيروت
ـ المحرر الوجيز / ابن عطية الأندلسي / ط١ ١٩٩٣ /دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ المحلىٰ / ابن حزم / دار الفكر ـ بيروت
ـ المستدرك علىٰ الصحيحين / الحاكم دار المعرفة ـ بيروت
ـ المسترشد / ابن جرير الطبري / ط١سنة ١٤١٥ / مطبعة سلمان الفارسي ـ قم
ـ المصنف / ابن أبي شيبة / ط١سنة ١٩٨٩ /دار الفكر ـ بيروت
ـ المصنف / عبد الرزاق الصنعاني / تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي
ـ المطالب العالية / الفخر الرازي / تحقيق أحمد حجازي /دار الكتاب العربي ـ بيروت
ـ المعارف / ابن قتيبة / دار المعارف ـ القاهرة
ـ المعجم الأوسط / الطبراني / ط سنة ١٩٩٥ /دار الحرمين للطباعة والنشر
ـ المعجم الصغير / الطبراني / دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ المعجم الكبير / الطبراني / ط٢ / دار إحياء التراث العربي
ـ المُغني / عبد الله بن قدامة / دار الكتاب العربي ـ بيروت
ـ المقدمة / ابن خلدون / ط٤ /دار إحياء التراث بيروت
ـ الملل والنحل / الشهرستاني / دار المعرفة ـ بيروت
ـ المناقب / ابن شهرآشوب / المطبعة العلمية ـ قم

ـ المناقب / ابن مردويه / ط٢سنة ١٤٢٢ / دار الحديث ـ قم
ـ المناقب / الخوارزمي / ط٢سنة ١٤١١ /جماعة المدرسين ـ قم
ـ المنمق / محمّد حبيب البغدادي / عالم الكتب
ـ المواقف / الإيجي / ط١سنة ١٩٩٧ /دار الجيل ـ بيروت
ـ الموضوعات / ابن الجوزي / ط١ ١٩٦٦ / المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة
ـ الموطأ / الإمام مالك / ط سنة ١٩٨٥ / دار إحياء التراث ـ بيروت
ـ النظام السياسي في الإسلام / باقر القرشي / ط٢ ١٣٩٨ / دار التعارف ـ بيروت
ـ النفي والتغريب / نجم الدين الطبسي / ط١سنة ١٤١٦ / مجمع الفكر الإسلامي –قم
ـ النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير / ط٤ /مؤسسة إسماعيليان ـ قم
ـ اليقين / ابن طاووس / ط١ ١٤١٣ مؤسسة دار الكتاب الجزائري ـ قم
ـ أمالي / المرتضىٰ السيد المرتضىٰ / ط١ منشورات مكتبة المرعشي ـ قم
ـ أمالي المحاملي / حسين المحاملي / ط١ ١٤١٢ هـ / المكتبة الإسلامية ـ الأردن
ـ إمتاع الأسماع / المقريزي / ط١ ١٩٩٩ / دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ بحار الأنوار / المجلسي / ط٢ ١٩٨٣ /مؤسسة الوفاء ـ بيروت
ـ تاريخ ابن خلدون / ابن خلدون / ط٤ /دار إحياء التراث ـ بيروت
ـ تاريخ ابن معين / ابن معين / دار القلم ـ بيروت
ـ تاريخ الإسلام / الذهبي / ط١ ١٩٨٧ / دار الكتاب العربي ـ بيروت
ـ تاريخ الخلفاء / السيوطي /ط١ انتشارات الشريف الرضي ـ قم
ـ تاريخ الخميس /
ـ تاريخ الطبري / الطبري / ط٤ ١٩٨٣ / مؤسسة الأعلمي ـ بيروت
ـ تاريخ المدينة المنورة / ابن شبة النميري / ط ١٤١٠ هـ /دار الفكر ـ قم
ـ تاريخ اليعقوبي / اليعقوبي / دار صادر ـ بيروت
ـ تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي / ط١ ١٩٩٧ / دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ تاريخ خليفة بن خياط / خليفة بن خياط / ط ١٩٩٣ / دار الفكر ـ بيروت
ـ تاريخ عمر بن الخطاب / ابن الجوزي / ط١٩٧٤ /مكتبة السلام العالمية– القاهرة
ـ تاريخ مدينة دمشق / ابن عساكر / ط ١٩٩٥ / دار الفكر ـ بيروت
ـ تحفة الاحوذي / المباركفوري / ط١ ١٩٩٠ / دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ تخريج الأحادي / الزيعلي / ط١ ١٤١٤ / هـ دار ابن خزيمة ـ الرياض
ـ تذكرة الحفاظ / الذهبي / دار إحياء التراث العربي ـ بيروت

ـ تذكرة الموضوعات / للفتني /
ـ تفسير ابن أبي حاتم / المكتبة العصرية ـ صيدا
ـ تفسير ابن كثير / ابن كثير / ط ١٩٩٢ / دار المعرفة ـ بيروت
ـ تفسير الأصفىٰ / الفيض الكاشاني / ط١ ١٤١٨ / مركز النشر الإسلامي ـ إيران
ـ تفسير الآلوسي / الآلوسي /
ـ تفسير الإمام العسكري / ط١ ١٤٠٩ / مدرسة الإمام المهدي ـ قم
ـ تفسير البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي /ط١ ٢٠٠١ / دار الكتب العلمية-بيروت
ـ تفسير البغوي / البغوي / دار المعرفة ـ بيروت
ـ تفسير البيضاوي / البيضاوي / دار الفكر ـ بيروت
ـ تفسير الثعلبي / الثعلبي /ط١ ٢٠٠٢ / دار إحياء التراث ـ بيروت
ـ تفسير الدر المنثور / السيوطي / دار المعرفة ـ بيروت
ـ تفسير الرازي / الرازي / ط٣
ـ تفسير السمرقندي / السمرقندي / دار الفكر ـ بيروت
ـ تفسير السمعاني / السمعاني / ط١ ١٩٩٧ / دار الوطن ـ الرياض
ـ تفسير الصافي / الفيض الكاشاني / ط٢ ١٤١٦ هـ / مكتبة الصدر ـ طهران
ـ تفسير العياشي / العياشي / المكتبة العلمية الإسلامية ـ طهران
ـ تفسير القرطبي / القرطبي / دار إحياء التراث ـ بيروت
ـ تفسير القمي / علي بن إبراهيم / ط٣ ١٤٠٤ هـ / دار الكتب ـ قم
ـ تفسير الكشاف / الزمخشري / ط١ ١٩٦٦ / مصطفىٰ البابي الحلبي ـ مصر
ـ تفسير النسفي / النسفي /
ـ تفسير جامع البيان / الطبري / ط١ ١٩٩٥ / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت
ـ تفسير نور الثقلين / الحويزي / ط٤ ١٤١٢ هـ / مؤسسة إسماعيليان ـ قم
ـ تقريب التهذيب / ابن حجر / ط٢ ١٩٩٥ / دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ تلخيص الحبير / ابن حجر / دار الفكر ـ بيروت
ـ تنقيح التحقيق / الذهبي / ط ٢٠٠٠ / دار الوطن ـ الرياض
ـ تهذيب التهذيب / ابن حجر / ط١ ١٩٨٤ / دار الفكر ـ بيروت
ـ تهذيب الكمال / المزي / ط٤ ١٩٨٥ /مؤسسة الرسالة ـ بيروت
ـ جامع أحاديث الشيعة / البروجردي / ط ١٣٩٩ هـ / المطبعة العلمية ـ قم
ـ جواهر المطالب / ابن الدمشقي / ط١ ١٤١٥ / مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ـ قم

ـ حاشية رد المحتار / ابن عابدين / ط ١٩٩٥ /دار الفكر ـ بيروت
ـ حياة الأمام الحسن / باقر القرشي /
ـ ديوان حافظ إبراهيم / ـ دار الكتب المصرية القاهرة.
ـ ذخائر العقبىٰ / أحمد الطبري / ط ١٣٥٦ / مكتبة القدسي ـ القاهرة
ـ ذكر أخبار إصبهان / الحافظ الإصبهاني / ط سنة ١٩٣٤ / مطبعة بريل ـ ليدن
ـ ذيل تاريخ بغداد / ابن النجار / ط١ ١٩٩٧ / دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ رجال النجاشي / النجاشي / ط٥ سنة ١٤١٦ /مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم
ـ رحلة ابن بطوطة / ابن بطوطة / ط سنة ١٩٦٨ / دار التراث ـ بيروت
ـ رسائل الجاحظ / حسن السندوبي / ط سنة ١٣٥٢ / القاهرة
ـ سبل الهدىٰ والرشاد / الصالحي الشامي / ط١ ١٩٩٣ / دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ سُنن ابن ماجة / ابن ماجة / دار الفكر ـ بيروت
ـ سُنن أبي داود / أبو داود / ط١ سنة ١٩٩٠ /دار الفكر ـ بيروت
ـ سُنن الترمذي / الترمذي / ط٢ سنة ١٩٨٣ / دار الفكر ـ بيروت
ـ سُنن الدارقطني / الدار قطني / ط١ سنة ١٩٩٦ /دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ سُنن الدارمي / الدارمي / ط سنة ١٣٤٩ /مطبعة الاعتدال ـ دمشق
ـ سؤالات ابن أبي شيبة / عليّ المديني / ط١ سنة ١٩٨٤ / مكتبة المعارف ـ الرياض
ـ سؤلات الآجري / سليمان بن الأشعث /ط١ ١٩٩٧ /مكتبة دار الاستقامة ـ السعودية
ـ سير أعلام النبلاء / الذهبي / ط ٩ سنة ١٩٩٣ مؤسسة الرسالة ـ بيروت
ـ سيرة عمر / ابن الجوزي /
ـ شذرات الذهب / عبد الحي الحنبلي / المكتب التجاري ـ بيروت
ـ شرح إحقاق الحق / المرعشي / منشورات مكتبة المرعشي ـ قم
ـ شرح الأخبار / النعمان المغربي / ط٢ سنة ١٤١٤ جماعة المدرسين ـ قم
ـ شرح سُنن النسائي / السيوطي / دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ شرح فصوص الحكم / القيصري / ط١ سنة ١٣٧٥ /انتشارات علمي فرهنگي ـ إيران
ـ شرح مسلم / النووي / ط ٧ سنة ١٩٩٨ /دار الكتاب العربي ـ بيروت
ـ شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد / ط١س ١٩٥٩ /دار إحياء الكتب ـ عيسىٰ البابي
ـ شواهد التنزيل / الحاكم الحسكاني / ط١ ١٩٩٠ / وزارة الإرشاد ـ طهران
ـ شيخ المضيرة / محمّد أبو رية / ط٣ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت
ـ صحيح ابن حبان / ابن حبان / ط٢ سنة ١٩٩٣ / مؤسسة الرسالة

ـ صحيح ابن خزيمة / ابن خزيمة / ط٢سنة ١٩٩٢ / المكتب الإسلامي
ـ صحيح البخاري / البخاري / ط سنة ١٩٨١ /دار الفكر ـ بيروت
ـ صحيح مسلم / مسلم / دار الفكر ـ بيروت
ـ ضعيف سُنن الترمذي / الألباني / ط١ سنة ١٩٩١ / المكتب الإسلامي ـ بيروت
ـ طبقات المحدثين بأصبهان / ابن حبان / ط٢سنة ١٩٩٢ / مؤسسة الرسالة ـ بيروت
ـ عبد الله بن سبأ / العسكري / ط٦ سنة ١٩٩٣ / نشر توحيد ـ إيران
ـ علل الترمذي / محمّد بن سورة / ط٢سنة ١٤٠٣ / دار الفكر ـ بيروت
ـ علل الشرائع / الصدوق / ط سنة ١٩٦٦ / المكتبة الحيدرية ـ النجف
ـ عمدة القاري / العيني / دار إحياء التراث ـ بيروت
ـ عون المعبود / العظيم آبادي ط٢سنة ١٩٩٥ / دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ غريب الحديث / ابن سلام / ط١سنة ١٩٦٤ / دار الكتاب العربي ـ بيروت
ـ فتاوي ابن باز / ابن باز / ط٢ سنة ١٤١٤ / الإدارة العامة للطبع والترجمة
ـ فتح الباري / ابن حجر / ط٢ /دار المعرفة ـ بيروت
ـ فتح القدير / الشوكاني / نشر عالم الكتب
ـ فتوح أعثم / ابن الأعثم / ط١ / دار الأضواء ـ بيروت
ـ فتوح البلدان / البلاذري / ط ١٩٥٦ / مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة
ـ فرائد السمطين / الحمويني / مخطوط
ـ فردوس الأخبار / ابن شيرويه / الديلمي دار الكتاب العربي ـ بيروت
ـ فصوص الحكم / ابن العربي / ط سنة ١٣٧٠ ش / الزهراء ـ طهران
ـ فيض القدير / المناوي / ط١ سنة ١٩٩٤ / دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ كتاب سليم بن قيس / سليم بن قيس / تحقيق محمّد باقر المحمودي
ـ كشف الخفاء / العجلوني / ط٣ سنة ١٩٨٨ / دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ كنز العمال / المتقي الهندي / ط سنة ١٩٨٩ / مؤسسة الرسالة ـ بيروت
ـ لسان العرب / ابن منظور / ط سنة ١٤٠٥ / نشر أدب الحوزة ـ قم
ـ لسان الميزان / ابن حجر / ط٢سنة ١٩٧١ / مؤسسة الأعلمي ـ بيروت
ـ مثالب العرب / هشام الكلبي / ط١ ١٩٩٨ / تحقيق نجاح الطائي دار الهدى
ـ مجمع البحرين / الطريحي / ط٢ سنة ١٤٠٨ / نشر الثقافة الإسلامية
ـ مجمع البيان / الطبرسي / ط١ ١٩٦٥ / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
ـ مجمع الزوائد / الهيثمي / ط سنة ١٩٨٨ / دار الكتب العلمية ـ بيروت

ـ مروج الذهب / المسعودي / ط ١ /مؤسسة الأعلمي ـ بيروت
ـ مستدرك الوسائل / النوري / ط١ ١٩٨٧ /مؤسسة آل البيت ـ بيروت
ـ مسند ابن الجعد / علي بن الجعد / ط٢ ١٩٩٦ /دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ مسند ابن المبارك / ابن المبارك / ط١ ١٩٩١ / دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ مسند ابن راهويه / ابن راهويه / ط١سنة ١٤١٢ / مكتبة الإيمان ـ المدينة المنورة
ـ مسند أبي يعلي / أبو يعلي الموصلي / دار المأمون للتراث ـ دمشق
ـ مسند أحمد / احمد بن حنبل / دار صادر ـ بيروت
ـ مسند أسامة / أسامة بن زيد البغوي / ط١سنة ١٤٠٩ / دار الضياء ـ الرياض
ـ مسند الشاميين / الطبراني / ط٢سنة ١٩٩٦ / مؤسسة الرسالة ـ بيروت
ـ مصابيح السُنّة / البغوي / دار المعرفة ـ بيروت
ـ معارج الوصول / الزرندي الشافعي / تحقيق ماجد بن أحمد العطية
ـ معاني الأخبار / الصدوق / ط سنة ١٣٧٩ / جماعة المدرسين ـ قم
ـ معجم البلدان / الحموي / ط سنة ١٩٧٩/ دار إحياء التراث ـ بيروت
ـ معرفة السُنن والآثار / البيهقي / دار الكتب العلمية ـ بيروت
ـ معرفة علوم الحديث / الحاكم / ط٤ سنة ١٩٨٠ / دار الآفاق ـ بيروت
ـ مغازي الواقدي / الواقدي / ط بيروت
ـ ميزان الاعتدال / الذهبي / ط١سنة ١٩٦٣ / دار المعرفة ـ بيروت
ـ نظم درر السمطين / الزرندي الحنفي / ط١ ١٩٥٨ / مكتبة أمير المؤمنين- النجف
ـ نهج البلاغة /
ـ نور الأبصار / الشبلنجي / ط دار الفكر ـ بيروت
ـ نيل الأوطار / الشوكاني / ط سنة ١٩٧٣ / دار الجيل ـ بيروت
ـ وسائل الشيعة / الحر العاملي / ط٢سنة ١٤١٤ / مؤسسة آل البيت ـ قم
ـ وفيات الأعيان / ابن خلكان / دار الثقافة ـ لبنان
ـ ينابيع المودة / القندوزي / ط١ سنة ١٤١٦ /دار الأسوة



- هو السيد حسين الحسيني الزرباطي
- ينتهي نسبه إلىٰ الدوحة الباقرية من نسل إبراهيم بن محمّد الباقر (عليه السلام)
- نسبه مذكور في كتابه الوجيز في أنساب الأسر والعشائر الطالبية.

• ولادته ونشأته:

• ولد سَنة ١٩٥٠م في مدينة زرباطية التابعة إدارياً لمحافظة واسط / العراق؛ ترعرع في عائلة متدينة وتربىٰ بين أبوين كريمين في بيت عرف بالسيادة والشرف

• دراسته الأكاديمية والحوزوية:

• أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية في المدارس الرسمية
• دخل كلية الفقه في النجف الأشرف وتخرج منها بشهادة بكالوريوس لغة عربية وعلوم إسلامية سَنة ١٩٧٣م
• أكمل دراسات الحوزة العلمية في النجف الأشرف علىٰ يد أساتذة أكفاء.
• حضر حلقات البحث الخارج لكبار أعلام النجف الأشرف فقهاً وأصولاً منهم آية الله العظمىٰ السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (قدس سره) وآية الله العظمىٰ السيد عبد الأعلىٰ الموسوي السبزواري (قدس سره) وله تقريرات بعض أبحاثه الفقهية.

• لمحة من سيرته

• شارك في الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م؛ هاجر إلىٰ جمهورية إيران الإسلامية بعد ملاحقته من قبل سلطة البعث الحاكم بتهمة معاداة النظام وقيادة الغوغاء.
• استقر بمدينة شيراز وعمل أستاذاً في مدارس الحوزة العلمية وجامعاتها واهتم إلىٰ جانب التدريس؛ بالتأليف والتصنيف في مجالات مختلفة كالفقه والأصول واللغة والأخلاق والعقائد والنسب وغيرها. عاد إلىٰ العراق بعد سقوط النظام ٢٠٠٣م ليكمل مسيرته العلمية في مجال الإرشاد والتأليف والتحقيق.



• بعض من مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة:

- أخلاق الحرب في الإسلام
- آفات اللسان
- الإستعاذة
- إمام زاده إبراهيم (رحمه الله) (فارسي)
- الإنذار باختلاف الأمة
- الأوائل في تاريخ الإسلام
- بغية الحائر في أحوال أولاد الإمام الباقر (عليه السلام)
- توضيح المرام من كتاب شرائع الإسلام
- الجاهلية الآخرة في ثوب الإسلام الرسمي
- جرائم الحجاج
- الجريدة في أصول أنساب العلويين
- خلاصة المقال في الأخلاق
- دروس في العقائد الإسلامية
- دعوة الحق
- دوحة السُلطان في النسب
- الربا وآثاره
- الرجل والمرأة في ميزان التقييم
- زن ومرد در ترازوي سنجش (فارسي)
- السفر الرصين في مباحث أصول الدين
- السفر إلىٰ الآخرة وسفينة النجاة
- شرح أصول الاستنباط (جزئين)
- الشطرنج في الكتاب والسُنَّة والفتوىٰ
- صلوات لطلب الحاجات
- العراق بين أنياب السباع
- العوامل والعواطل في كتب الأعاريب
- عون الطالب في فهم عبارات المكاسب
- عيب المكيال المفرق بين الكتاب والآل
- الغناء بين الكتاب والسُنَّة والفتوىٰ
- فروع الشجرة العلوية
- فضيلة شهر رمضان وأعماله
- قبسات من القرآن ج٢؛
  سلسلة زد معلوماتك ـ أربعة أجزاء
- **كتاب البيع**؛ تقريرات بحث آية الله العظمىٰ السيد عبد الأعلىٰ السبزواري (رحمه الله)
- الكورد الشيعة في العراق
- كيف تحارب نفسك
- لئالي الأعماق في مكارم الأخلاق ٢ جزء
- المآتم الحُسينية بين إصرار الموالين ونقد المعارضين
- **مجالس النصرة** في رد منتقدي عاشوراء ومحبي العترة
- المختصر الجميل من نحو ابن عقيل
- مديريت در إسلام (فارسي)
- المذِكر الأنيس والهميان النفيس
- المعتبر من الأقوال في المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)
- المهدوية بين الفكر الديني والاستغلال السياسي
- النجدين في أقوال الفريقين
- نظرية الإمامة وحقيقة المهدي المنتظر
- النفاق؛ داء خطير
- الوجيز في أنساب الأسر والعشائر الطالبية
- الوسيط في أنساب الأسر والعشائر الطالبية
- وسيلة المؤمن
- وضوء يابهانهٔ حمله بهمكتب تشيع (فارسي)
- وقفة عابرة مع مثيري الشبهات العقائدية
- وقفة مع القضاء العراقي
- ولايت ومخالفين (فارسي)
- له مصنفات أُخرىٰ قيد التحقيق والتحرير



فهرس